



# شكوى الغريب عن الأوطان إلى علماء البلدان

ويليه

زبدة الحقائق في كشف الدقائق

وضعها شهيد الصوفية

عين القضاة الهمداني (ص 525 هـ)

تحقيق

عفيف عسيران

مع دراسة لحياة عين القضاة وتصوفه  
وظروف صلبه مقارنة بالحلاج



دار بيبليون

باريس

## مقدمة المصحح

شكوى الغريب رسالة كتبها عين القضاة في سجن بغداد سنة ٥٢٥، وذلك بضعة اشهر قبل موته، يشكو فيها ظروف الزمان ومحنه ويدافع بها عن نفسه ضد العلماء الذين انهموه بالزندقة والكفر . لقد نشر الاستاذ محمد عبدالجليل هذه الرسالة سنة ١٩٣ في المجلة الاسيوية<sup>١</sup> لاول مرة عن مخطوطة برلين رقم ٢٠٧٦ . ثم عثرنا مؤخراً في مكتبة السيد ملك في طهران على مجموعة خطية من الرسائل بينها منتخبات من رسالة شكوى الغريب . إنَّ تعذر الحصول على المجلة المذكورة وعثورنا على مخطوطة ثانية لشكوى الغريب واهتمامنا مدة ثلاث سنوات بعين القضاة وآثاره العربية والفارسية وتشجيع مدير مطبعة جامعة طهران لنشر مصنفات الهمداني ، اقول ان كل هذه العوامل حدث بنا الى ان نعيد تصحيح رسالة الشكوى وننشرها من جديد . واعتمدنا في الطبعة الجديدة على مخطوطة برلين رقم ٢٠٧٦ ورمزنا اليها بحرف B و على مخطوطة ملك رقم ٤٦٥٧ و رمزنا اليها بحرف M .

نكتفي في مقدمة هذه الرسالة ان نعالج مسألة استشهاد عين القضاة الهمداني ونعرض آراءه الصوفية التي استشهد من اجلها ومن اراد ان يطلع على ترجمة حياته وآثاره وان يتعرف على آرائه الفلسفية فليراجع مقدمتنا لكنا بين من كتب عين القضاة : كتاب زبدة الحقائق باللغة العربية و كتاب التمهيدات باللغة الفارسية .

ان كتاب خريدة القصر وجريدة العصر لعماد الدين الاصفهاني اقدم سندات تاريخي

حفظ لنا ترجمة حياة الهمذاني وسطر لنا مأساة استشهاده وملايسات استباحة دمه . لقد عرف عماد الدين الاصفهاني عين القضاة عن كذب بواسطة عم له اسمه عزيز الدين المستوفى<sup>١</sup> وهو من كبار رجال السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه بن سلجوق ؛ كما ان عماد الدين قد شاهد في مناسبات متعددة كرامات عين القضاة فاعجب بقداسته ، واطلع على افكاره واشعاره فاعجب بعبقريته . وكذلك عاشر الاصفهاني رجالا قصر السلطنة وخبردهاءهم ودسائسهم وخبر بصفة خاصة دسائس وزير السلطان محمود الوزير الطماع السفاك قوام الدين ناصر بن علي ابي القاسم الدرگزيني<sup>٢</sup> ذاك الوزير الذي القى عين القضاة في سجن بغداد ثم سعى في ارافة دمه . اليك اولا ترجمة مقتضبة لحياة عين القضاة كما ذكرها عماد الاصفهاني في كتاب تاريخ آل سلجوق : « وكذلك عين القضاة الميانجي كان من اكبر الائمة والاولياء ذوى الكرمات وقد خلف ابا محمد الغزالي في المؤلفات الدينية والمصنفات فحسده جهال الزمان المتلبسون بزى العلماء وحضهم الوزير ابو القاسم الدرگزيني عليه فقصدوه بالايذاء وافضى الامر به الى ان صلبه الوزير بهمذان ولم يراقب فيه الله ولا الايمان»<sup>٣</sup> اليك الآن ترجمة حياة عين القضاة كما ذكرها عماد الدين الاصفهاني في كتاب خريدة القصر وقد نقلنا هذا المتن عن صورة لمخطوطة اعارنا اياها الاستاذ جلال الدين محدث<sup>٤</sup> : « عين القضاة الميانجي من اهل همذان ابو المعالي

١- ابونصر احمد بن حامد بن محمد بن عبدالله بن علي بن محمود بن هبة الدين الاصفهاني الملقب

بعزيز الدين المستوفى وكان من المعجبين بعين القضاة ومن مريديه .

٢- اصل ابي القاسم من بلدة نساباد لكنه كان ينسب نفسه الى درگزين . وقد وصفه عماد الدين

الاصفهاني في كتابه تاريخ دولة آل سلجوق فقال : حل في دست الملك ففتك وهتك واستباح الدماء وسفك وشرع المنكرات وانكر المشروعات وعادى الكرام وبدد النظام وظاهر الباطنية واطهر سنة الجاهلية وشرع الفتك بالاحرار والمهتك للاستار» ص ١٢٣ تاريخ آل سلجوق طبعة مصر ١٣١٨ / ١٩٠٠

٣- تاريخ آل سلجوق ص ١٣٧-١٣٨ . ٤- Bib. Aca. Lug. Bat. av. 21 f



لوحة «مينياتور» هندية فارسية من القرن الثاني عشر هجري مجموعة

لندن كايشه Lemare

عبدالله بن ابي بكر محمد بن علي بن الحسن بن علي الميانجي الاصل الهمداني لاهل . كان  
الصديق الصادق والموفى الوافى للصدر الشهيد عمى - رحمه الله - فلما نكب العم واستتر  
بدره التم ، تقلد الوزير الدرگزى وزير عين القضاة فاعانه القضاء على قصده وحمله  
حسده على حصده . فانه كان من اعيان العلماء ومن يضرب به المثل فى الفضل والذكاء .  
وام تشرق الغزاة بعد الغزالي على مثله فى فضله وجرى فى التصانيف العربية على رسله .  
وابدع معانها فى الحقيقة وسلك فيها طريق اهل الطريقة ومالك التصرف فى كلام التصوف  
وفاح عرف عرفه فى المعرفة والتعرف . وتشربت القلوب ماء قبوله وانتشروا صيته فى حزون  
الارض وسهولة واتخذ قصده منسكا واعتُمت زيارته نيمنا وتبركا . ولقد كان من  
اولياء الله الابدال بل بلغ درجة القطب عليه السلام وانارت كراماته انارة الشهب ؛ فحسده  
المشبهون باهل العلم ونسبوا الى ذكره كلمات فى مصنفاته لم يتصوروها بالفهم  
فالتقطوها وافردوها من تر كيبانها وحملوها على ظواهرها فى عباراتها ولم يستفسروا  
منه معانيها ولم يأخذوا عنه مبانها . وقبضه الوزير العليج وعجل فى ظلمه وجار فى  
حكمه وحمله مقيداً الى بغداد ليجد طريقاً فى استباحة دمه < ويأخذه > بجرمه . فلما  
اعبى عليه الحق اخذته العزة بالاثم الباطل واعاده الى همدان . وكان هو واعوانه فى امره  
كاليهود فى امر عيسى ... غير ان الله عصم نبيه من الكفار « وما قتلوه وما صلبوه ولكن  
شبه لهم » وابلى وليه بالفجار . فتصلب ذلك الوزير الوازر فى صلبه ، واملى الله لهم  
وامهلهم ، وذلك ليلة الاربعاء السادس من جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وخمس  
مائة . ولما قدم الى الخشبة المنتصبة عانقها وقرأ : « وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب  
ينقلبون » فما عبرت سنة على ذلك الوزير حتى صلب ومثل به ، وتبعه اعوانه فى عظبه :  
من يسىء يوماً يسأ به      والدهر لا يغتر به

ولعين القضاة رسالة كتبها الى اخوانه بنى جنسه من حبسه يبكى فيها على نفسه وهي في غاية الاستعطاف قد جمع فيها كل وصف من الاوصاف . وله رسائل في كل وصف لا يتصور معانيها الا الراسخون في العلم الشامخون بقوة الفهم .  
ومن شعره ما ذكره ابو الحسن السمعى في الوشاح :

•••

تحملت فيك الحتف والنجم جامع      وقد طويت منى على الهم اضلع  
فما خدع العينين بعدك منظر      ولا وطىء الاجفان بعدك ادمع

•••

اقول لنفسي وهي طالبة العلى      لك الله طالبة للعلى نفا

هناك مؤرخ آخر واسع الشهرة وهو القاضي ابوسعيد محمد السمعاني مؤلف كتاب الانساب قد عاصر عين القضاة ايضاً وذكروا في كتاب الانساب ترجمة حياته لكن الكتاب المذكور لم يسلم من يدى البلى وما وصلنا منه الا مختصر لعزالدين ابوالحسن على ابن الاثير الجزرى . لم يذكر الجزرى الا كلمة مقتضبة في ترجمة ابى المعالى غير ان مورخى القرن السابع والثامن والتاسع قد ذكروا نقلاً عن السمعاني ترجمة لحياته عين القضاة بشيء من التفصيل ثبت هنا اكثرها اسهاباً وهو ما نقله العسقلانى : « وقد قال السمعاني الذى نقل ترجمة من كلامه باعترافه : عبدالله بن محمد بن الحسن بن على الميائنجى ابوالمعالى بن ابى بكر من أهل همدان يعرف بعين القضاة احد فضلاء العصر يضرب به المثل فى الذكاء والفضل كان فيها فاضلاً وشاعراً مقلماً و كان يميل الى الصوفية ويحفظ كلامهم و اشاراتهم مالا يدخل تحت الوصف . صنف فى فنون العلم و كان حسن الكلام و كان الناس يعتقدون فيه و يتبركون به . ظهر له القبول التام عند الخاص والعام و كان العزيز الاصفهاني الكاتب يعتقد فيه و كان لا يخالفه فيما

يشير به اليه . و كان ابوالقاسم الوزير يباين العزيز فلما هلك العزيز تعرض الوزير لعين القضاة فعمل عليه محضراً اخذ فيه خطوط جماعة من العلماء بإباحة دمه بسبب الفاظ التقطت من تصانيفه شنيعة ينبوعنها السمع ويحتاج الي مراجعة قائلها فيما اراد بها . فقبض عليه ابوالقاسم وحمله الي بغداد مقيداً ثم رده الي همذان فصلبه يرحمه الله ويكافى من ظلمه . ثم ساق السمعاني رسالة عين القضاة التي كتبها وهو في السجن الي اخوانه يشكو حاله . ومنها :

اسجناً وقيداً واشتياقاً وغربة  
ونأى حبيب ان ذا لعظيم

ثم ختم ترجمته بانه صلب ظلماً في جمادى الاخرى سنة خمس وعشرين وخمس مائة . نسأل الله الحفظ من اطلاق القلم فيما ينطق بالدماء من غير بحث ، والمصارعة الي الفتوى بالقتل . قلت فتلخص انه انما قتل بغرض الوزير الذي تعامل لاجل مصادقته لعدوه والا لو قتل بسيف الشرع لكوثر واستثيب ، والعلم عند الله عز وجل <sup>١</sup> .

من الثابت ان عين القضاة قد صلب في همذان ليلة الاربعاء في السادس <sup>٢</sup> من جمادى الاخرة سنة خمس وعشرين وخمس مائة وذلك بايعاز من الوزير الدرگزيني . وينقل العسقلاني عن السمعاني بان الوزير عمل محضراً علي عين القضاة اخذ فيه خطوط جماعة من العلماء بإباحة دمه بسبب الفاظ شنيعة التقطت من تصانيفه ينبوعنها السمع . من هم العلماء الذين وقعوا امضاءهم علي فرمان اباحه دم عين القضاة ؟ وما هي تلك الالفاظ الشنيعة التي التقطت من مصنفات الهمذاني وكانت سبباً لصلبه ؟ لم نهتد حتى الآن الي سند تاريخي يرمى لماموا علي هذين السؤالين سوى رسالة شكوى الغريب تلك الرسالة التي كتبها عين القضاة في سجن بغداد دفاعاً عن نفسه .

١- ميزان العمل ج ٤ ص ٤١٠ . ٢- اذا ما راجعنا تقويم F. Wüstenfeld وجدنا

ان السادس من جمادى الاخرة سنة ٥٢٥ يقع ليلة الاربعاء .



لا يذكر ابو المعالي شيئاً عن اسماء العلماء الذين افتوا باباحة دمه بل يكتفى بان يقول : «قد انكر علي طائفة من علماء العصر، احسن الله توفيقهم وسهل الي خير الدارين طريقهم ونزع الغل من صدورهم وهياً لهم رشداً في امورهم ، كلمات مبثوثة في رسالة عملتها منذ عشرين سنة»<sup>١</sup> . ولم يقتصر هؤلاء العلماء على مجرد استنكار آرائه بل نسبوا اليه « كل قبيحة وحملوا ارباب المناصب على ان فضحوني اشد فضيحة . . . . وهذه سنة قديمة لله تعالى في عباده ان لم يزل الفاضل محسوداً وبانواع الاذايا من العوام والعلماء مقصوداً»<sup>٢</sup> .

هل ناصر المتصوفة عين القضاة ودافعوا عنه ضد علماء الظاهر ام انهم وقفوا موقف الشبلي المتفرج امام مقصلة الحلاج في بغداد ؟ لم يتعجب ابو المعالي كثيراً من مهاجمة علماء الظاهر له ولم يستبعد ما ادى الحسد بهؤلاء العلماء الي قساوة القلب وتحجر الضمير ان «اهدروا حقوق العلم . . . وسعوا بي الي السلطان واخترعوا علي عظيم البهتان»<sup>٣</sup> لكنه تألم كثيراً من موقف اخوانه المتصوفين لانهم وقفوا تجاه ما ألصق به من التهم موقف المتفرجين ان «لم يقم بواجب حقى علماء الفرق ولاذوو المرقعات والخرق»<sup>٤</sup> . اما فيما يتعلق بالالفاظ الشنيعة التي انكرها عليه العلماء فنرى ان عين القضاة يعرضها في رسالة شكوى الغريب جملة جملة ثم يشرح ما قصد من تلك العبارات فيبين تعسف من انكروها عليه ويثبت بانه لم يجد في كل ما كتب قيد شعرة عن تعاليم القرآن والسنة .

واذا ما دققنا في هذه الالفاظ والجمل وجدناها تتعلق بثلاث مسائل : مسألة النبوة ، مسألة الشيخ والمريد ، ومسألة اتحاد الخالق بالانسان المخلوق . سنحاول ان نعرض رأى عين القضاة في كل من هذه المسائل ولن نكتفى بما يقوله لنا ابو المعالي

١ - الشكوى ص ٧ ؛ ٢ - الشكوى ص ١١ ؛ ٣ - الشكوى ص ٤٨ ؛

٤ - الشكوى ص ٤٨ ؛

في رسالة شكوى الغريب بل نستجلى آراءه من سائر آثاره .

### ١- مسألة النبوة

صرح عين القضاة في كتابه زبدة الحقائق بان : «حاصل ما يدركه العقل من حقيقة النبوة يرجع الى اثبات وجود شيء للنبي بطريق جملي من غير ادراك شيء من حقيقة ذلك الشيء و ماهيته . وهذا الايمان بعيد جدا من الايمان الذي يحصل لصاحب الذوق بحقيقة النبوة . ويكاد يكون التصديق المستفاد من العلم بحقيقة النبوة شبيها بتصديق يحصل لمن لا ذوق له في الشعر بوجود شيء مجمل . فإن من لم يرزق ذوق الشعر قد يتمكن ايضاً من تحصيل اعتقاد ما ؛ بوجود شيء لصاحب الذوق ولكن يكون ذلك الاعتقاد بعيداً عن حقيقة الخاصية التي يختص بها صاحب الذوق»<sup>١</sup> فالإيمان بحقيقة النبوة موقوف بنظر ابي المعالي على ظهور طور وراء طور العقل ووراء طور الولاية «فما ظنك بمن يكذب بطور الولاية وهو الذي يظهر بعد العقل ولا يظهر طور النبوة الا بعده ، وان صدق باللسان او اعتقد بالقلب انه مصدق بحقيقة النبوة فهو مخطيء ويكون مثاله في اعتقاده هذا مثال الاكمه اذا اعتقد انه صدق بوجود اللون وادراك حقيقته حيث ادراك وجود المتلون بقوة اللمس ؛ و هيهات فذلك بعيد عن ادراك حقيقة اللون»<sup>٢</sup> !

لقد انكر علماء عصره عليه هذا القول ظناً منهم بان من ادعى ان ادراك حقيقة النبوة موقوف على طور وراء طور العقل سد على الناس طريق الايمان بالنبوة اذ العقل هو الذي دل على صدق الانبياء . غير ان ابا المعالي يرد عليهم فيقول : «لست ادعى ان الايمان بالنبوة موقوف على ظهور طور وراء العقل بل ادعى ان حقيقة النبوة عبارة عن طور وراء

طور الولاية وان الولاية عبارة عن طور وراء طور العقل . . . وحقيقة الشيء غير وطريق الاعتراف غير . ويجوز ان يحصل للعاقل من طريق العقل تصديق طور لم يبلغه في نفسه بعد كما ان من حرم ذوق الشعر فقد يحصل له تصديق بوجود شيء لصاحب ذوق مع انه معترف بان لاخبر عنده من حقيقة ذلك الشيء<sup>١</sup>

لم يتطرق عين القضاة في كتاب الزبدة الى مسألة الايمان بالنبوة فحسب بل يتطرق ايضاً الى القول في تفضيل النبوة على الولاية كما انه يؤكّد لنا ، وخصوصاً في الشكوى بان النبي يشاهد امور الآخرة وان كل ما ذكره النبي في احوال الآخرة من «منكر ونكير وميزان وحوض وجنة ونار . . . ولذات وآلام . . . وجميع ماورد في القرآن ونطقت به الاخبار الصحاح فهو حق وصدق تؤمن به ايماناً لا تمارى فيه»<sup>٢</sup> ان رأى عين القضاة في النبوة كما عرضه في الزبدة و كما شرحه في الشكوى لا يتعارض مطلقاً مع تعاليم الاسلام غير ان لابي المعالي رأياً آخر في النبوة بيّنه في كتاب التمهيدات حيث يقول صراحة بان الولاية ارفع منزلة من النبوة . يقابل الهمداني بين الولاية والنبوة ويعدد خصائص النبي بانه يصنع المعجزات ويشاهد امور الآخرة ويدرك عالم الغيب في المنام ثم يضيف قائلاً : «ينعم الانبياء والرسل - عليهم السلام - بهذه الخصائص الثلاث كما ينعم الاولياء اذ للاولياء كرامات وفتوح وواقعات . وتحصل لهم هذه الخصائص في ابتداء امرهم واذا ما توقف الولي وصاحب السلوك عند هذه الخصائص وسكن اليها خيف عليه ان يسقط من القربة فتصير الكرامات والفتوح والواقعات حجاباً له يمنع من الوصول . يجب ان لا يتوقف الولي عند هذه الخصائص الثلاث لان بُعد القربة من الرسالة بعد الشربا من الشرى»<sup>٣</sup> .

وليست الولاية طوراً من القربة الى الله ارفع منزلة من النبوة فحسب بل إن كل ما يصفه النبي من احوال الآخرة ما هو الا تمثّل يساعد عامة الناس على الاهتمام بامور الغيب . فالنبي عند عين القضاة كما هو عند الفارابي وابن سينا رجل ملهم يعبر عن امور الآخرة بطريقة خيالية من شأنها ان تلبس حقائق الغيب الخفية صورة حسية تمكن العامة من فهمها والاقتناع بها .

واذا ما سألناهم عن ماهية امور الآخرة الحسية عارية من كل توهم وخيال قالوا لنا أن لا وجود لها لان الانسان هو روحه واذا ماتر كت الروح الجسد فلا يمكن ان تعرف قبراً وجنة وناراً وغير ذلك من الحالات الحسية . لنسمع عين القضاة ماذا يخبرنا عن حقيقة عذاب القبر : « اطلب القبر في ذاتك . كان مصطفى - صلعم - يدعو كل يوم ويقول : اللهم انى اعوذ بك من عذاب القبر . والحقيقة ان قبر الانسان جسمه ... اول ما ينكشف للسالك من عالم الآخرة احوال القبر فيعلم ان ما وعد به الفاسقون من عذاب القبر كالثعبان والحيات والنار ما هو الا تمثّل محض لان العذابات كلها فى داخل الانسان ... ولنقل كذلك فى منكر ونكير فهما فى داخل الانسان ... رحم الله ابا على بن سينا لانه اظهر بجلاء عجيب هذا المعنى بكلمتين حيث قال : المنكر هو العمل السيء والنكير هو العمل الصالح ... واذا ما اردت من المصطفى شرحا او فى عن عذاب القبر فاسمعه يقول : انما هى اعمالكم ترد اليكم ... وكذلك ينبغى ان تفتش عن الصراط فى ذاتك ... وكذلك ما الميزان الا العقل « حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا » ... وكذلك ينبغى ان تفتش عن الجنة والنار فى داخلك ... ولقد صدق ذلك شيخنا حيث قال : العشق هو الطريق ورؤية المعشوق هو الجنة والفراق هو النار والعذاب»<sup>١</sup> .

إنَّ فهم مسألة المعاد الجسماني وبالتالي الاقرار بوجود مادي للجنة والنار متوقف على فهم طبيعة الانسان . فاذا كان الانسان روحا لاغير وكانت علاقة الروح بالجسم امرا عرضيا كما ظن الفارابي وابن سينا وعين القضاة جاء القول بالمعاد الجسماني خاليا من كل اساس ، واذا ما كان جسم الانسان جزءاً اساسيا من وجوده لا الجزء الاساسي - كما تشهد بذلك التجربة ويؤيده التفكير الصحيح - اصبح من الطبيعي ان لا تستقر روح الانسان المفارقة استقراراً كاملاً الا اذا اعيد للروح رفيقها من جديد . ماهي طبيعة الجسم في عالم الآخرة ؟ لا يستطيع العقل البشري ان يحكم بصورة ايجابية في امور الآخرة لانها خارجة عن متناوله لكن العقل يحكم قطعاً باستحالة معاد اجسام من طبيعة اجسامنا الدنيوية ؛ واذا ما كان في موقف بعض الفلاسفة الذين نفوا معاد الاجسام شيء من الصواب فهو نفهم معاد الجسم بطبيعته الدنيوية . ونحن نرى ابن سينا في آخر حياته قد عدل عن الجزم بنفي المعاد الجسماني على العموم حيث يقول : «لِمَ لم يقبل النفس الكمال من المفارقات وما الذي يحصل له من الحس والبدن ؟ فان كان استعداداً ، فما القدر الذي يستعد به لقبول الكمالات الحقيقية بعد المفارقة ؟ ولم لا يجوز ان يحصل لها استعداد من استعمالها بعض الاجرام السماوية او غيرها على ما يجوز من استعمالها قبل المفارقة ؟ يجب ان تعلم اننا مقصرون عن ادراك براهين اللّم في هذه الاشياء بل اذا تأملنا الاحوال الموجودة ارتقينا منها الى كيفية الحال في الاحوال التي قبلها . والذي نعلمه انها ليست بكاملة وليس وجودها وجود المفارقات يكفيها في ان تكمل بل كأنها انما تستعد باحوال تحدث لها مع مباشرة الحس ؛ واما قدر هذا الاستعداد حتى تكمل به فلا أحقه ولعله ان يفتن للمفارقات . واما انها هل يمكنها ان تكتسب هذا الاستعداد باستعمال جسم بعد البدن ؟ فاما جسم مثل البدن

فلا واما الجسم السماوى فامر لا أحقه ولا امنعه ولعله يتهياً ذلك اذا اكتسب من  
البدن هيئة ما بها يتهياً استعمال الجرم السماوى ولعله لا يتهياً ذلك . وبالجملة فانا  
نعلم ان للنفوس المفارقة احوالاً لا تنف عليها ويلازمنا الاحتياط فى دار الكسب وطلب  
ما يمكننا من الاستعداد<sup>١</sup> .

## ٢- مسألة الشيخ والمرید

من اسباب تكفير عين القضاة وإباحة دمه رأيه فى علاقة المرید بشيخه . وهو  
يذكر هذا السبب و يدافع عن نفسه فيقول : «ومما انكروه على فصولاً ذكرت فيها  
حاجت المرید الى شيخ يسلك به طريق الحق ويهديه المنهج القويم حتى لا يضل عن  
سواء السبيل كما صح عن رسول الله - صلى الله عليه - انه قال : من مات بغير امام مات  
ميتة جاهلية ، و كما قال ابو يزيد البسطامى : من لم يكن له استاذ فإمامه الشيطان ...  
وقد اجمع ارباب الحقيقة من اهل التصوف على ان من لا شيخ له فلا دين له . هذا  
هو مرادى من تلك الفصول<sup>٢</sup> والخصم حمله على مذهب القائلين بالتعليم وفهم من  
ذلك القول بالامام المعصوم . وانى يستتب له هذا التعنت وقد اشتمل الفصل الثانى من  
تلك الرسالة < زبدة الحقائق > على اثبات وجود البارى - جل وعز - من طريق النظر  
العقلى والبرهان اليقينى ، ومعلوم ان التعليمى ينكر النظر العقلى ويزعم ان طريق  
معرفة الله - تعالى - هو النبى او الامام المعصوم<sup>٣</sup> .

ولعين القضاة فى كتاب التمهيدات رأى يشبه هذا رأى اذيقول : «لما كان  
ارشاد السرائر وهداية القلوب امراً لا حد له ولا حصر ، وجب ان يطلع الشيخ على كل  
شاردة وواردة من حياة المرید ؛ كما انه ينبغى ان يكون الشيخ طبيباً حاذقاً ليستطيع

١- المباحثات ص ١٩٧-١٩٨ وهو جزء من مجموعة متون نشرها الدكتور عبدالرحمن بدوى

بعنوان ارسطو عند العرب ج ١ ؛ ٢- راجع الزبدة ص ٧٢-٧٤ ؛ ٣- الشكوى ص ١٠-١١ ؛

ان يعالج مرض مریده اذ لكل داء دواء . . . ولما كان وجود الطبيب الحاذق امرأ ضرورياً للمريد اجمع المشايخ - قدس الله ارواحهم - بان الشيخ للمريد فريضة ولهذا قيل : « من لاشيخ له لادين له »<sup>١</sup> .

اذا دققنا فيما ذكره عين القضاة في كتب الزبدة والتمهيدات والشكوى عن اهمية الشيخ لارشاد المرید السالك لم نر في قوله ما يتعارض معارضة صريحة مع تعاليم الاسلام ؛ اما اذا تصفحنا مكاتيب ابي المعالي نراه لا يكتفى بان يؤكده على ضرورة الشيخ للمريد السالك كما فعل في كتابي الزبدة والشكوى بل يطلب من المرید أن ينقاد لشيخه انقياداً اعمى ويسلم له تسليمًا مطلقاً . كان عين القضاة يقضى كثيراً من وقته في ارشاد مریديه بالمراسلة وهاهو يكتب لاحدهم في اهمية التسليم للشيخ فيقول : « لاشروط لك الا ان تكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل . . . اعلم انه اذا ما صدقت ارادتك في طلب الحق قبض الله لشيخك العلم اللازم ليكتب لك ما فيه صلاحك . . . وانك لانعرف حقاً ما فيه صلاحك ، فشغلك اذن التسليم ، هذه وظيفتك وليس لك وظيفة اخرى . لقد وهبك الله ذاتك فشغلك الأوحى التسليم . والتسليم طريق طويل اذا ما طويته ظهر لك جماله واذا ما تمكنت في التسليم بانك لك طريق المعشوق . التسليم المطلق نهج المریدين و ما تبقى فعلى الشيخ المرشد . . . لو ارادت النملة ان تذهب من همدان الى الكعبة لتعذر عليها الامر غاية التعذر لكنها اذا ما بذلت جهدها ووقفت على جناح حمامة او باز فسرعان ما يوصلها الطائر الى الكعبة . لا يترتب على النملة الا ان تجد لنفسها محلاً على جناح الحمامة وما تبقى فليس من عملها »<sup>٢</sup> . ثم يؤكده عين القضاة على اهمية التسليم اذ هو ضروري

للإخلاص فى العمل ؛ فالإنسان إما ان يقوم باعماله وفقاً لـرغبته وميوله واما ابتغاء مرضاة الله خالقه وحبيبه ، والشيخ فى نظره الطريق الوحيد لعمل مرضاة الله : « تيقن بانك ان عملت عملاً من تلقاء ذاتك فلا يمكنك ان تقوم به لوجه الله ؛ أما اذا لم تفعل شيئاً بمرادك بل تزولاً عند امر شخص آخر حينئذ يكون عملك خالصاً لوجه الله »<sup>١</sup>

طرح احد مریدی عين القضاة على شيخه السؤال التالى : الاتعرف طاعة المرید للشيخ حدا ؟ هل يترتب على المرید ان يطيع شيخه طاعة عمياء ؟ فاجابه : « ميزة المرید الصوفى الأساسية هو ان لا يتبع طريق الله بل ان ينهج طريق شيخه واذا ما استقام فى سلوكك طريق شيخه اوصله الله الى ما اوصل اليه شيخه بدون عناء »<sup>٢</sup> ثم يوضح عين القضاة رأيه لمریده فى رسالة اخرى فيقول : « اعلم ان الارادة عند الصوفية ان يضحي المرید ذاته لشيخه فيجب اولاً ان يضحي دينه ثم يضحي ذاته . اندرى ما معنى ان يضحي المرید دينه لشيخه ؟ المقصود هو اذا ما طلب الشيخ من مریده امرأ يخالف دينه فما على المرید الا النزول عند امر شيخه ، لانه اذا لم يوافق المرید شيخه حتى فى مخالفة دينه فهو لا يزال مریداً لدينه الذى اختاره لامریداً لشيخه . . . اذا سلك المرید طريق شيخه كان مریداً حقاً اما اذا سلك طريقاً اختطه لنفسه فهو مرید نفسه لامرید شيخه »<sup>٣</sup> . « وقد يقول المرید لشيخه : انى مسلم وان الاسلام هو الصراط المستقيم الذى اذا ما سلكه العبد وصل الى الله ؛ يجب ان تبرهن لى اولا ان ما تأمرنى به يتفق مع نهج موسى يا عيسى يا محمد - عليهم السلام - لاننى لا اسلك طريقاً قبل ان اتيقن من صحته . لاشك ان مریداً يخطر بباله مثل هذه الخطرات لا يصلح للحياة الصوفية ، ولو كان اهلاً لها لما استولت عليه هذه

٢ - مکتوبات T ص ٢١٣ ؛

١ - مکتوبات T ص ١٣٨ ؛

٣ - مکتوبات T ص ٢٥٠ ؛



الخواطر . . . ان اول شرط للوصول الى الله التصديق باهمية تضحية الارادة الشخصية . . .  
والشرط الثانى انتخاب شيخ ما والتسليم له<sup>١</sup> .

واذا ما سلم المرید ذاته لشيخه هذا التسليم المطلق كان من الطبيعى : « ان  
تساوى المذاهب كلها فى نظر المرید ؛ فاذا ما وجد فرق بين الكفر والاسلام جاءت  
معرفة هذا الفرق سدا يحول بينه وبين الطلب الصادق ، الامر الذى يمنع المرید من  
الوصول الى مطلوبه . . . كل من يزعم بان طريق اليهود هى الطريق القويم الموصل  
الى الله ، او أنّ طريق المسيحيين هى الطريق المستقيم لا يحسب مریدا ، وكذلك ينبغى  
على المرید ان لا يجزم بان طريق المسلمين هى الطريق القويم فالطالب المرید  
لا يدري ايهما احسن : مذهب الكفار ام مذهب المسلمين لانه ان علم وقرق بينهما  
لم يكن طالباً يرغب الوصول الى الله . واذا اعمل التمييز بين الاديان فكيف يخطر  
بباله ان الاسلام خير من الكفر ؟ عزيزى اول خطوة ينبغى على طلاب الحق ان  
يخطوها هو ان يطرحوا جانباً ما اعتادوا عليه من المذاهب الموروثة حتى يصدق  
فيهم قول الشاعر :

بالقادية فتنة ما ان يرون العار عارا

لامسلمين ولا مجوس ولا يهود ولا نصارى

بحق الجلالة الازلية ! ان كل مرید طالب يفرق بين مذهب ومذهب ، حتى ولو كان  
المذهب مذهب الكفار او مذهب المسلمين ، ما خطى بعد خطوة مخلصه فى سبيل الله<sup>٢</sup> .  
لقد بالغ عين القضاة فى اعلاء قيمة الطاعة للتقرب الى الله فعزل العقل عزلاً تاماً  
من دائرة الحياة الروحية . والحقيقة ان فصل الارادة فى الانسان عن العقل هدم للارادة

٢ - مکتوبات T ص ٢٨ ؛

١ - مکتوبات T ص ١٢٩ ؛

ذاتها لانها تصبح انقيادا اعمى ويضحى الانسان عبدا للاهواء والشهوات . لابد للارادة من اتباع نور العقل لان العقل وحده يميز بين الحق والباطل و كل ما عليها ان تقوم به هو ان تريد الحق والخير باخلاص وتحرر من التعصب مخلصا في البحث عن الحق ؛ ثم عليها ان تنفذ ما رآه العقل حقاً وخيراً وان تعمل بما علمها العقل . لقد اخطأ ابو المعالي حينما قال بالتسليم المطلق للشيخ غير ان خطأه هذا ان دل على شيء فهو يدل على وعيه من خطر جسيم يعترض الانسان فيمنعه من الوصول الى الله و هذا الخطر هو الانانية وتأليه الذات . والطاعة انجع دواء لشفاء مرض الانانية القتال فاذا ما سلم المرید ارادته لشيخه سهل عليه ان ينتصر على انانيته وغروره .

لا يصح للانسان ان يسلم ارادته تسليماً مطلقاً الا لله الذي هو مصدر كل وجود وحق وخير واذا ما اسلم المرید ارادته لانسان مثله فلا يحسن ان يطيع شيخه الاوفقاً لشرطين اساسيين :

اولاً : ان لا يطلب الشيخ من المرید اموراً تتعارض مع الاخلاق ومع ما يعتقد المرید حقاً وخيراً وخصوصاً ان لا يعترض امر الشيخ مع ما اوحاه الله للبشر .

ثانياً : ان يكون الشيخ وسيطاً حقيقياً ائتمنه الله على ارشاد الناس .

لقد اهلل عين القضاة الشرط الاول من شروط التسليم للشيخ غير انه اهتم في الشرط الثاني وحاول ان يدلل على ان الشيخ كالنبي في امته او كل الله اليه ارشاد الناس : « اذا ما قيل لمحمد : وانك لتمهدى الى صراط مستقيم ؛ فقد قيل في حق الشيوخ : وممن خلقنا امة يهدون الى الحق وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا »<sup>١</sup> .

ان القول بضرورة تسليم المرید ذاته للشيخ تسليماً مطلقاً ادى بعين القضاة الى

نظرة خاصة في معنى الكفر والايمان ، فهو يعتقد ان المذاهب المتعددة تعبيرات مختلفة لسر الالوهية المتعالى عن كل تعبير ، لذلك نسمعه يقول : « عزيزى اذا ما نظرت الى عيسى كما ينظر اليه النصارى فاحرى بك ان تصير مسيحياً . واذا ما نظرت الى موسى كما ينظر اليه اليهود فاحرى بك ان تصير يهودياً ؛ وحتى اذا نظرت الى الاصنام كما ينظر اليها المجوسى فاحرى بك ان تصير مجوسياً . ان الائنين والسبعين مذهباً ما هي الامنازل مختلفة للطريق المؤدية الى الله »<sup>١</sup> .

لكن ذلك لا يعنى ان المذاهب لا تختلف فيما بينها اختلافاً اساسياً لان الموحدين « غير المجوس الذين يقولون بوجود الهين : اله النور واله الظلمة او اله الطاعة واله المعصية . . . » وكذلك هم غير الملاحدة الذين يقولون بان الافلاك صانع العالم والعناصر قديمة . لقد حرمت هذه الافكار الخاطئة المجوس والملاحدة من معرفة الحقيقة »<sup>٢</sup> .

غير ان اختلاف المذاهب لا يمنع الانسان من الوصول الى الله . فما على المرید الصادق الا ان يحب الله بجماع قلبه متناسياً ما بين الاديان والمذاهب من فروق لان « الكفر والايمان مقامان من وراء العرش حجابان بين الله وبين العبد . . . على الانسان ان يكون لا كافراً ولا مسلماً لان الذى هو مع الكفر والايمان مازال ينظر الى الله من وراء هذين الحجابين ، اما السالك المنتهى فلا يرضى الا بحجاب كبير بالله وذاته . اما سمعت ماذا يقول المصطفى - عليه السلام - : « لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل » ان هذا الحديث يوضح اسرار هذه المقامات الى ابدال ابدى ودهر الداهرين<sup>٣</sup> بمرتب على المرید أن يتجرد من كل مذهب غير مذهب عشق الله « لان العشق يا عزيزى

١- التمهيدات ص ٢٨٥ ؛ ٢- التمهيدات ص ٣٠٥ ؛

٣- التمهيدات ص ١٢٢ و ١٢٣ ؛

دين المرید ، وجمال المعشوق مذهبه . . . فمن عشق الله أصبح دينه لقاء جمال الله<sup>١</sup> . ثم يكشف لنا عين القضاة عن سر تاركه على ضرورة تسليم المرید ذاته للشيخ تسليماً مطلقاً . فهو يعتقد بان عشق الشيخ والتفاني في طاعته ما هو الا خطوة نحو عشق الله والتفاني في محبته لان : «عشق الله هو رأس مال الطالب السالك ولقد قال شيخنا : لا شيخ ابلغ من العشق ... وحينما سألت الشيخ : ما الدليل على الله؟ قال : دليله هو الله . ان في هذه الكلمة بياناً بليغاً : يعنى ان الشمس لا ترى بالقنديل بل اننا نعرف الشمس بالشمس . وهذا هو معنى عرفت ربي بربي . اما انا فأقول : العشق دليل السالك الى معرفة الله ، وكل من اتخذ شيخاً غير العشق فلا يعد سالكا اذ لا يتوصل العاشق الى المعشوق الا بالعشق ؛ وانه ليرى المعشوق على قدر عشقه وكما كان العشق اكمل زاد في نظر العاشق جمال المعشوق<sup>٢</sup> .

ما هو اصل اختلاف المذاهب في نظر عين القضاة وما هي علة وجود الكفار والموحدين ؟ «خلق الله الانسان بدافع المحبة فانقسمت هذه المحبة الالهية قسماً : نصف اخذه بطل بينما اخذ الثاني بطل آخر . ولقد عبّر حسين منصور الجلاج عن حقيقة العشق الالهى فقال : «ما صحت الفتوة لاحد الا لاحمد - صلعم - ولا بليس ، انعم احمد بذرة من العشق على الموحدين فجاؤوا مؤمنين ، وهب ابليس المجوس ذرة من العشق فجاؤوا كفرة يعبدون الاصنام . اما سمعت ما قال ذاك الشيخ الكبير : الجادة كثيرة ولكن الطريق واحد<sup>٣</sup> ؟ وما الحكمة من خلق محمد وابليس ؟ ان محمداً وابليس اسمان من اسماء الله وصفتان من صفاته «الصفة الاولى : الرحمن الرحيم والصفة الثانية الجبار المتكبر . لقد اوجد الله ابليس من صفة الجبروت واوجد احمد من صفة الرحمة . فصفة الرحمة غذاء احمد وصفة الفهر والغضب غذاء ابليس<sup>٤</sup> . كيف يمكن ان يكون

٢ - التمهيدات ص ٢٨٣ و ٢٨٤ ؛

١ - التمهيدات ص ٢٨٥ ؛

٤ - التمهيدات ص ٢٢٧ ؛

٣ - التمهيدات ص ٢٨٤ ؛

ابليس صفة من صفات الله وهو الذي عصى الله يوم عرض عليه السجود لآدم واصبح فيما بعد رسول الشر والعصيان ؟

لنسمع عين القضاة يجيب عن هذا السؤال الخطير فيقول : « يا حسرتاه ! لقد سمع جبريل وميكائيل وغيرهم من الملائكة في عالم الغيب ان اسجدوا لآدم ، بينما قال الله لابليس في عالم غيب الغيب لا تسجد لغيري . . . قال الله لابليس اذن علانية : اسجد لغيري ؛ بينما خاطبه سرا وامره ان يقول : أسجد لمن خلقت طيناً<sup>١</sup> ؟ !

ان عصيان ابليس في نظر الحلاج وعين القضاة امر اعتباري ظاهري لان ابليس في الحقيقة مثال المؤمن المتفاني في خدمة الله : فتمرر الشيطان ماهو الا تمرد في الظاهر لان ابليس في الحقيقة مثال الموحد المطيع لله ؛ وعداوته لله ماهي الا خدعة يمثلها ابليس على عين الخلق لانه في الحقيقة مثال العاشق الصادق اذ قبل ان يلبس لباس العداوة لله بينما هو في الحقيقة خليل الله الحميم . لنسمع ماذا يقول لنا عين القضاة عن عشق ابليس لله :

« عزيزي انك لاتدرى ماذا يسمون في العالم الإلهي ذلك العاشق المجنون الذي تدعوه في الدنيا ابليس . اذا عرفت اسمه وناديته به عدت نفسك كافراً . الويل لي ! ماذا تسمع ؟ لقد هام هذا المجنون بحب الله . أتري ما كان محك محبته لله ؟ المحك الاول البلاء والقهر والمحك الثاني الملامة والمذلة . قيل له : اذا كنت تدعى محبتنا لزمك ان تقيم الدليل على صحة دعواك . ثم عرض عليه محك البلاء والقهر ومحك الملامة والمذلة فقبل : وفي الحال جاء هذان المحكان دليلا على عشقه الصادق<sup>٢</sup> .

لقد لمّح الشيخ احمد الغزالي الى قصة ابليس في كتاب السوانح<sup>٣</sup> فذكر عشق ابليس لله

١- التمهيدات ص ٢٢٧ ؛ ٢- التمهيدات ص ٢٢١ ؛

٣- رسالة السوانح في العشق ص ٣٨ و ٣٩ طبع طهران ١٩٤٤ ؛

بكثير من الايجاز بينما نرى الحلاج يذكر القصة كاملة ويشرح مغزاها بالتفصيل .  
اتفق الحلاج وعين القضاة على القول بان محمداً و ابليس صفتان من صفات الله : محمد

١- نشيت هنا اهم ماقاله الحلاج عن محمد و ابليس نظراً لاهمية الموضوع : «ماصحت الدعوى لاحد الا لابليس واحمد صلعم - فيران ابليس سقط عن العين واحمد صلعم - كشف له عن عين العين . قال لابليس : اسجد ، ولاحمد : انظر . هذا ما سجد واحمد ما نظر ؛ ما التفت يمينا ولا شمالا «مازاغ البصر وما طنى» . . . وما كان في اهل السماء موحد مثل ابليس ؛ حيث ابليس تغير عليه الغير وهجر الالفاظ في السير وعبد المعبود على التجريد ولعن حيث وصل الى التفريد ، وظلب حين طالب بالمزيد . فقال له : اسجد ؛ قال : لاغير ؛ قال له : ان عليك لعنتي ؛ قال : لاغير .

مالى الى غير سبيل وانى محب ذليل

قال له : استكبرت ؛ فقال : لو كان لى معك لحظة لكان يليق فى التكبر والتجبر وأنا الذى عرفتك فى الازل . «أنا خير منه» لان لى قدمت فى الخدمة وليس فى الكونين اعرف منى بك ولى فيك ارادة ولك فى ارادة : ارادتك فى مابقتك ان سجدت لغيرك ، فان لم اسجد فلا بد لى من الرجوع الى الاصل لانك خلقتنى من النار والنار ترجع الى النار ولك التقدير والاختيار :

تيفنت ان القرب والبعد واحد وانى وان اهجرت فالهجر صاحب

النقى موسى - عم - و ابليس على عتبة الطور فقال له : يا ابليس ما منعك عن السجود ؛ فقال منعتى الدعوى بمعبود واحد ولو سجدت له لكنت مثلك فانك نوديت مرة واحدة «انظر الى الجبل» فنظرت ، ونوديت انا الف مرة «ان اسجد» فما سجدت لدعوى بمعناى . فقال : تركت الامر ؛ قال : كان ذلك ابتلاء لا امرا فقال موسى : لاجرم قد غير صورتك ... قال ابليس : يا موسى ذا وذا تلبيس ، والحال لا يعول عليه فانه يحول ؛ لكن المعرفة صحيحة كما كانت وما تغيرت وان الشخص قد تغير ؛ فقال موسى : الان تذكره ؛ فقال : يا موسى الفكرة لا تذكر ، انا المذكور وهو مذکور ، ذكره ذكرى وذكرى ذكره ؛ هل يكون الذا كرون الامعا ؛ خدمتى الان اصفى ووقتى اخلى وذكرى اجلى لانى كنت اخدمه فى القدم لخطى والان اخدمه لحظه . . . مانعتى عن الاغيار لغيرتى ... هجرنى لمكاشفتى ، كشفنى لوصلى ... وحقه ما اخطأت فى التدبير ولا رددت التقدير ولا باليت بتغيير التصوير . . ان عذبنى بناره ابد الابد ما سجدت لاحد ولا اذل لشخص او جسد ولا اعرف ضدا ولا ولدا ، دعوى الصادقين وانا فى الحب من الصادقين» كتاب الطواسين ص ٤١-٤٩ ؛ ثم يقص علينا الحلاج مناظرة جرت بينه وبين ابليس وفرعون يخلص منها بضرورة اقتدائه بالجبايرة المتمردين وباصراره على ادعاء الالهية على ما فى ذلك من كفر ظاهر وعصيان مفضوح : «تناظرت مع ابليس

البقية فى الصفحة التالية

صفة الرحمة لانه صفة النور والهداية وابليس صفة الضلالة لانه صفة الظلمة والكفر والخذلان . ومن الطبيعي في هذه الحالة ان يصدق فيهما الحديث النبوي القائل : « بعثت داعياً وليس الى من الهداية شيء ، وخلق ابليس مضلاً وليس اليه من الضلالة شيء »<sup>١</sup> . لقد اتفق الحلاج وعين القضاة على القول بان الشيطان في الحقيقة عاشق الألوهية الصادق وخادم الله الامين اما ما اخبر به الوحي عن ابليس على انه ملاك متمرد وعاص شرير وابوالغرور الحقد والبعض والرياء وكل ما هناك من الشرور فما ذلك في نظرهما الاتعبير مجازي . ولا بد لنا هنا من ان نتساءل فنقول : ايليق بالله ان يوحى لنا معلومات خاطئة ويصور لنا الباطل حقاً ؟ اذا ما كان ابليس حبيب الله وخليله فكيف يصوره لنا الله على انه عدوه اللدود ؟ والحقيقة ان اعتبار الشر في ابليس امر مجازي ادى بعين القضاة وغيره الى القول بان الشر في الانسان ايضاً امر اعتباري ومجازي لان كل ما يرتكبه البشر من الشرور من صنع الله اذ لا فاعل في الحقيقة الا الله : « هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن . . . او اه ! السعيد من سعد من بطن امه . . . والشقي من شقى من بطن امه . لذلك كانت افعال الخلق على قسمين : قسم يسبب القربة من الله وقسم يسبب البعد . ان الله خالقنا وخالق افعالنا . والله خلقكم وما تعملون - لذلك ترى الله يضع

## بقية حاشية الصفحة ١٩

وفرعون في الفتوة فقال ابليس : ان سجدت سقط عنى اسم الفتوة . وقال فرعون : ان آمنت برسوله سقطت من منزلة الفتوة . وقلت انا : ان رجعت عن دعواي وقولي سقطت من بساط الفتوة ؛ وقال ابليس انا خير منه حين لم يراء غيره غيرا ؛ وقال فرعون : ما علمت لكم من اله غيرى حين لم يعرف في قومه من يميز بين الحق والباطل . وقلت انا : ان لم تعرفوه فاعرفوا آثاره وانا ذلك الاثر وانا الحق لاني مازلت بالحق حقاً . . . فصاحبى واستاذى ابليس وفرعون ؛ ابليس هدد بالنار ومارجع عن دعواه وفرعون اغرق في اليم وما رجع عن دعواه ولم يقر بالواسطة البتة . وانا ان قتلت او صلبت او قطعت يداى ورجلاى مارجعت عن دعواي .  
كتاب الطواسين ص ٥٠ الى ٥٢ ؛

في طريق عباده ما يشاء ويقول : - هل من خالق غير الله - <sup>١</sup> ثم يضيف عين القضاة فيقول : « عزيزى كل ما رأيت عملاً يضاف الى غير الله احسب هذه الاضافة امراً مجازياً لا حقيقياً ولانعد الفاعل الحقيقي الا الله... لانظر هداية محمد للناس الا امراً مجازياً و كذلك قل في اضلال ابليس . الحقيقة هي ان تعلم - ان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء <sup>٢</sup> - . ولا بد لنا من التساؤل هنا ايضاً فنقول : اذا ما كان الله يخلق فينا الخير والشر فما الحكمة اذن من بعث الرسل ونصب الشرائع ؟ وما هي حقيقة حرية الانسان و بالتالى مسؤوليته اذا ما كان الله وحده هو المسؤول عن كل ما يرتكبه الانسان من المظالم ضد نفسه وضد ابناء جنسه و عما يرتكبه من العصيان والكفر ضد ربه وخالقه . ما قيمة شهادة ضمائرنا باننا مسئولين حقاً عن كل ما نقوم به من الخير والشر ؟ واذا ما كان الشر والكفر من عمل الله فما غاية الله من خلق الشر والكفر ؟ وكيف يمكن ان يريد الخالق الكامل الشر لمخلوقاته واحبائه ؟ ولا يكتفى عين القضاة بان يعزو الاضلال والكفر الى الله بواسطة ابليس بل نراه يقدم لنا نظرية ميتا فيزيقية فى معنى الشر والظلام وقيمتها الوجودية وان وجودهما ملازم لوجود الخير والنور فيقول : « عزيزى الحكمة هي ان كل ما وجد ويوجد وسيوجد لا يلبق ولن يلبق ان يكون على خلاف ما هو عليه : لا يلبق مطلقاً ان يكون البياض بلا السواد ؛ و كذلك لا يلبق ان تكون السماء بدون الارض ؛ ولا يتصور ان يكون جوهر بلا عرض و كذلك لا يلبق ان يكون محمد بلا ابليس ؛ ان الطاعة لا توجد بدون المعصية والكفر بدون الايمان و كذلك قل فى جملة الاضداد . وهذا هو معنى قول القائل : وبضدها تبين الاشياء <sup>٣</sup> .

٢ - التمهيدات ص ١٨٨ ؛

١ - التمهيدات ص ١٨٢ ؛

٣ - التمهيدات ص ١٨٧ ؛



٣- مسألة اتحاد المخلوق بالخالق او مسألة الحلول

نذكر اولاً العبارة التي انكرها الفقهاء على عين القضاة في هذه المسألة و تتبعها بالرد الذي كتبه هو دفاعاً عن نفسه ثم نعرض بعض الايضاحات التي ذكرها الشهيد الهمذاني في بقية كتبه ونختتم كل ذلك ببعض التعليقات على موقف عين القضاة من مسألة الحلول .

ومن جملة ما انكروه عليه قوله : « ان الله ينبوع الوجود ومصدر الوجود وانه هو الكل وانه هو الوجود الحقيقي وان ما سواه من حيث ذاته باطل وهالك وفان ومعدوم وانما كان موجوداً من حيث ان القدرة الازلية تقوم وجوده »<sup>١</sup> . فاجاب ان : « قولنا مصدر الوجود وينبوع الوجود كقولنا خالق كل شيء فمن اوله على غير ذلك فهو مخطيء . . . . . ولست انكر قولنا مصدر الوجود و ينبوع الوجود كلمات مجملة محتملة لمعان بعضها خطأ وبعضها صواب . . . . . وكيف وفي رسالتي < زبدة الحقائق > ما لو تأمله المنصف علم ان الخصم متعنت اذ الخصم ان كان يفهم من قولنا مصدر الوجود وينبوع الوجود تعريضاً بقدم العالم فقد ذكرت في تلك الرسالة قريباً من عشرة اوراق في حدوث العالم<sup>٢</sup> واقمت على ذلك البرهان القاطع ؛ وان كان يفهم منه تعريضاً بنفي علمه بالجزئيات<sup>٣</sup> فقد برهنت على ذلك بحيث لا يشك فيه عاقل »<sup>٤</sup> .

وقوله : « الحق ان الله هو الكثير والكل وان ما سواه هو الواحد والجزو »<sup>٥</sup> فاجاب شارحاً بان : « كل الموجودات بالنسبة الى عظمة ذاته كالجزء بالنسبة الى

١- الشكوى ص ٩ ؛ ٢- راجع الزبدة ص ٤٢-٤٤ .

٣- راجع الزبدة ص ٢٠-٢٧ ؛ ٤- الشكوى ص ١٠ ؛

٥- الزبدة ص ٢١ ؛

الكل وكالواحد بالنسبة الى الكثير اذ كل الموجودات قطرة من بحر قدرته .. وليس المراد ان الله اكبر من العالم بكثرة الاجزاء بل بعظمة ذاته والمقصود منه الرد على الفلاسفة حيث قالوا : ان الله لم يخلق الا شيئاً واحداً<sup>١</sup> .

وقوله : « اشرقت سلطنة الجلالة الازلية فبقى القلم وبقى الكاتب »<sup>٢</sup> فاجاب بذكر قول الخلدی بان : « التصوف حال تظهر فيها عين الربوبية وتضمحل فيها عين العبودية ؛ وهذا هو مرادى حيث اقول : فتلاشى العلم والعقل والقلب وبقى الكاتب بلا هو ... وقال ابوالحسن الاسرارى : التصوف هو سهوى عنى وتيقظى بربى »<sup>٣</sup> .

وقوله : « طار الطائر الى عشه »<sup>٤</sup> فاجاب على هذه العبارة مستشهدا بقول ابى سعيد الخراز : ان الله جذب ارواح اوليائه اليه ولذذاها بذكره<sup>٥</sup> . ثم يقول ذوالنون المصرى : ان لله عبداً ينظرون بأعين القلوب الى محجوب الغيوب فتسيح ارواحهم فى ملكوت السماء ثم تعود اليهم بأطيب جنى من ثمار السرور ... ومن ذلك انه تواجد رجل فى مجلس يحيى بن معاذ ف قيل له : ما هذا ؟ فقال : غابت صفات الانسانية وظهرت احكام الربانية ... وقال سليمان بن عبدالله : كل نفس يكون فيه ذكر الله فهو متصل بالعرش<sup>٦</sup> .

وقوله : « لو ظهر مما جرى بينهما (بين سلطان الازل والكاتب) ذرة لتلاشى العرش والكرسى »<sup>٧</sup> . فاجاب انه : « متى خرجت انوار العقول والفهوم تلاشت فى انوار الروح تلاشى انوار الكواكب والقمر فى نور الشمس . ومنها يتحقق ان المتصوفة

٢ - الشكوى ص ٢٨-٢٩ ؛

١ - الشكوى ص ٢٧ ؛

٤ - الشكوى ص ٢٧ الزبدة ص ٨٥ ؛

٣ - الشكوى ص ٢٩ ؛

٦ - الشكوى ص ٣٠ ؛

٥ - الشكوى ص ٢٨ ؛

٧ - الشكوى ص ٢٧ الزبدة ص ٨٦ ؛

لا يعنون بالتلاشى عدم الشيء في ذاته بل اختفاؤه بالنسبة الى مدركه . . . واحتراف  
العرش كتلاشيه ومن غاب عن نفسه فقد اتصل بربه واحترق في حقه كل ما سواه كما  
حكى عن ابي سعيد الخراز في حكاية انه قال : تهت في البادية فهتف بي هانف وقال :

فلو كنت من اهل الوجود حقيقة لغبت عن الاكوان والعرش والكرسى<sup>١</sup>

وقوله « كذلك تخيلوا ( علماء الظاهر ) في بعض الفاظها ( الفاظ رسالة زبدة

الحقائق ) دعوى للرؤية الحقيقية التي طلبها موسى - عليه السلام - فقبل له لن تراني<sup>٢</sup>

فاجاب بانه : « ليس المراد بالرؤية ما طلب موسى من ربه بل شيء آخر ظاهر الحقيقة

عند اهلها<sup>٣</sup> ثم ان علماء الظاهر لم يراجعوا ماجاء في زبدة الحقائق في هذا الموضوع

والالما : « غفلوا عن النص الصريح الذي لا يقبل التأويل : ان الله لا يتصور ان يراه احد

في الدنيا لاولى ولا نبي غير محمد - صلعم -<sup>٤</sup> .

وقوله : « ومما انكروه على في تلك الرسالة < زبدة الحقائق > ان الله منزه

عن ان يدركه الانبياء فضلا عن غيرهم والادراك ان يحيط المدرك بكمال المدرك

وهذا لا يتصور الا لله فاناً لا يعرف الله غير الله كما قال الجنيد<sup>٥</sup> .

فاجاب : « انما اشكل قولي على من اشكل من حيث ظن ان العلم بوجود الله

وبوجود صفاته من العلم والقدرة والحيوة . . . هو معرفة الله وادراك حقيقته وليس كذلك

. . . فالصوفية يفرقون فرقاً عظيماً بين العلم بالله وبين معرفة الله ؛ والعلم بوجود القديم

قريب واليه يشير قوله تعالى : « افى ذلك شك » ؟ فاما ادراك حقيقة الذات والمعرفة

الحقيقية فليس ذلك الا لله . . . والعارفون لا ينظرون الى الله من الاشياء بل ينظرون

١ - الشكوى ص ٢٨-٢٩ ؛ ٢ - الشكوى ص ٢٨ الزبدة ص ٨٥-٨٦ ؛

٣ - الشكوى ص ٢٩ ؛ ٤ - الشكوى ص ٢٨ الزبدة ص ٩٥-٩٦ ؛

٥ - الشكوى ص ٣٣-٣٤ الزبدة ص ١٣-١٤ ؛

في الله الى الاشياء كما قال ابوبكر : ما نظرت في شيء الا رأيت الله قبله . وليست هذه الرؤية من الرؤية الحاصلة في الآخرة في شيء بل الرؤية لفظ مشترك يطلقها الفقهاء والصوفية لمعان كثيرة .<sup>١</sup>

لنرى الآن رأى عين القضاة في مسألة اتحاد المخلوق بالخالق او حلول الخالق في المخلوق كما جاء في التمهيدات . قلنا ان العشق في نظر الهمذاني اساس علاقة الخالق بالمخلوق ، لكن كيف تنشأ هذه المحبة في قلب الانسان ، وكيف تتجلى محبة الخالق للمخلوق ؟ احب الله الانسان اولا اذ خلقه ولم يكن شيئاً مذكورا . وقد وعى عين القضاة أسبقية حب الله له فطار قلبه دهشة وفرحاً وعرفانا بالجميل ، واخذ يردد الآية القرآنية ، يحبهم ويحبونه ، ويهينم بها ما احلها على قلبه وما اعذبها على لسانه ! ان الله احبه فاتخذ قلبه عرشاً له . انها لتجربة لا يفهما الا العشاق !

و كذلك نرى عين القضاة يهينم بالاحاديث النبوية التي تعبر عما اكتشف من تجربة رهيبة ويتغنى بها : قلب المؤمن بيت الله وسكن الله وعرش الله ، ما وسعني ارضى ولا سمائي و وسعني قلب عبدى المؤمن ، لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فمتى احببته كنت له سمعاً وبصراً ولساناً فبى بسمع وبى يبصر وبى ينطق ، أنا جليس من ذكرنى الخ ... وهاهو يناجى ربه ويهمهم فى ضميره ليل نهار ويقول : لا اريد ان اعيش لذاتى بل لذك الاله المتعالى الذى تنازل وحل فى قلبى . لا هم لى الا عمل مرضاة الاله الحبيب والتخلق باخلاقه : ان اكلت او شربت او نمت او اشتغلت فاننى اقوم بكل هذه الاعمال من اجل حبيبى ، فله آكل واشرب وبه أسمع وارى . لقد صدق الشبلى حينما قال : العشق ناز فى القلوب فاحرقت ماسوى المحبوب . نعم احترقت فى كل ارادة شخصية .

وفنيت منى كل رغبة انسانية ، لست انا الذى اعيش بل اصبحت حياتى حياة خالقى  
وحبيبى . ولقد عبّر الحلاج عن هذه التجربة الحلولية تعبيراً صادقاً حينما قال :

أنا من اهوى ومن اهوى أنا	ليس فى المرأة شىء غيرنا
قد سهى المنشد اذ أنشده	نحن روحان حملنا بدنا
اثبت الشركة شركا واضحا	كلُّ من فرّق فرقا بيننا
لا أناديه ولا أذكره	إنّ ذكرى وندائى يا أنا
فاذا ابصرتنى ابصرته	و اذا ابصرته ابصرتنا

اذا تأملنا اجوبة عين القضاة كما ذكرها فى الشكوى واذا دققنا فى شرحه لمعنى  
اتحاد الخالق بالمخلوق او فناء المخلوق فى الخالق ، وتلاشيه واستغراقه ومحوه وما شابهها  
من هذه العبارات ، كما جاء فى كتاب التمهيدات تبين لنا انه لا يقصد من هذه الالفاظ  
الفناء الوجودى وضمحلل انسانية العارف اضمحلالا جوهرى بل يقصد بالانحاد او  
الحلول نوع من استيلاء الألوهية على الانسانية حتى وكأن الطبيعة البشرية تفقد  
القدرة على التصرف بذاتها بل تصبح اداة تستعملها الألوهية وتتصرف بها كما تشاء ؛  
ولقد عبّر الحلاج فى الابيات التالية عن المقصود باستيلاء اللاهوت على الناسوت خير  
تعبير حيث قال :

« سبحان من اظهر ناسوته	سرّ سنا لاهوته الثاقب
ثم بدأ لخلقه ظاهراً	فى صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه	كحظة الحاجب للحاجب ، <sup>٢</sup>

واذا ما استولى اللاهوت على ناسوت المؤمن صارت افعال الناسوت افعالا

١ - ديوان الحلاج المقطع الحادى عشر ، تحقيق الاستاذ مسينيون ؛

٢ - ديوان الحلاج المقطع السابع والخمسون ؛

للاهوت: فان شكر الناسوت الله كان اللاهوت يشكر نفسه بنفسه ، وان عرف الناسوت الله كان الرب يعرف نفسه بنفسه . ثم يستعير عين القضاة عبارات من اقوال الحلّاج تصور لنا حين تصوير كيفية فناء السالك عن رؤية نفسه و كيفية بقائه بالحق : « اذا اراد الله ان يوالى عبداً من عباده فتح عليه باب الذكر ثم فتح عليه باب القرب ثم اجلسه على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجب فيراه بالمشاهدة ، ثم ادخله دار الفردانية ثم كشف عنه رداء الكبرياء والجمال فاذا وقع بصره على الجمال بقى بلاهو ، فحينئذ صار العبد فانياً وبالحق باقياً ، فوقع في حفظه سبحانه وتعالى وبرىء من دعاوى نفسه »<sup>١</sup> .

والواقع ان كل ما نقل عين القضاة من الاحاديث النبوية و كل ما ذكر من اقوال المتصوفة لايعنى شيئاً آخر الا القول بان الله حل في قلب المؤمن وائخذه سبكتنا . ماذا يقصد عين القضاة بكلمة الحلول ؟ استعمل شهيد همدان كلمة الحلول في كتاب التمهيدات مراراً عديدة وقصد بها دائماً استيلاء اللاهوت على ناسوت العارف . ومن اقواله في الحلول : « اذا ما خالجت جذبة من جذبات الحق قلب العارف كانت سحراً . و كأن هذه الجذبة يدٌ تدك اركان الانسان دكا . . . عندها تتجلى حقيقة » رأى قلبي ربي « ويتحقق العارف من القول المأثور « كونوا ربانيين » . . . الويل لي ! فالحلول قد اسفر هنا عن وجهه ! عزيزي اذا اردت ان تحظى بالسعادة الابدية ، صاحب حلوليا ساعة من الزمن اى صاحب صوفيا لتعلم من هو الحلولى . لربما قصد هذا المعنى حينما قال ذلك الشيخ : الصوفى هو الله ... كل ما كان لله فهو للحولى الموجد ، و كل ما تسمعه منه فى هذا المقام فانك تسمعه من الله . الويل لي ! كل من اراد ان يسمع الاسرار الالهية بدون واسطة قلبه : ليسمعها من عين القضاة ؛ هذا هو معنى « ان الحق لينطق على لسان عمر . . . هنا اسفر الحلول عن وجهه ، هنا انجلى سرّ « تخلقوا باخلاق الله »<sup>٢</sup> .

هل تتعارض نظرية الحلول مع تعاليم الاسلام؟ ونقصد بالحلول كما قصد به  
 العلاج وعين القضاة يعنى حلول الله في قلب الانسان حتى يصير ارواحان في جسد  
 انساني واحد، لالحلول من يزعم بان الطبيعة كلها مظهر شخصي للالوهية. يعتقد  
 العلاج وعين القضاة وكثيرون من المتصوفة بان هناك تعارضاً اساسياً بين نظر الشريعة  
 ونظر الحقيقة؛ فالحلول هو الذي يعبر عن حقيقة علاقتنا بالله غير ان الشريعة تحرم  
 افشاء هذا السر العجيب وتبيح دم كل من يجراً على هتك سر الربوبية.

لقد عرف شهيد همدان بان افشاء تجربة الحلول امر خطير ربما ادى به الى الصلب  
 بعد التعذيب. كما انه علم كالحلاج بأنه يحق للشريعة لابل يتحتم على الشريعة ان  
 تبيح دم من يفشى سر الربوبية ويدعى بان الالوهية حلت في قلب المؤمن، فلنسمعه  
 يقول: «اواه! لا استطيع كلاماً! اما رأيت بان الشريعة صارت رقيباً على اولئك الذين  
 يفوهون بكلمة عن الربوبية؟ كل من يفشى سر الربوبية سفكت الشريعة دمه في  
 الحال»<sup>١</sup>. لكن كيف استطيع ان يخمد نار الحب الالهي، تلك النار الآكلة المتقدمة  
 في احشائه؟ لقد ذاق طعم الالوهية اذ أصبح قلبه عرش الله، ونعم بصحبة سلطان  
 السموات والارضين اذ صار فؤاده سكناً لرب العالمين، فكيف استطيع ان يخفي  
 الحياة الالهية النابضة في اعماق سريرته؟ سيفشى سر الربوبية ان لا عمل له بعد اليوم  
 الا ان يبوح بهذا السر العظيم! وانه ليمتنبأ بسفك دمه فرحاً طروباً، وانه ليمتشوق الى  
 ذلك اليوم بفارغ الصبر وها هو يكتب في السنوات الاخيرة من حياته: «عزيزي ان التلفظ  
 بكلمة العسل غير رؤية العسل، والنظر الى العسل غير اكله... جبذا لو تصبح حلولياً  
 مثلنا ليكون نصيبك ما سينزلوه بنا عن قريب. انظن بان القتل في سبيل الله مصيبة  
 او بلاء؟ كلا! ان القتل في عرفنا بمثابة الروح، ماذا تقول؟ الا يحب الانسان ان

يُنعم عليه بالروح ! .. آه من ذلك اليوم ، يوم علق على الصليب حسين منصور الحلاج أمير العشاق وقدوة العارفين ! عندها قال الشبلي : ناجيت الله في تلك الليلة فقلت : الهى الى متى تقتل المحبين . قال تعالى : الى ان اجد الدية . قلت : يا رب وما ديتك ؟ قال لغائى وجمالى دية المحبين . . . لقد اعطيناه (للحلاج) مفتاح سر الاسرار فأفشا سرنا فوضعنا فى طريقه البلاء حتى يحفظ سرنا الآخرون . عزيزى ما هو سر ك ؟ سر ك ان يقطع رأسك . عندها يصبح سر ك المولى . يا حسرتاه ! ليس هذا السر فى متناول كل انسان ! غداً بعد ايام معدودات سترى يا عزيزى عين القضاة قد حظى بهذا التوفيق فيقدم عنقه فداء هذا السر ليحظى بالامارة<sup>١</sup> . واذا ما تشوق شهيد همذان للاستشهاد فلم يكن ذلك الا استشهادا لحقيقة عاشها فصارت هى حياته ، ولم يقدم دمه قرباناً لنظرية حاكها الوهم والخيال .

اتفق عين القضاة مع الحلاج على القول بانه ينبغى على الشريعة ان تسفك دم من يبيع سر الربوبية فلنر الآن كيف يصور لنا شهيد بغداد تعارض نظر الشريعة والحقيقة فى مسألة الحلول : « قال ابو نصر البيضاوى : رأيت قطعة بخط الحلاج عند بعض تلاميذه ؛ اما بعد . . . اعلم ان المرء قائم على بساط الشريعة ما لم يصل الى مواقف التوحيد فاذا وصل اليها سقطت من عينه الشريعة واشتغل باللوائح الطالعة من معدن الصدق فاذا ترادفت عليه اللوائح وتتابعت عليه الطوائع صار التوحيد عنده زندقة والشريعة عنده هوسا فبقى بلاعين ولا اثر ، ان استعمل الشريعة استعملها رسماً وان نطق بالتوحيد نطق به غلبة وقهراً<sup>٢</sup> . ان قوام الشريعة التوحيد ، واساس التوحيد الاقرار بان لا اله الا الله العلى العظيم المتعالى عن كافة المخلوقات ان المسافة لامتناهية بين الخالق والمخلوق ؛ بينما نرى ان التجربة الحلولية التى عاناها الحلاج وعين القضاة تقوم على

١ - التمهيدات ص ٢٣٥ و ٢٣٦ ؛

٢ - اخبار الحلاج رقم ٤٧ تحقيق الاستاذ مسينيون ؛



محو الهوة السحيقة التي تفصل الخالق عن المخلوق ؛ فالحلاج يؤكّد لنا كما يؤكّد لنا عين القضاة من بعده أن الألوهية حلت في قلبه فاضحى وإياها وجوداً واحداً . ويروي عن عبدالودود بن سعيد بن عبدالغنى الزاهد قال : رأيت الحلاج دخل جامع المنصور . . . فقال : اعلموا ان الله تعالى اباح لكم دمي فاقتلوني . فبكى بعض القوم . فتقدمت من بين الجماعة وقلت : يا شيخ كيف تقتل رجلاً يصلى ويصوم ويقرأ القرآن ؟ فقال : يا شيخ المعنى الذي به تحقن الدماء خارج عن الصلاة والصوم وقرآنة القرآن ، فاقتلوني تؤجروا واستريح . فبكى القوم وذهب وتبعته الى داره وقلت : يا شيخ ما معنى هذا ؟ قال : ليس في الدنيا للمسلمين شغل اهم من قتلى . فقلت له : كيف الطريق الى الله تعالى ؟ قال الطريق بين اثنين وليس مع الله احد . فقلت بين من لم يقف على اشارتنا لم ترشده عباراتنا ثم قال :

حاشاك حاشاك من اثبات اثنين  
كلى على الكل تلبيس بوجهين  
فارفع بأنيك أنيبى من البين

أنت ام أنا هذا فى الهين  
هوية لك فى لائيتى ابداً  
بينى وبينك أنيبى بزاحمنى

لقد كشف الله للحلاج عن سر محبته اللامتناهية لانه اتخذ قلبه عرشاً لالهيته فهل يكتم عن بنى آدم اخوانه حقيقة هذا السر؟ اما دوت فى اذنى قلبه الكلمة المأثورة : شر الناس من اكل وحده ؟ انه لا يستطيع ان يخفى ما هو اظهر من الشمس فى رابعة النهار! اصف الى انه لا يريد ان يطفئ من قلبه هذه النار الالهية ولو كلفه ذلك تضحية حياته . أيتخاف الموت وهو ينتظره بفارغ الصبر؟ الا يود العاشق من صميم قلبه ان يفارق كل شيء لينفرد بالمعشوق ؟ وها نحن نرى الحلاج بهمهم نهاراً وليلاً :

ان فى قتلى حياتى ...

اقتلوني يا ثقتانى

من اجل المكرمات

ان عندى محو ذاتى



لوحة «ميناتور» فارسية من القرن الحادي عشر هجري مخطوطة باريس رقم  
١٤٨٩ صفحہ ٢٢٦ . اخذنا هذه اللوحة وباقي اللوحات الموجودة في الشكوى  
من كتاب آلام الحلاج تأليف الامتاز لويس مسينيون .

و بقائى فى صفائى  
سئمت نفسى حياتى  
فاقتلونى و احرقونى  
ثم مروا برفائى  
تجدوا سر حبيبى  
من فبيح السيئات  
فى الرسوم الباليات  
بعظامى الفانيات  
فى القبور الدارسات  
فى الطوايا الباقيات<sup>١</sup>

ماذا يصنع الحلاج والشريعة لن ترض عنه اذا ما افشى سر الربوبية ؟ الشريعة فى نظره الهية واحكامها مقدسة فمن العدل اذن ان تعامله كما تعامل سائر من يخالف تعاليمها وان تسفك دمه لانه لم يكتم سر الربوبية لذلك نراه يطلب من الله ان يغفر للذين سيقتلونه تعصباً للشريعة . ولقد ذكر لنا ابراهيم بن فاتك ، تلميذ المنصور الذى استشهد مثل استاذه ، رأى الحلاج فى الحلول واتحاد الخالق بالانسان المخلوق و كيف رضى بحكم الشريعة فى اباحة دمه فقال : « لما أتى بالحسين بن منصور ليصلب رأى الخشبة والمسامير فضحك كثيراً حتى دمعت عيناه . ثم التفت الى القوم فرأى الشبلى فيما بينهم فقال له : يا ابا بكر هل معك سجادتك ؟ فقال بلى يا شيخ . قال : افرشها لى . ففرشها فصلى الحسين بن منصور عليها ركعتين و كنت قريباً منه فقرأ فى الاولى فاتحة الكتاب وقوله تعالى : « لنبلونكم بشيء من الخوف والجوع » وقرأ فى الثانية فاتحة الكتاب وقوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » فلما سلم عنها ذكر اشياء لم احفظها و كان مما حفظته : اللهم انك المتجلى عن كل جهة المتخلى من كل جهة . بحق قيامك بحقى وبحق قيامى بحقك ، وقيامى بحقك يخالف قيامك بحقى فان قيامى بحقك ناسوتية وقيامك بحقى لاهوتية ، و كما ان ناسوتيتى مستهلكة فى لاهوتيك غير ممازجة اياها ، فلاهوتيتك مستولية على ناسوتيتى غير مماسة لها . وبحق قدمك

على حدثي وحق حدثي تحت ملايس قدمك ان ترزقني شكر هذه النعمة التي انعمت بها علي، حيث غيببت اغيارى عما كشفت لي من مطالع وجهك وحرمت على غيرى ما ابحت لي من النظر فى مكنونات سرك، وهؤلاء عبادك اجتمعوا لقتلى تعصبا لدينك وتقربا اليك فاغفر لهم فانك لو كشفت لهم ما كشفت لي لما فعلوا ما فعلوا، ولو سترت عنى ما سترت عنهم لما ابتليت بما ابتليت. فلك الحمد فيما تفعل ولك الحمد فيما تريد. ثم سكت وناجى سرا. فتقدم ابوالجوارث السيف فلطمه لطمه هشم انفه وسال الدم على شيبه<sup>١</sup>.

لم يشك الحلاج مطلقا وكذلك لم يشك عين القضاة بان قلب المؤمن عرش الله كما اتفقا على القول بان الشريعة الاسلامية تحرم افشاء سر الربوبية هذا وتبيح دم من يدعى ان الالهية قد حلت فى انسانية المؤمن وان الله قد اتخذ قلب الانسان عرشا وسكنا. ولكن ماهو رأى الشريعة الاسلامية فى مسأله الحلول؟ يمكننا ان نقسم موقف المسلمين فى مسألة الحلول الى اربعة اقسام: موقف الفقهاء، موقف المفسرين، موقف المتكلمين وموقف الصوفيين:

١- موقف الفقهاء: اما الفقهاء ففئتان: الفئة الاولى وهم الاكثرية الساحقة قد كفرت الحلاج كما كفرت عين القضاة وغيره ممن قالوا بنظرية الحلول من بعده ويمكننا ان نعتبر ابابكر محمد بن داود بن علي بن خالف الاصفهاني الملقب بابن داود ممثلا هذه الفئة وهو الذى افتى بقتل الحلاج فقال: اذا كان ما اوحاه الله لنبيه صحيحا فاقوال الحلاج مغلوطة مردودة.

اما الفئة الثانية من الفقهاء فهم الذين توقفوا عن الحكم على اقوال المتصوفة وعدوها خارجة عن اختصاص المحاكم الشرعية ويمكننا ان نعد ابا العباس احمد بن

عمر بن سريج ممثلاً لهذه الفئة ان قد طلب منه ان يفتى في قتل الحلاج فرفض . وجاء في اخبار الحلاج انه : « يروى عن ابراهيم بن شيبان انه قال : دخلت على ابن سريج يوم قتل الحلاج فقلت : يا ابا العباس ما تقول في فتوى هؤلاء في قتل الرجل ؟ قال : لعلمهم نسوا قول الله تعالى : أتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله ؟ وقال الواسطي : قلت لابن سريج : ما تقول في الحلاج ؟ قال : اما انا اراه حافظاً للقرآن عالماً به ماهرأ في الفقه عالماً بالحديث والاخبار والسنن صائماً الدهر قائماً الليل يعظ ويبكى ويتكلم بكلام لا يفهمه فلا احكم بكفره »<sup>١</sup> . و إن «حكيم ابن سريج هذا لا يزال معتبراً حتى اليوم وخاصة عند الشافعية»<sup>٢</sup> .

٢- موقف المفسرين : والمفسرون كذلك فستان نكتفي ان نلمح باولئك الذين ذكروا في تفاسيرهم اقوال المتصوفة في الحلول كابن عطاء والسلمي : فابن عطاء محدث وشيخ يعترف به الحنابلة ؛ اما تفسير السلمي فقد دُرس في مدرسة نيشابور ومدرسة النظامية ثم جدد نشره البقلي ولا يزال يعاد طبعه في الهند حتى اليوم .

٣- موقف المتكلمين : اما المتكلمون فنكتفي بان نذكر موقف علم من اعلامهم في مسألة الحلول ولقد لخص ابن تيمية رأيه في هذا الموضوع كما يلي :

« واما قول (الحلاج) بينى وبينك أنبيى نزا حمنى فارفع بحقك أنبيى من البين ، فان هذا الكلام يفسر بمعان ثلاثة يقوله الزنديق ويقوله الصديق : فالاول مراده به طلب رفع ثبوت أنيته حتى يقال : ان وجوده هو الحق وأنيته هي أنية الحق ، فلا يقال : انه غير الله ولا سوى الله . ولهذا قال سلف هؤلاء الملاحدة : ان الحلاج نصف رجل وذلك انه لم ترفع له الأنية بالمعنى فرفعت له صورة فقتل . وهذا القول مع ما فيه من الكفر والالحاد فهو متناقض ينقض بعضه بعضا ، فان قوله « بينى وبينك أنبيى نزا حمنى »

٢- آلام الحلاج ج ١ ص ٧٤٠ مسنيون ؛

١- اخبار الحلاج ص ١٠٦ و ١٠٧ ؛

خطاب لغيره واثبات أنيَّة بينه وبين ربه وهذا اثبات أمور ثلاثة ، ولذلك يقول :  
 « فرفع بحقك أني من البين ، طلباً من غيره . أن يرفع الأنيَّة وهو طلب الفناء .  
 والفناء ثلاثة اقسام : فناء عن وجود السوى وفناء عن شهود السوى وفناء عن عبادة  
 السوى . فالاول هو فناء اهل الوحدة الملاحظة كما فسروا به كلام الحلاج وهو ان  
 يجعل الوجود كله وجوداً واحداً .

واما الثاني وهو الفناء عن شهود السوى فهذا هو الذي يعرض لكثير من  
 السالكين كما يحكى عن ابي يزيد وامثاله ، وهو مقام الاصطلام وهو ان يغيب  
 بموجوده عن وجوده وبمعبوده عن عبادته وبمشهوده عن شهادته وبمذكوره عن ذكره  
 فيفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل . وهكذا كما يحكى ان رجلاً كان يحب آخر  
 فالقى نفسه في الماء فالقى المحب نفسه خلفه فقال : أنا وقعت فلم وقعت انت ؟  
 فقال : غبت بك عنى فظننت انك انى . فهذا حال من عجز عن شيء من المخالوقات  
 اذا شهد قلبه وجود الخالق ، وهو امر يعرض لطائفة من السالكين . ومن الناس من  
 يجعل هذا من السلوك ومنهم من يجعله غاية السلوك حتى يجعلوا الغاية هو الفناء  
 في توحيد الربوبية فلا يفرقون بين المأمور والمحذور والمحبوب والمكروه وهذا  
 غلط عظيم غلطوا فيه بشهود القدر واحكام الربوبية عن شهود الشرع والامر والنهى  
 وعبادة الله وحده وطاعة رسوله . فمن طلب رفع أنيَّته بهذا الاعتبار لم يكن محموداً على  
 هذا ولكن قد يكون معذوراً .

واما النوع الثالث وهو الفناء عن عبادة السوى فهذا حال النبيين وأتباعهم وهو  
 ان يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه ويحببه عن حب ما سواه وبخشية الله عن خشية ما سواه  
 وبالتوكل عليه عن التوكل عما سواه . فهذا تحقيق توحيد الله وحده لا شريك له ، وهو  
 الحنفية ملة ابراهيم . . . < حيث > يفنى < السالك > عن اتباع هواه بطاعة الله

فلا يحب الله ولا يبغض الله ولا يعطي الله ولا يمنع الله . فهذا هو الفناء الشرعى الذى بعث الله به رسله وانزل به كتبه ومن قال «فارفع بحقك انبى من البين بمعنى ان يرفع هوى نفسه فلا يتبع هواه ولا يتوكل على نفسه وحوله وقوته بل يكون علمه لله لالهواه وعمله بالله وبقوته لا بحوله وبقوته كما قال الله تعالى - اياك نعبد واياك نستعين - فهذا حق محمود<sup>١</sup> .

٤- موقف الصوفية: فمنهم فئة يقولون بالحلول كما اعتقده الحلاج وعين القضاة فيقرون بحلول الالهوية . فالشبلبي والنصر آبادى وابوسعيد بن ابى الخير وابن خفيف يعترفون باسالة تجربة الحلاج وبصحة مذهبه الصوفى ويجلون بطولته لقبوله الموت وقد اعدوا الطريق بموقفهم هذا للملحمة الحلاجية التى نظمها فريدالدين العطار فيما بعد<sup>٢</sup> . لكنهم ياكدون على ضرورة كتمان هذا السر الاعن الخلص من المريدين لان الشريعة لاتسمح بافشاء سر الربوبية . واذا ما اوجبت الشريعة سفك دم الولي فلا يخرج حكم الشريعة الصوفى الشهيد من حضيرة الاسلام لان كلا من الضحية والجلاد مسلم امين<sup>٣</sup> .

اما الفئة الثانية من الصوفية قد قبلوا التجربة الحلولية كما قال بها الحلاج وعين القضاة غير انهم عبروا عنها بقالب فكرى خاطىء زاعمين بان وجود العالم وجود موهوم وأن لا موجود فى الحقيقة الا الله . نهى هذه المقدمة بنقل مختصر لنظرية وحدة الوجود (عند ابن العربى واتباعه) كما عرضها وعلق عليها الشيخ احمد الفاروقى<sup>٤</sup> : «ظن

١- مجموعة الرسائل والمسائل ابن تيمية مصر ١٣٤١ ص ٨٢

٢- لقد صار الحلاج المصلوب فى الشعر التركى بمثابة الولي الاكبر وكذلك تجل البكداشية

صلب الحلاج وتكرم آلامه ؛ ٣- راجع آلام الحلاج مسينيون ج ١ ص ٣٠٥ . ٤- المتوفى

سنة ١٠٤١ هجرى والملقب بمجدد الالف الثانى لانه جدد الطريقة النقشبندية بعد الالف من الهجرة

فأسس النقشبندية الجديدة المنتشرة منذ اربعة قرون فى الهند والپاكستان والافغانستان ؛

أكثر المتصوفة والمتأخرين منهم بصفة خاصة ( يعنى ابن العربى والجمامى ومن تبعهم فى القول بوحدة الوجود ) بان الممكن هو عين الواجب وقالوا بان صفات الواجب من علم وقدرة الخ ... عين ذات الله تعالى وان الصفات لا تميز فيما بينها فلا يوجد فى الله تعدد فى الاسماء والأفعال وليس هناك تمايز وتباين ... وما الاسماء والصفات الاشئون واعتبارات ... ثم يقولون بأن الحقيقة المحمدية هى التعيين الاول للذات الواجبة وان التعيين الثانى هو حقائق الممكنات ويسمونها الاعيان الثابتة؛ وهذان التعيينان العلميان هما الوحدة والاحدية فلا موجود فى الحقيقة الا الذات الالهية اما الاعيان الثابتة فلم تسم رائحة الوجود الخارجى مطلقاً ولا يوجد فى الخارج الا الاحدية المجردة عن كل تعين ، والكثرة التى نظنها حقيقية ، ماهى الا صورة خيالية للاعيان الثابتة ... وتنقسم هذه الكثرة اذن الى ثلاثة اقسام : القسم الاول وهو التعيين الروحى والقسم الثانى هو التعيين المثلثى والقسم الثالث هو التعيين الجسدى ويتعلق بعالم الشهادة ... لم يذكر احد قط من المتصوفة قبل الشيخ محيى الدين بن العربى هذه العلوم ... ولم يشرح احدا الاحدية بهذا النوع من البيان . لقد تكلم المتصوفة قبله فى التوحيد والاتحاد فى غلبات السكر مثل قولهم : سبحانى ما اعظم شأنى وأنا الحق وغير ذلك من العبارات لكنهم لم يعينوا مقصودهم من الاتحاد ولم يهتدوا الى شرح حقيقة التوحيد . لذلك كان الشيخ برهانا للمتقدمين من هذه الطائفة وحجة للمتأخرين ومع ذلك بقى كثير من الذقائق مستور ... وفق الفقير الى جلالتهما<sup>٢</sup> ثم يشرح لنا الفاروقى كيف ان وجود العالم فى نظره ، ظلالاً لله لا امرأ خيالياً كما زعمه ابن العربى فقال : « ان وجود العالم

١- المكتوبات باللغة الفارسية للامام الربانى حرة المجدد الالف الثانى احمد فاروقى ج ٢ ص ٥ ؛

٢- مكتوبات الفاروقى ج ٢ ص ٦ و ٥ ؛



وجود خارجي ظلي بينما وجود الله وجود خارجي أصلي لذلك لا يصح ان يقال بان العالم عين الله ولا يجوز ان يحمل الواحد على الآخر لان العالم المخلوق والاله الخالق متغايران في الخارج . . . واذا قيل بان الشيخ محي الدين بن العربي واتباعه يقولون ايضاً بان العالم ظل الله فما الفرق بينك وبينهم ؟ انهم يعتبرون الوجود ظلاً بمعنى انه لا يوجد الا في الوهم وانه لم يشم رائحة الوجود الخارجي فكثرة الموجودات في نظرهم امر موهوم ولا وجود الا للوحدة والوجود الخارجي واحد وهو الله . . . بينما وجود الموجودات الظلي في نظر الفقير خارجي . . . فاطلاق الوجود على الموجودات الممكنة (المخلوقات) اطلاق حقيقي لا مجازي<sup>١</sup> .

واذا ما أكد الفاروقي على اصالة وجود الموجودات وعلى اشتراكها في الوجود الخارجي مع وجود الواجب - فذلك رد على من يقول بوحدة الوجود ويزعم بان الموجودات ما شمت رائحة الوجود الخارجي - لكن ذلك لم يمنع من التأكيد على التباين الاساسي بين المخلوقات الممكنة والخالق الواجب؛ فليست المخلوقات عين الخالق لان : «الممكن عدم وما انعكس على عدم من الاسماء والصفات الاشبح الاسماء والصفات ومثالها لا عينها» ، فالقول بان الله هو عين الاشياء قول خاطيء بل ينبغي ان يقال ان كل شيء من الله<sup>٢</sup> . واذا ما اختلفت الطبيعة الالهية الواجبة عن طبيعة المخلوقات الحادثة اختلافاً جوهرياً استحال على طبيعة المخلوق الحادثة الوجود ان تصير طبيعة واجبة الوجود . فمن المستحيل اذن ان تصبح الطبيعة الانسانية ، المخلوقة الحادثة ، عين الطبيعة الالهية . فتأليه البشرية لا يمكن ان يعنى ان الطبيعة البشرية اصبحت طبيعة الهية بل لا بد ان يفهم التأليه على معنيين لاثالث لهما .

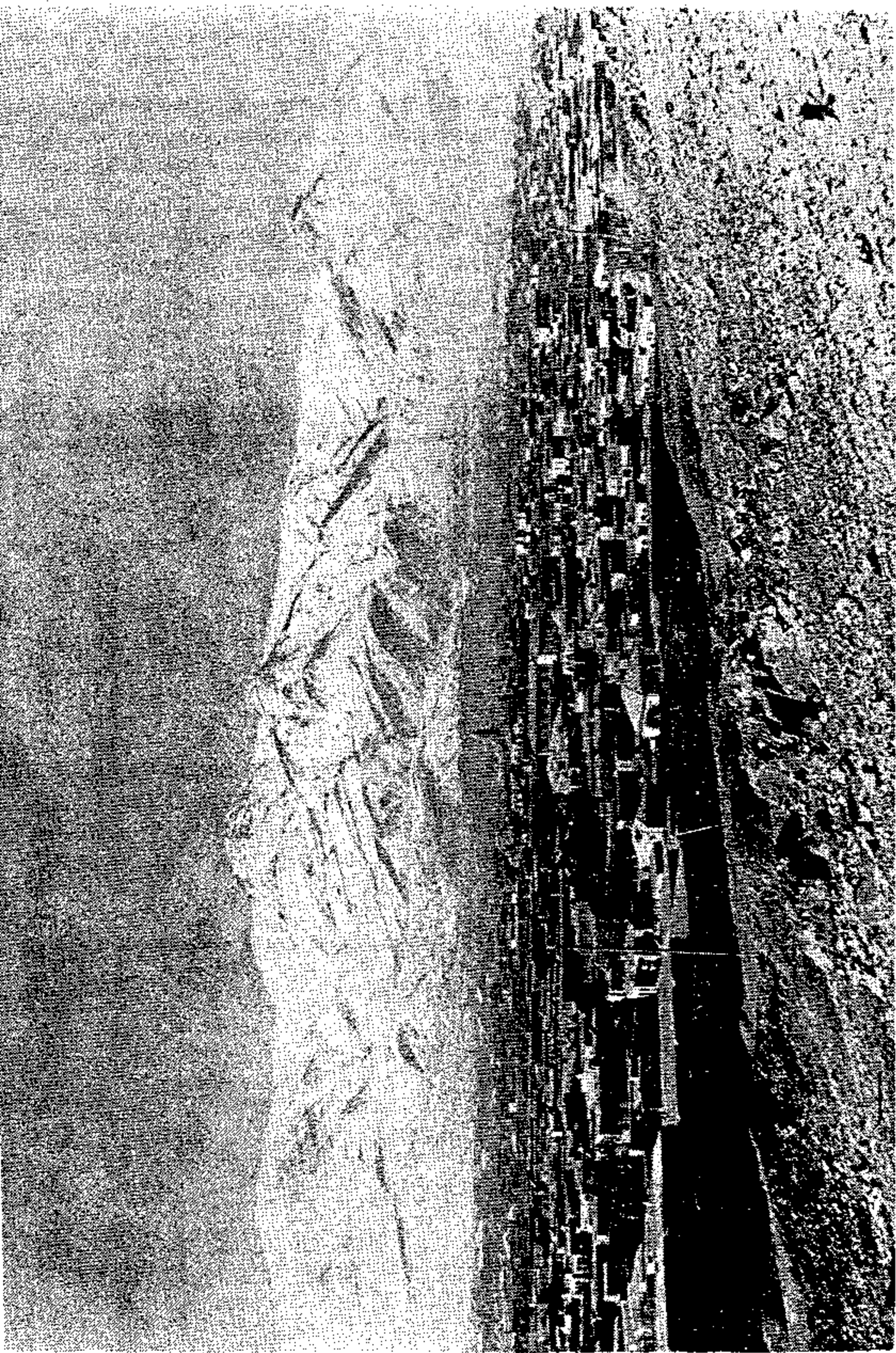
١- فاما ان نقول بان الطبيعة الانسانية اصبحت الهية اذا ما كان حاملها الشخص الالهى كما هي الحال فى المسيح الذى له طبيعتان ، طبيعة الهية وطبيعة انسانية ، فى شخص ميتا فيزيقى واحد .

٢- واما ان نقول بان الطبيعة الانسانية اصبحت الهية بنشاطها الروحى لاطبيعتها فاذا ما احبت الارادة البشرية خالفها بجماع قوتها كما يحب ذاته ، وعزمت ان لا تريد الا ما يريد الله و كما يريد اصبحت الهية لانها تشارك الله فى ارادته ؛ وكذلك اذا ما تقبل العقل ما اوحاه الله عن حقيقة ذاته وعاش من هذه الحقيقة الالهية اصبحت عقله الهيا لانه يشارك الله فى معقوليته لذاته .

اغتنم الفرصة فى خاتمة هذه المقدمة لاعبر عن بالغ امتناني للدكتور مينوچهر استاذ التصوف ومدير مطبعة جامعة طهران لاهتمامه بنشر هذه الرسالة كما اننى اشكر الصديق العزيز الاستاذ فارس ابراهيم حريرى لمساعدتى فى تنقيح طبعها .

عفيف عسيران

١ اوغست ١٩٦٢ }  
٢٩ صفر ١٣٨٢ } طهران



منظر من مدينة همذان وجبل اروند

## رسالة

### شكوى الغريب عن الأوطان الى علماء البلدان

3 أحقاً عبادَ الله أن لستُ صادراً      ولا وارداً إلا على رقيبٍ  
هذه لمعةٌ أصدرها الى المرموقين من العلماء و المشهورين فيما بين الفضلاء ،  
أدام الله ظلالهم ممدودةً على أهل الآفاق ولا زالت أقطارها مشرقةً بأنوارهم غاية  
الإشراق ، غريبٌ عن وطنه ومبتلى بصروف الزمان و محنه ، عن جفنٍ يلازمه الأرقُ  
6 و وسادٍ لا يفارقه القلقُ و بُكاءٍ طويل و زفرةٌ و عويلٌ ، وهم آخذٍ بمجامع قلبه  
وزاده كرباً الى كربه ، وفؤادٍ يشرقُ بالكمدِ أرجاؤه و يضيئُ عن تباريحه سُوبداؤه ،  
9 و قلبٍ أحرقه الفراقُ بنيرانه صبايةً الى أحبته و إخوانه ، ولوعةٌ تتلظى في الجوانح  
نارها و تظهرُ على ممرِ الأيام آثارها ، و مُنادمته للكواكب و مناجاته لها بالدموع  
السواكب :

12 أسجناً وقيداً واشتياقاً و غربهً      ونأى حبيبٍ ؟ إن ذا لعظيم !  
ومع هذا فالصديق يبتئ به بعض أشجانهِ ويستروحُ اليه عمّا يقاسيه من إخوانه ،  
ولا أخَ يشكو اليه صروفَ الدهر و يستعينُ به على ما يعالجه من شدةِ الأمر ، فهو  
15 يسهرُ الليلَ الطويلَ ويُقضى نهاره بما قيل :  
أكرّرُ طرفي لأرى من أحبُّه      وفي الدار ممّن لأحبُّ كثير

11-3 احقا ... السواكب M - B || 8 تباريح ، كلف المعيشة في المشقة والشدة || 13-15 ومع

... قيل M - B || 16 احبه B أحبه M ||

وأذا اشتدَّ به ضيقُ الصدر تعلَّلَ بإشادِ هذا الشعر :

وَأَنْزَلْنِي طَوْلُ النَّمَى دَارَ غَرْبَةٍ إِذَا سَيْئْتُ لَأَقِيْتُ امْرَأً لَا أَشَا كَلَهُ

أَحَامَتُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَعَاقَهُ

3

وإذا تذكرَّ عرارَ أروند و حوذانها ، و همذان و بها أرضعتُ ربَّاتُ الحجالِ

ليانها، تحدرتُ دموعه و تصدَّعتُ أ كبادُه وضلوعه و تَلَوَّى و جِداً عليها و أنشد شوقاً اليها

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَرَى الْعَيْنُ مَرَّةً ذُرَى قُلَّتِي أُرَوِّدُ مِنْ هَمْدَانَ

6

بِلَادُ بِهَا نَيْطَتْ عَلَيَّ تَمَائِمِي وَ أَرْضَعْتُ مِنْ عَقَاتِهَا بِلْبَانَ

و إذا تذكرَّ اخوانه أحمى بقول ابن الطَّشْرِيَّةِ لسانه :

لَيْتَ الرِّيَّاحُ يَجِئُنَّا بِكَلَامِهِمْ وَ يَجِئُهُمْ مِنَّا بِرَجْعِ كَلَامِ

9

بِرَسَائِلٍ يُمْرِضُنَا وَ وَسَائِلٍ يُشْفِينَا مِنْ غُلَّةٍ وَ هَيْسَامِ

ثم شدا بقول حبيب وهو يحنُّ حنينَ مشتاقٍ كئيب :

مَا أَقْبَلْتُ أَوْجُهُ اللَّذَاتِ سَافِرَةً مُدَّأُ بَرَّتْ بِاللَّوَى أَيَّامُنَا الْأَوَّلُ

12

وَأَغْرَوْنَا أَنْ يُغَلِّبَ الصَّبْرُ وَيَضِيقَ عَنِ كَتْمَانَ سِرَّهُ الصَّدْرُ ، فَالْمَكْرُوبُ إِذَا تَرَفَّعَتْ

5-1 وإذا ... اليها M-B || 3 حامقه : ساعده على حمقه || عاقله : غالبه فى العقل فغلبه ||

4 عرار : النرجس البرى || أروند يا الوند : اسم جبل نزه خضر نضرمطل على مدينة همذان || حوذان :

نبات طيب الطعم زهره احمر فى اصله صفرة || حجال : م حجلة والحجلة متر يضرب للعروس فى جوف

البيت اوبيت يزين لها . والمقصود بربات الحجال النساء || 7 نيط عليه الشئ : اى علق عليه || تمائم م.

تميمة وهى خرزة كانوا يعتقدون انها تمام الدواء و الشفاء . . . والتميمة قلادة من سيور و ربما جعلت

العوذة التى تعلق فى اعناق الصبيان ... وقال رفاع بن قيس الاسدى :

بِلَادُ بِهَا نَيْطَتْ عَلَيَّ تَمَائِمِي وَ أَوَّلُ أَرْضِ مَسْ جَلْدِي تَمْرَابِهَا

(لسان العرب ج ١٤ ص ٣٣٦) || عفات م عفة و عفاقة وهى بقية اللبن فى الضرع || 9 لبت M واذا B || تجئنا

B يجئنا M || 10 امرضه : وجده مريضاً || الغلة : العطش الشديد || 12 اللوى : بين الدخول و حومل

وهى اسماء امكنة فى الجزيرة العربية || 13 ترفيع : امتد و طال || 10-13 برسائل ... ترفعت M-B ||

زفراته نمت على أسراره عبراته ، و ليس للانسان بما لا يطيقه يدان . وما أنصف من  
قال وبين هذا الحال :

3 كتمت الهوى يوم النوى فترقت  
بسه زفرات ما بهن خفاء

يكدن يقطعن الحيازيم كلما  
تمطت بهن الزفرة الصعداء

والمرحوم من ازدحمت الهموم عليه فلم يجد من يتسلى به كما أشار بشار إليه :

6 وأبشت عمراً بعض ما فى جوانحي  
و جرعته من مر ما أتجرع

ولا بد من شكوى إلى ذى حفيظة  
إذا جعلت أسرار نفسى تطلع

و هل يستوعر الطريق من وجد الرفيق ، أو يتبرم بتنائى داره من ظفر بمن

9 يشاكله فى جواره ؟ ألا ترى الى قول ذى القروح وهو فى نزع الروح :

أجارتنا إن المزار قريب  
وإنى مقيم ما أقام عسيب

أجارتنا إنا غريبان هاهنا  
وكل غريب للغريب نسيب

12 فإن تصلينا فالمودّة بيننا  
وإن تهجرينا فالغريب غريب

وقد ذكرت بشعر ابن حجر قول طهمان بن عمرو :

ألا حبنا والله لو تعلمانه  
ظلالكم يا أيها العلمان

15 وماؤكما العذب الذى لو شربته  
و بنى صالب الحمى إذا شفانى

3 النوى : البعد || 4 الحيازيم : م. حيزوم وهو وسط الصدر «قطع الحيازيم» كناية عن نفاذ الصبر

|| تمطت بهن الزفرة : امتدت وطأت || الصعداء : النفس الطويل من هم أو تعب || 7 حفيظة : الحفاظ

للذب عن المحارم والمنع لها || 8 تنائى : ابتعاد || 9 ذى القروح : يعنى امرؤ القيس || 10 عسيب : اسم

جبل وقال الأزهري هو جبل بعالية نجد معروف ، يقال لأفعل كذا ما أقام عسيب ، وقال امرؤ القيس :

أجارتنا إن الخطوب تنوب  
وإنى مقيم ما أقام عسيب

(لسان العرب ج ٢ ص ٨٩) || 13 ذكر : تذكر || 15 صالب الحمى : الحمى الشديدة الحرارة ومعها

رعدة || 15\_1 زفراته . . شفانى M B ||

- فِإِنِّي وَالْعَبَسَى فِي أَرْضِ مَذْحِجٍ  
غريبان شتى الدار مُصْطَجِبَانِ  
3 غريبان مجفوانٍ أكبرُ هَمِنَا  
ذميلُ مطايبانا بكلِّ مكان  
فَمَنْ يَرِ مَمْسَانَا وَ مَلَقَى رِحَالِنَا  
من الناس يعلم أننا سُبْعَانِ  
وَمَا كَانَ غَضُّ الطَّرْفِ مِمَّا سَجِيَّةً  
و لَكِنَّمَا فِي مَذْحِجِ غُرْبَانِ
- و كَأَنِّي بِالرَّكْبِ الْعِرَاقِيِّ يُوَافِقُونَ هَمْدَانَ وَ يَحْطُونَ رِحَالَهُمْ فِي مِحَانِي مَاوَشَانَ  
6 وَقَدْ اخْضَرَّتْ مِنْهَا التَّلَاعُ وَالْوَهَادُ ، وَأَلْبَسَهَا الرَّبِيعُ حَبْرَةً يَحْسُدُهَا عَلَيْهَا الْبِلَادُ ؛ وَهِيَ  
تَفُوحُ كَالْمَسْكِ أَزْهَارُهَا وَيَجْرِي بِالْمَاءِ الزَّلَالِ أَنْهَارُهَا ، فَنَزَلُوا مِنْهَا فِي رِيَاضِ مَوْنِقَةٍ  
وَ اسْتَظَلُّوا بِظِلَالِ أَشْجَارِ مَوْرَقَةٍ ، فَجَعَلُوا يُكْرِرُونَ إِنْشَادَ هَذَا الْبَيْتِ وَهُمْ يَتَنَوَّحُونَ  
9 بِنَوْحِ الْحَمَامِ وَتَغْرِيدِ الْكُعَيْتِ :
- حَيَّاكَ يَا هَمْدَانَ الْغَيْثُ مِنْ بَلَدِ  
سَقَاكَ يَا مَاوَشَانَ النَّطْرُ مِنْ وَادِ
- ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُمُ الْإِخْوَانُ وَ سَاءَ لَهُمْ عَنْ أَحْوَالِنَا الشَّيْبُ وَ الشُّبَّانُ ، وَبَلَغَتْ الْقُلُوبُ  
12 الْحَنَاجِرَ وَأَخَذَتْ عِبْرَاتُهُمُ الْمُحَاجِرَ وَقَالُوا :
- وَقَالَتْ نِسَاءُ الْحَيِّ أَيْنَ ابْنُ أُخْتِنَا  
أَلَا أَخْبَرُونَا عَنْهُ حَيِّتُمْ وَفَدَا  
رِعَاةُ ضَمَانُ اللَّهِ هَلْ فِي بِلَادِكُمْ  
أَخُو كَرَمٍ يَرَعَى إِذِي حَسْبِ عَهْدَا  
15 فَإِنَّ الَّذِي خَلَفْتُمُوهُ بِأَرْضِكُمْ  
فَتَى مَلَأَ الْأَحْشَاءَ هَجْرَانُهُ وَجَدَا  
أَبْعَادُكُمْ تُنْسِيهِ أَرُونَداً مَرَبَعَا  
أَلَاخَابَ مَنْ يَشْرِي بِبِعْدَادِ أَرُونَداً

1 مذحج : اسم مكان من ذجح و ذحجت المرأة بولدها : رمت به عند الولادة || 2 ذميل المطايا : سير النياق سيراً لينا || 3 ممسى : المكان الذي يمسى فيه || 4 غروبان مثنى غرب : غريب || 5 مِحَانِي م محنية ومجنوة ومحنة وهي منعطف الوادي || 5 و 10 ماوشان : واد قرب همدان || 6 حبرة : ضرب من برود اليمن || 9 < كعيت > : عندليب ؛ كعيب B || 12 محاجر م. محجر وهو ما دار بالعين ، الحدقة || 5-12 وكأني . . . وقالوا M-B .

فَدَتُّهُنَّ نَفْسِي لَوْ سَمِعَنَ بِمَا أَرَى      رَمَى كُلُّ جَيْدٍ مِنْ تَنْهَدِهِ عِقْدًا

و كيف أنسى إخواني ولا أحنُّ إلى أوطاني و قد قال رسول الله - صلى الله عليه

وآله- : حُبُّ الوطن من الإيمان ! ولا خفاءَ بأنَّ حُبَّ الأوطان معجونٌ بفطرة الإنسان : 3

أَحَبُّ عِبَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَنَعَجٍ      وَ حَرَّةٍ لَيْلِي أَنْ تَصُوبَ سِحَابُهَا

بِلَادٌ تَلَقَّتْنِي بِهِنَّ قَوَابِلِي      وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَابُهَا

ولما قدم أصيل الخزاعيُّ من مكَّة على رسول الله - صلى الله عليه وآله- قال له : 6

صف لنا مكَّة ، فجعل يصفها له حتى قال : أَبْرَمَ سَامُهَا وَأَمْشَرَ إِذْخِرُهَا ، فقال له

عند ذلك : يَا أَصِيلُ دَعِ الْفُؤَادَ يَقْرَأُ . وسمع - صلى الله عليه - بلال ينشد :

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَّا لَيْلَةً      بَوَادٍ وَ حَوْلِي إِذْخِرٌ وَ جَلِيلٌ

وَهَلْ أَرَدْنَا يَوْمًا مِيَاهَ مِجَنَّةٍ      وَهَلْ يَبْدُونَ لِي شَامَةً وَ طَفِيلٌ

فقال له : حَنَنْتَ يَا ابْنَ السُّودَاءِ ؟ وَ إِذَا كَانَ أَمْثَالَهُمْ إِلَى الْإِوْطَانِ يَحْنُونَ ، وَيُظْهِرُ

عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ مَا يَضْمُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ وَيُحِبُّونَ ، فَكَيْفَ بِي عَلَى ضَعْفِي إِذَا مُنِيتُ بِالْغَرْبَةِ 12

و شدة الكربة وبلاء السجن و دوام الحزن :

I جيد: عنق || تنهده M تنهدها B || فدتتهن ... عقدا M - B || 2 فد M - B || 4 صاب السحاب :

انصب وهطل || 4 منعج : اسم مكان من نعج : سمن || حرة : ارض ذات حجارة سود نخرة كأنما احترقت

بالنار ... وللعرب جرار معروفة ذوات عدد : حرة النار لبني سليم وهي تسمى ام صبار ، و حرة ليلي ، و حرة

راجل ، و حرة النار لبني عيسى (لسان العرب ج ٥ ص ٢٥٣) || 4-5 احب ... ترابها M - B || 5 قوابل

م. قابلة وهي المرأة التي تأخذ الطفل عند الولادة || 7 ابرم : صار ضخما || سلم م. سلمة وهي شجرة من

العضاء يدبغ بها || امشرا الشجر : اكتسى خضرة || 7 و 9 اذخر : حشيش طيب الريح من الثيل ... واحدها

اذخرة وهي ثمرة كأنها مكاسح القصب ... و يطحن فيدخل في الطيب (لسان العرب ج ٥ ص ٣٨٩) ||

8 الفؤاد يقر B القلوب تقر M || 9 جليل : هونيت ضعيف يحشى به خصاص البيوت واحده حليلة ||

10 الشامة : النافقة السوداء ويقال : ماله شامة ولازهراء يعني ماله نافقة سوداء ولايبضاء ا الطفيل : الماء

الراكديبقى في الحوض || 11-13 فقال ... الحزن M - B ||



- فلو أنى و قلبى من حديدٍ      لذابٍ على صلابته الحديدُ  
ولو أن الغراب اهتم هَمى      وفكر فكرتى شاب الغرابُ
- 3 وقد ازدحمت الهموم علتى ولوت أعناقها التى ، و صارت الأحشاء لها مقبلا  
فلا يجد السلز إليها سبيلا ، و صرت أرى العدو كأنى صديقه إذ حملتنى نكبات  
الدهر مالا أطيعه . فلو كان ذلك بالجبال تصدعت ، أو بالصم الصلاب إذا لتقطعت :
- 6 فلو أن مابى بالحصى فاق الحصى      و بالريح لم يسمع لهن هبوبُ  
أجل وهذا الفن من العلم و إن كان أعلق بالطباع وأخف على الأسماع فقد  
ودعته و فارقتهُ منذ قاربت البلوغ و راهقته ، فأقبلت على طلب العلوم الدينية  
9 و اشتغلت بسلك طريق الصوفية . وما أقبح بالصوفى أن يُعرض عن شىء ثم يعود  
إليه ويُقبل بقلبه عليه . وغيرُ خاف أن من تبخر فى العلوم واطلع على سرّها المكتوم  
لم يُعاود أبجاد فى مساعدة قوم أو غادر . و معلومٌ عند العاقل أن الطبع يأبى على  
12 الناقل ، فمن غالبه صار مغلوباً ، و متى يكون المرغوبُ عنه مطلوباً ؟ وقد أعرب  
البدوى عن حاله فى هذه الابيات حيث التفت قلبه الى البداوة أشد الالتفات ، وكان  
أهل الحضرة و نازلة المدر يُشيرون <عليه> بتعلم الكتابة وهو يحن الى البدو

3 مقيل : موضع الفيولة . النوم أو الاستراحة فى الظهيرة || 5 الصم م . صماء و هى الأرض

الغليظة || 11 عاود الرجل : رجع الى الامر الاول || أبجاد : ابجد وهى اول الالفاظ التى جمعت فيها

حروف الهجاء فى اللغة العربية وهى ابجد خطى كالم سغف قرشت الخ ... || اوغاد م . وغد : وهو الضعيف

العقل و المقصود ان العالم لا يضيع وقته فى تعليم الاغبياء مبادئ القراءة والكتابة || 12 الناقل : فـ

نقل الشىء ، حوله من موضع الى موضع والمقصود هنا بالناقل من يريد ان يبدل سجية جبل عليها وان يغير

عادة ألفها || 14 المدر : مص . الطين الملك الذى لا يخالطه رمل . المدن والقرى لان بنيانها من المدر .

الحضر ويقابلها البدو || 14-1 فلو أنى ... البدو M-B

شوقاً إليه حتى راجع المؤلف في بداوته وقال فيما غلبه من غباوته :

- أتيتُ مهاجرين فعلموني  
ثلاثة أسطر متواليات  
كتاب الله في رقى نقي  
وآيات نزلن مفضلات  
وخطوا الى أبا جادٍ وقالوا  
تعلم سعفاً وقريشات  
وما أنا والكتابة والتهجى  
وما حظ البنين من البنات  
وما أنا أعود الى ما هو الغرض المقصود ، وأطالع أهل العلم لازالت مشاربهم  
العذاب مشارع الراد وأكنا فهم الرحاب مراتع الرواد بجلية أمرى وحقيقة حالى  
وما ابتلانى به التقدير مما لم يخطر ببالى ، وأستعيرهم أسماءهم لأقرعها باشجان  
قلب دام ، وأنشدهم ما قاله الطائى ابوتمام :
- أكبرنا عطفاً علينا فإننا  
بنا ظمناً برح وأنتم مناهل  
فرعى الله من ألقى سمعه إلى إذا كره ببعض ما جنت أيدى المقادير على ؛
- فقد أنكر على طائفة من علماء العصر ، أحسن الله توفيقهم وسهل الى خير الدارين  
طريقهم ونزع الغل من صدورهم وهباً لهم رشداً فى أمورهم ، كلمات مبثوثة فى  
رسالة عماتها منذ عشرين سنة ، وكان مقصودى من إملائها شرح أحوال يدعيها أهل  
التصوف وظهورها موقوف على ظهور طور وراء طور العقل والفلاسة لتلك  
الاحوال < منكرون > لأنهم محبوبسون فى مضيق العقل . و النبى عندهم عبارة  
عن شخص بلغ أقصى درجات العقل . وليس ذلك من الايمان بالنبوة فى شىء وإنما  
النبوة أنواع كمالات تحصل فى طور وراء طور الولاية ، و طور الولاية وراء طور

3 الرق : جلد رقيق يكتب فيه ا 7 مشارع م. مشرع و مشرحة : مورد الشاربه ا 10 برح :

- العقل . و نعى بطور الولاية أنّ الولى يجوز أن يكشفَ بمعانٍ لا يتصوّر للعاقل الوصول اليها و العُثور ببضاعتهِ عليها ، كما أنّ أبابكر الصديق - رضوان الله عليه -
- 3 كوشفَ فى مرض موته بأنّ امرأته تلد بنتاً حتى قال لعائشة : إنّما هما أختاك ، ولم يكن إذ ذاك من الأخوات إلا أسماء ، فعلم أنه كوشفَ بذلك . و كذلك قيل له فى مرضته هذه : ألا ندعو لك طبيباً ؟ فقال : عندى طبيبُ الأَطباء فقال أنا الفعّالُ لما
- 6 أريدُ ، فعلم من هذا أنه كوشفَ بموته . و من ذلك قولُ عمر - رضوان الله عليه - وهو يومئذٍ يخطبُ على المنبرِ : يا ساريةُ ، الجبلُ ! و سارية أميرُ جندهِ بنهاوند . فإنّ إحاطةً عليه بأحوال سارية و قومه وهو بالمدينة و همُ بنهاوند ، و بلوغَ صوته الى
- 9 سارية ، و معرفةً أبى بكر بأنّ امرأته تلدُ بنتاً و بأنه يموتُ فى مرضه ، معانٍ شريفةٌ و أمورٌ عاليةٌ لا يتصوّر الوصولُ الى أمثالها ببضاعةِ العقل بل بنورِ إلهى وراء العقل . و من هذا القبيل أنّ بعض الصحابة دخل على عثمان و كان قد نظر فى
- 12 طريقه الى امرأة فقال له عثمان : ما بال أحدٍ كم يدخلُ علىّ وفى عينيه أثرُ الزنا ؟ فقال له : أوحى بعد رسول الله ؟ فقال لا ، ولكن تبصرةٌ و برهانٌ و فراسةٌ صادقة . أما سمعت رسول الله - صلى الله عليه وآله - يقول : إتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ؟
- 15 و خرج علىّ - عليه السلام - من منزله صبيحةً يومه الذى قتل فيه فجعل ينشدُ ويكرّرُ :  
أشدُّ حيازيمك للموتِ فإنّ الموتَ لا قبك  
ولا تجزع من الموتِ إذا حلَّ بواديك
- 18 ولما قدّم هريم بن حيان الكوفة لزيارة أويس القرنى ، وكان قد قصده من

4 نهاوند : مدينة جبلية قرب همدان و عندها انتصر العرب بقيادة نعمان بن العفرن على الفرس

بقيادة ذى الحاجبين مرداناش سنة ٢١ هجرية || 16 حيازيم م . حيزوم : وسط الصدر و شد الحيازيم

للموت كناية عن التهيؤ و الاستعداد لاستقبال الموت || 1-18 العقل ... من M-B ||

- مكة ، لم ينزل يطلبه حتى ظفر به ، فلما سلم عليه ، قال له أوتيس : و عليك السلام يا  
هرم بن حيان ، فقال له هرم : من أين عرفت اسمي و اسم أبي وما رأيتك قبل اليوم  
ولا رأيتني ؟ فقال نبأني العليم الخبير ، عرفت روحى روحك حين كلمت نفسى نفسك ،  
3 إن الارواح لها أنف كأنفس الاجساد ، وإن المؤمنين أيعرف بعضهم بعضاً .  
والمقصود أن هدم أمور لا تدرك ببضاعة العقل . وقد أنكر علماء العصر على  
ذلك فيما أنكروه ظناً منهم بأن من ادعى طوراً وراء طور العقل فقد سد على الكافة  
6 طريق الايمان بالنبوة إذ العقل هو الذى دل على صدق الأنبياء . و لست أدعى أن  
الايمان بالنبوة موقوف على ظهور طور وراء طور العقل بل أدعى أن حقيقة النبوة  
عبارة عن طور وراء طور الولاية ، وأن الولاية عبارة عن طور وراء طور العقل كما  
9 سبقت إشارتى اليه . و حقيقة الشيء غير و طريق الاعتراف غير . و يجوز أن يحصل  
للعقل من طريق العقل تصديق طور لم يبلغه فى نفسه بعد كما أن من حرم ذوق  
الشعر فقد حصل له تصديق بوجود شيء لصاحب ذوق مع أنه معترف بأن لا خبر  
12 عنده من حقيقة ذلك الشيء .

- على أن الكمالات التى أنكروها على كلها موجودة لفظاً و معنى فى كتب  
الإمام حجة الاسلام أبى حامد الغزالي : وذلك كقولنا فى صانع العالم : أنه ينبوع الوجود  
15 ومصدر الوجود ، وأنه هو الكل ، وأنه الوجود الحقيقى وأن ما سواه من حيث ذاته  
باطل وهالك وفان و معدوم و إنما كان موجوداً من حيث أن القدرة الازلية تقوم  
وجوده . و هذه الالفاظ مذكورة فى مواضع كثيرة من « إحياء علوم الدين » و فى  
18 « مشكاة الانوار و مصفاة الاسرار » ؛ و فى « المتقذ من الضلال و المنفصيح عن الاحوال » و كل

ذلك من مُصَنَّفَاتِ الغزالي - رحمه الله - . وقولنا مصدر الوجود وينبوع الوجود كقولنا خالق كَلِّ < شئ > فمن أوله على غير ذلك فهو مخطئٌ دُونَ القائل . و الكلامُ 3  
 المُجَمَّلُ إِنَّمَا يُرْجَعُ فِي بَيَانِهِ إِلَى الْمُجِبِلِ لَا إِلَى خَصِمِهِ الْمُتَعَتِّ ، وَالْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ 3  
 لِسَانِهِ لِأَنَّهُ لَا تَحْتَ أَلْسِنَةِ خَصِمِهِ . وَلَسْتُ أَنْكِرُ أَنَّ قَوْلَنَا ، مَصْدَرُ الوجودِ وَيَنْبُوعُ الوجودِ  
 كَلِمَاتٌ مَجْمَلَةٌ مُحْتَمِلَةٌ لِمَعَانٍ بَعْضُهَا خَطَأٌ وَبَعْضُهَا صَوَابٌ وَ الْمُحَقِّقُ أَنَّ الغزالي لم  
 6 يُرِدْ إِلَّا ذَلِكَ :

أناك المرجفون برجم غيب على دهم فجئتك باليقين

و كيف وفي رسالتي ما لو تأمله المنصف علم أن الخصم متعت إذ الخصم إن 9  
 كان يفهم من قولنا مصدر الوجود و ينبوع الوجود تعريضا بقدم العالم فقد ذكرت  
 في تلك الرسالة قريبا من عشرة أوراق في حدوث العالم و أقمت على ذلك البرهان  
 القاطع ، و إن كان يفهم منه تعريضا بنفى علمه بالجزئيات فقد برهنت على ذلك  
 12 بحيث لا يشك فيه عاقل .

ومما أنكروه على فصولاً ذكرت فيها حاجة المرید الى شيخ يسلك به طريق  
 الحق و يهديه المنهج القويم حتى لا يضل عن سواء السبيل كما صح عن رسول الله  
 15 - صلى الله عليه - أنه قال : من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية ؛ و كما قال ابو يزيد  
 البسطامي : من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان ؛ وقال عمر بن سنان المنبجي وهو  
 من كبار المشايخ : من لم يتأدب باستاذ فهو بطال . وقد أجمع أرباب الحقيقة من  
 18 أهل التصوف على أن من لا شيخ له فلا دين له . هذا هو مرادى في تلك الفصول ،

1 الوجود B الوجود في حاشية 2 < شئ > - B || دون القائل : لا القائل . فالقائل مصيب و

المؤول مخطئ ، || 7 المرجفون : الذين يخوضون في إشاعة الاخبار السيئة والفتن قصد ان يهيجوا الناس

|| 10 < حدوث > حدث B || || 11 < فقد > و M || 18-1 ذلك ... الفصول B-M ||

- و الخصمُ حَمَلَهُ عَلَى مَذْهَبِ الْقَائِلِينَ بِالتَّعْلِيمِ وَ فَهِمَ مِنْ ذَلِكَ ، الْقَوْلَ بِالْإِمَامِ الْمُعْصُومِ .  
 وَأَنْبَى يَسْتَبِي لَهُ هَذَا التَّعْتُّ وَ قَدْ اشْتَمَلَ الْفَصْلُ الثَّانِي مِنْ تِلْكَ الرِّسَالَةِ عَلَى إِبْطَاتِ  
 3 وجود الباري - جلّ وعزّ - من طريق النظر العقليّ و البرهان اليقيني . و معلوم أنّ  
 التعلیمی يُنْكَرُ النَّظْرَ الْعَقْلِيَّ وَ يَزْعَمُ أَنَّ طَرِيقَ مَعْرِفَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - هُوَ النَّبِيُّ أَوْ الْإِمَامُ  
 الْمُعْصُومُ ، فَكَيْفَ يَسْتَجِيزُ الْخَصْمُ أَمْثَالَ ذَلِكَ وَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ -  
 6 يَقُولُ : يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ ! لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا  
 تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَ مَنْ يَتَّبِعْ اللَّهُ عَوْرَتَهُ  
 يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ . وَ مِنْ أَيْنَ يَجُوزُ لِلْعُلَمَاءِ أَنْ يَقُولُوا مِثْلَ ذَلِكَ وَ يَنْتَهِجُوا  
 9 فِي حَقِّ مُسْلِمٍ فَضَالًا عَنْ عَالِمٍ هَذِهِ الْمَسَالِكَ وَ قَدْ قَالَ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ - : مَنْ حَدَّثَ بِمَا رَأَى عَيْنَاهُ وَسَمِعَتْ أُذُنَاهُ كَتَبَهُ اللَّهُ مِنَ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ  
 تَشِيَعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا ، لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .  
 12 ثُمَّ لَمْ يَقْتَصِرُوا عَلَى مُجَرَّدِ الْإِنْكَارِ حَتَّى نَسَبُونِي بِهَذَا السَّبَبِ إِلَى كُلِّ قَبِيحَةٍ  
 وَحَمَلُوا أَرْبَابَ الْمَنَاصِبِ عَلَى أَنْ فَضَّخُونِي أَشَدَّ فَضِيحَةً :  
 اشاعوا لنا في الختي أشنع قصة .  
 وكانوا لنا سلماً فصاروا لنا حرباً .  
 15 وهذه سنةٌ قديمةٌ لله - تعالى - في عباده إذ لم يزل الفاضلُ محسوداً و بأنواع  
 الأذايا من العوامِّ و العلماءِ مقصوداً :  
 قد قيل أنّ الإله ذو ولدٍ .  
 وقيل أنّ النبيّ قد كهنا .  
 18 لم يسلم الله من معاندة الخلق ولا رسله فكيف أنا ؟

وَهَبُ أَنْ أَصْحَابَ الْأَغْرَاضِ وَجَدُوا فِي الْفَاطِمَةِ الْمُجَمَّلَةِ مَجَالِ الْأَعْتِرَاضِ  
فَمَاذَا يَقُولُونَ فِي نَصُوحِهَا الصَّرِيحَةِ الَّتِي لَا تَقْبَلُ التَّأْوِيلَ وَقَدْ حَضَرَنِي فِيمَا أَنَا بِصَدَدِهِ  
3 الشعرُ الذي قيل :

هل تطمسون من السماء نجومها  
بأكفكم أم تشرّون هلالها  
فدعوا الأسودَ خواديراً في غيلها  
لا تولعنّ دماءكم أشبالها

6 وما لي أستبعد ذلك والقرآنُ ينطقُ بالحقِّ ويقول: «لقد كان في يوسفَ وإخوته

آياتٌ للسائلين». و غيرُ خافٍ أن الحسدَ دعا إخوةَ يوسفَ إلى قتلِهِ حيثُ رأوهُ

أحبَّ إلى أبيهم منهم، ونسبوا أباهم يعقوبَ - عليه السلام - مع ذلك إلى الضلالِ كما

9 حكى عنهم في القرآن: «إنَّ أبانا لفي ضلالٍ مُبين». وإذا كان أولادُ الأنبياءِ

يجترئون في حقِّ أخيهم وأبيهم بسبب الحسدِ على مثل ذلك فلا عجب لو أقدمَ

أمثالنا في حق الأجنبي على أضعافه، وقال ابوطالب المكي - رَحِمَهُ اللهُ -: قد عدتُ

12 على إخوة يوسف من قولهم «ليوسفُ وأخوه أحبُّ إلى أئبتنا منا» إلى قوله «وكانوا

فيه من الزاهدين» نيفاً وأربعين خطيئةً بعضها من الصغائر و بعضها من الكبائر

قد يجتمع في الكلمة الواحدة خطيئتان وثلاثٌ وأربعٌ استخرجتها بدقيق النظرِ

15 في خفايا الذنوب .

والحسدُ من كبائر المهلكات ولا ينجو منه أحدٌ بنصِّ رسول الله - صلى الله عليه -

حيثُ يقول: ثلاثةٌ لا ينجو منهمُ أحدٌ: الظنُّ والطيرةُ والحسدُ. وقد وردَ في روايةٍ

5 خوادير م. خادر ف. خدر الاسد: لزم هرينه || الغيل، موضع الاسد || اولغه، سقاء ||

6-7 سورة ١٢ (يوسف) آية ٢ م || 9 سورة ١٢ (يوسف) آية ١٣ ك || 17 الطيرة ما يتشام به

- أخرى إمكان النجاة حيث قال - صلى الله عليه وسلم - : ثلاثة قل من ينجو منهم ،  
 وقال - عليه السلام - : الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب . وقال  
 3 - عليه السلام - : ستة يدخلون النار قبل الحساب يست : السلاطين بالجور ، والعرب  
 بالعصبية ، و الدهاقين بالكبر ، وأهل السواد بالجهل ، و التجار بالخيانة ، و العلماء  
 بالحسد . وقال - صلى الله عليه وآله - : كاذ الحسد يغلب القدر و لذلك أمر الله - تعالى -  
 6 محمداً بالاستعاذة منه فقال - جل من قائل - « قل أعوذ برب الفلق » الى قوله « ومن  
 شر حاسد إذا حسد » . وما على من الحاسد و غرضه الفاسد و يكفيه ما ابتلي به من  
 هذه الرذيلة و معاداته لأهل الفضيلة . و إرداءة هذا الخلق و ضلال من أفسده  
 9 قال الشاعر :

الأقل لمن يأت لي حاسداً      أتدرى على من أسأت الأدب  
 أسأت على الله في فعله      بأنك لم ترض لي ما وهب  
 12 فجازاك عنه بأن زادني      وسد عليك طريق الطلب

ولا غرو أن يحسدوني أو لا ترى قول الشاعر :

- وليس بعار أن يسب مسوداً      ويحسد ، والمحسود في موضع الثطب  
 15 ولا ذنب للمحسود وقد أتاه الله فضله ولولا ذلك لما تمتى الحاسد أن يكون  
 مثله . ولا عتب على من حسد من موقفاً يغادر من سابقه في حركات العلم مسبوفاً وقد  
 وطىء بقدمه قتم الكواكب حتى صار مفجراً للأبعد و الأقارب . فما أبعد عن  
 18 الكمال من يعادي الحساد ! ولقد أحسن من قال هذا البيت وأجاد :

4 دهاقين م . دهقان : رئيس أفليم || 6-7 سورة ١١٣ (الفلق) آية ١ وه ك || 14 مسود فاد .

سوده : جعله سيديا || قطب : حديدة في الطبق الاسفل من الرحي يدور عليها الطبق الاعلى . مدار الشئ .

سيدي القوم الذي يدور عليه امرهم || 1-18 اخرى ... واجاد B-M ||



أَعذُرُ حَسُودَكَ فِيمَا قَدْ خَصِصْتَ بِهِ

إِنَّ الْعُلَى حَسَنٌ فِي مِثْلِهَا الْحَسَدُ

3 هذا وقد نسبوني الى دعوى النبوة أيضاً بسبب كلمات من مصطلحات الصوفية  
ككَلْفِ التلاشي والفناء :

لقد ضربوني في هوى أمر جعفر بكل عصاً حتى رُميتُ بمغرفة

6 وما أبرد التعصب إذا انتهى الى هذا الحد ! وما أقبح الحسد ولا سيما بالعالم

إذا حمله على أمثال ذلك ! ثم لا يستحي أن ينسب مسلماً فضلاً عن عالم الى قبائح

معتقدات يستنكف أن يعتقدها المجوس و النصارى الذين يكذبون سيد الانبياء ،

9 لابل ولا يعتقدها البراهمة الذين هم لأصل النبوة منكرون ، و الزنادقة الذين

ينكرون المرسل مع الرسل :

رموني وإياها بشنعاء هم بها أحق ، أدال الله منهم فعجلاً

12 بأمرٍ تركناه و ربِّ محمدٍ عياناً فأما عفة و تجملاً

و أمثال هذه التمويهات لا تخفى على من جالس العلماء و زاحم برُكَبته

الفضلاء حتى وقف على الفرق بين الباطل و الحق ، و عرف المذاهب المُبتدعة

15 و الأباطيل المُخترعة و تحقق ما ادرج عليه السلف الصالح من سلوك الصراط

المستقيم و ملازمة المنهج القويم . و ما أليق ما قال الكوفي بهذه الحال فقد بين أن

أهل الفضل لا يضرهم ما يقول حسدة الجهال :

18 و إذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأنني فاضل

و كأنه نظر الى الأول و بيته الأعر المٌججل :

11 ادال الله فلانا من عدوه : جعل الكرة له على عدوه || 15 السلف : في حاشية المخطوطة .

العمل M || 18-1 اعذر ... فاضل M-B || 13 الاول : مقصوده المتنبى ||

- وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت، أتاح لها لسان حسود
- وغير خاف على العلماء أن لكل فريق اصطلاحاً متفقاً عليه فيما بينهم.
- 3 ولا يعرف اصطلاحات كل فريق إلا من سلك طريقهم، فربما لا يعرف النحوي اصطلاحات النساين من الشعب و القبيلة والبطن والفخذ (بسكون الخاء) والعشيرة والعمارة والتذييل وضرب النساء. كما لا يعرف النسابة اصطلاح النحاة من المغرب
- 6 و المبنى، والمبتدأ والخبر، والجملة المركبة من الفعل والفاعل، والمعرفة والنكرة، واللازم والمتعدى، والمفرد والمضاف، والمرخم والمفعول له ومعه، والأسماء المنصرفه وغير المنصرفه. وكذا التصريف لا يعرف اصطلاح المتكلم
- 9 من الجوهر والعرض، والتحيز والجسم، والكون والحركة والسكون، والاجتماع والكسب. كما لا يعرف المتكلم اصطلاح أهل التصريف من ذوات الثلاثة وذوات الأربعة والأجوف والناقص واللفيف والزيادة والإبدال والإدغام، اللهم إلا إذا
- 12 نظر في العلمين جميعاً فيكون عارفاً بالإصطلاحين. وكذلك الفقيه لا يعرف اصطلاح المحدثين من الضعيف والمتروك والغريب والعزيز والمشهور، ولا المحدث

4 النساين م. نساب : العالم بالانساب والنسب علم تعرف به القرابات التي بين القبائل فتلحق

فروعها باصولها || الشعب : القبيلة العظيمة || البطن من القوم دون القبيلة || الفخذ : حي الرجل ||

5 العمارة : الحي العظيم . القبيلة || 9 الكون : اسم لما حدث دفعة واحدة كإنقلاب الماء هواء ، فإذا

كان حدوث الشيء على التدرج فهو الحركة || الاجتماع : تقارب اجسام بعضها من بعض || 10 الكسب :

هو الفعل المفضى الى اجتناب نفع او دفع ضرر || 13 الضعيف من الحديث . ما كان ادنى مرتبة من الحسن

وضغفه يكون تارة لضعف بعض الرواة من عدم العدالة أو سوء الحفظ أو تهمة في العقيدة ، وتارة بعلل

أخرى مثل الارسال و الانقطاع والتدليس || الغريب من الحديث : ما يكون اسناده متصلاً الى رسول الله

صلعم - ولكن برواية واحد اما من التابعين او من أتباع أتباع التابعين || المشهور من الحديث : هو

ما كان من الأحاد في الأصل ثم اشتهر فصار ينقله قوم لا يتصور تواطؤهم على الكذب فيكون كالمتواتر

يَعْرِفُ اصطلاح الفقهاء من العَدَدِ و الشُّعَّةِ و الفرائض و الدور و الايلاء و الظهار  
 و الكتابة . و كذلك المُحاسبُ لا يعرفُ ما اصطلاح عليه الأصوليون من الفرع  
 3 و الأصل و العلة و الحُكم ، و الواجب و المندوب و المكروه و المحذور و المباح ،  
 و الموسع و المضيق ، و المُعين و المُخَيَّر ، و المُقَيَّد و المُطلق ، و الخاص و العام ، و الناسخ  
 و المنسوخ ، و التقليد و الاجتهاد . كما لا يعرفُ الأصوليُّ مصطلحات الحُساب من  
 6 الجمع و التفريق و الجذر و الكعب و الأضْم و المفتوح و الشيء و المال و أموال الأموال  
 و كعاب الكعاب . و العروضيُّ لا يعرفُ مُراد المنطقيِّ بالمحمول و الموضوع ،  
 و السلب و الايجاب ، و الحملتي و الشرطي ، و الضرب و الشكل . كما لا يعرف المنطقيُّ

I الشُّعَّة : هي تملك المجاور العقار المقصود ببيعه جبراً بدفع الثمن الذي قام عليه العقد ||  
 الدور : هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه ، ويسمى الدور المصرح كما يتوقف ا على ب وبالعكس ؛  
 أو بمراتب ويسمى الدور المضمحل كما يتوقف ا على ب وب على ج وج على ا || الايلاء : هو اليمين على  
 ترك وطء المنكوحة مدة ، مثل : والله لا اجامعك اربعة اشهر || الظهار : مص . ظاهر الرجل اي قال  
 لزوجته أنت على كظهر امي اي انت على حرام كأمه وبنته واخته || 2 الكتابة : اعتاق المملوك يدا حلالاً  
 ورقبة مالا حتى لا يكون للمولى سبيل على اكسابه || الاصول : العالم بالاصول والاصل هو ما يثبت حكمه  
 بنفسه ويبنى عليه غيره و اصول الفقه هو العلم بالقواعد العامة التي يتوصل بها الى الفقه || الفرع : خلاف  
 الاصل وهو اسم لشيء يبني على غيره || 3 العلة في الشريعة عبارة عما يجب الحكم به || الحكم : اسناد  
 امر الى آخر ايجاباً او سلباً و الحكم الشرعي عبارة عن حكم الله - تعالى - المتعلق بافعال المكلفين ||  
 المندوب عند الفقهاء : هو الفعل الذي يكون واجباً على تركه في نظر الشارع ويكون تركه جائزاً ||  
 4 <المعين> الميهم B || 5 الحساب م . حسابي : و هو العالم بالحساب || 6 الاسم : هو العدد الذي  
 لا يقسم قسمة صحيحة الاعلى نفسه || الشيء : العدد المجهول المرموز اليه بحرف ما س مثلاً || المال : هو  
 تجذير المجهول س ٢ || مال المال : هو تجذير المال س ٤ || كعب : هو تكعيب المجهول س ٣ كعب الكعب :  
 هو تكعيب المجهول المكعب س ٦ || 7 العروضي : العالم بالعروض والعروض ميزان الشعر || 8 الضرب :  
 هو اقتران القضية الصغرى بالكبرى في القياس الحملتي و يسمى قرينة ايضاً || الشكل : هو وضع الاوسط  
 عند الحدين الاخرين اي الحد الاصغر والاكبر والاشكال اربعة || 1-8 يعرف ... المنطقي M-B ||

مراد العروضي من السبب و الوتد و الفاصلة و البحر و الضرب و الطويل و المديد و البسيط و المتقارب .

- والمقصود من تمهيد هذه القاعدة أن يكدر عام رجالا عليه مدارهم ويجب 3 الرجوع في تعرف اصطلاحاتهم اليه ، فكذا الصوفية لهم اصطلاحات فيما بينهم لا يعرف معانيها غيرهم . وأعنى بالصوفية أقواما أقبلوا بكثرة الهمة على الله واشتغلوا بسلوك طريقه . و أول طريقتهم مجاهدة العدو و ملازمة الذكر وهم الموعودون 6 في الكتاب الاعظم بهداية السبيل كما قال - تعالى - : «والذين جاهدوا فيما لنهدينهم سبلنا» . فمن لم يعرف من المجاهدة ، و هي أول طريقة الصوفية ، إلا اسمها فكيف يجوز أن يتصرف في اصطلاحاتهم التي لا يعرف معانيها إلا المنتهون ! ومن لم يعرف 9 من الفقه إلا الاسم كيف يجوز له أن يتصرف في الفاظ لا يعرف معانيها إلا الأكابر من الفقهاء ؟ !

- و لم يكن السالكون لطريق الله في الاعصار السالفة و القرون الأول يعرفون 12 باسم التصوف وإنما الصوفي لفظاً اشتهر في القرن الثالث . و أول من سمي ببغداد

1 السبب الخفيف هو حرف متحرك بعد ساكن نحو : قم ومن ، والثقل هو حرفان متحركان مثل : لك وله || الوتد : ثلاثة احرف ثانيها وثالثها ساكن فان ساكن وسطها كما في «قول» فهو الوتد المفروق ، وان تحرك وسطها وسكن آخرها كما «على» فهو الوتد المجموع || الفاصلة الصغرى في علم العروض هي ثلاثة احرف متحركة يليها ساكن نحو «ضربت» . والكبرى اربعة احرف متحركة يليها ساكن نحو «ضربكم» والفاصلة من السجع بمنزلة القافية من الشعر || البحر : هو جنس الوزن ومن البحور : الطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل والمتقارب || الضرب : هو الجزء الاخير من المصراع الثاني ويسمى عجز ، وقافية عند البعض كما في المظول وغيره || الطويل : وهو بحر مختص بالعرب || 7-8 سورة 29 (الفنكبوت) آية

بهذا الاسم عندك الصوفي و هو من كبار المشايخ و قُدَمائهم و كان قَبْلَ بِشْرِ بْنِ  
الحارثِ الحافِي و السَّرِيِّ بْنِ المُفَلِّسِ السُّتَيْطِيِّ .

- 3 و المجاهدةُ لفظٌ مُفْرَدٌ كالفقه و الطب و النحو ، و كما لا يُعْرَفُ بِمعاني هذه  
الألفاظِ إِلَّا من نَظَرَ في هذه العلومِ نظراً مُحيطاً بِجَمَلِهَا و تفاصيلِهَا فَكذلك  
المجاهدةُ عِلْمٌ بِرَأْسِهَا و لا يُعْرَفُ إِلَّا من نَظَرَ فِيهِ نظراً شافياً . و على هذا العلمِ يشتمل  
6 «إحياءُ علومِ الدين» من أولِهِ إلى آخِرِهِ . و لم يُصَنَّفْ في بَدْءِ الإسلامِ في هذا العلمِ  
مثلُ «قوتِ القلوب» لِأبي طالبِ المَكِّيِّ على ما أُخْبِرْتُ . ثم عِلْمُ المِجَاهِدَةِ إِذَا حَصَلَ  
لِلطَّالِبِ لَمْ يُغْنِ ذَلِكَ عَنْهُ شَيْئاً دُونَ أَنْ يُجَاهِدَ كَمَا أَنَّ المَرِيضَ و إِنْ كَانَ حَازِقاً  
9 فِي الطَّبِّ لَمْ يَكْفِهِ ذَلِكَ دُونَ أَنْ يَشْرَبَ الدَوَاءَ الكَرِيهَةَ المَذَاقِ . ثم إِذَا حَصَلَ عِلْمُ  
المِجَاهِدَةِ وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هَدَاهُ اللَّهُ سَبِيلَهُ وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُن يَعْلَمُ كَمَا قَالَ  
تعالى : «إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً» ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَي نَوْرًا تُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ  
12 الحَقِّ وَالبَاطِلِ . و إلى هَذَا المَعْنَى يَشِيرُ قَوْلُهُ : «وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا» وَقَوْلُهُ : «وَلَوْ أَنَّ  
أَهْلَ الثُّرَيِّ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ» .

- وهداه هي الحكمة المشار إليها في قوله تعالى : «يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ»  
15 وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا» وَالحِكْمَةُ لَا تَحْضِلُ مِنَ القَالِ وَالْقِيلِ  
بَلْ هِيَ مِيرَاثُ الصَّمْتِ كَمَا قَالَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ صَمُوتًا وَقَوْرًا

5 المجاهدة علم برأسها : المجاهدة علم مستقل بنفسه || 11 سورة 8 (الأنفال) آية 29 م 12 سورة

24 (النور) آية 54 م || 12-13 سورة 7 (الأعراف) آية 9 || 14-15 سورة 2 (البقرة) آية 269 م ||

3-16 والمجاهدة . . . وقورا M-B ||

فاقتربوا منه فإنه يُدبِّنُ الحكمة أو يُبثِّثي « على اختلاف الروايتين . » و رأسُ الحكمة  
مخافةُ الله « كما يشهدُ له نصُّ الزبور .

- 3 ولم يخلُ في الاسلام قرنٌ من القرون عن جماعة كانوا يتكلمون بهذه العلوم  
فكان بعضهم يتكلمُ في علم السلوك و بعضهم في علم الوصول ؛ و بعضهم كان يتكلمُ  
على الناس عامةً و بعضهم على أصحابه خاصة . وقال الجنيدُ - رضى الله عنه - : صاحبنا في  
6 هذا الامر المُشار ، الذى أشار الى ما تضمَّنته القلوبُ و أوماً الى حقائقه بعد نبينا  
- صلى الله عليه وآله - ، على بنُ ابي طالب - عليه السلام - . و سُئل الجنيدُ عن على بن  
ابى طالب - عليه السلام - و معرفته بعلم التصوف فقال : أمير المؤمنين على - عليه السلام -  
لو تفرَّغَ الينا من الحروب لنقلَ عنه الينا من هذا العلم ما يقوم له القلوب ، ذاك امرؤٌ  
9 أُعطيَ العلمَ اللدني . وقال الجنيدُ : لو علمتُ أن لله - تعالى - علماً تحت أديم السماء  
أشرفُ من هذا العلم الذى تتكلمُ فيه مع اصحابنا و اخواننا ، لسَعيتُ اليه و لقصَدته  
و كان الجنيدُ يُنشدُ كثيراً :

12

علمُ التصوفِ علمٌ ليس يعرفهُ  
إلا اخو فطنةٍ بالفهمِ مرصوفُ

وليس يعرفهُ من ليس يشهدهُ  
وكيف يشهدُ ضوء الشمسِ مكفوفُ

- 15 و كان الجنيدُ و أحمدُ بنُ وهب الزيات يتكلمان في علم الصوفية ، و الجنيدُ  
يستفيدُ منه و يقدمه على نفسه ولم يتكلم الجنيدُ على الناس في الجامع حتى مات  
أحمد . و كان يقول : فقدنا علومَ الحقائق بموت أحمد الزيات . و قال الجنيدُ :  
18 « سألتني ابوبكر الكسائي عن ألف مسألة و ددتُ أنها لم تقع في أيدي الناس .  
و ابوبكر هذا من كبار المشايخ وهو الذى قال فيه الجنيدُ : « لم يقطع الينا جسرُ

- النهر وان مثل أبي بكر الكسائي . وها أنا إذ كُرِّجَماعة مَمَّنْ تَكَلَّمْ في هذه العلوم لِيَعْلَمْ  
أَنَّهُ لَمْ يَخْلُ عَصْرُ عَنْهُمْ . فَمَمَّنْ تَكَلَّمْ عَلَى النَّاسِ عَامَةً إِمَامُ الْأُئِمَّةِ أَبُو سَعِيدِ الْحَسَنِ بْنِ  
3. أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَكَانَ يُرْمَى فِي عَصْرِهِ بِمَذْهَبِ الْقَدْرِيَّةِ ، وَهُوَ أَجَلُّ قَدْرًا مِنْ أَنْ  
يُظَنَّ بِهِ ذَلِكَ . وَمَا أَصْدَقَ الْقَائِلُ :
- مَا ضَرَّ تَغْلِبَ وَائِلِرْ ، أَهْجَوُ تَهَا      أَمْ بُلَّتْ حَيْثُ تَنَاطَحَ الْبَحْرَانِ !..
6. وَقَدْ صَنَّفَ أَبُو نَعِيمٍ الْأَصْفَهَانِيُّ كِتَابًا وَ سَمَّاهُ « ذَبُّ الْقَدْرِ عَنْ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي  
الْحَسَنِ » وَ لَمَّا رَأَاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أُعْجِبَ بِهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَأَذِنَ لَهُ  
فِي الْكَلَامِ وَمَنَعَ جَمِيعَ مَنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ عَلَى النَّاسِ بِالْبَصْرَةِ وَقَالَ : هَذِهِ بِدْعَةٌ لَمْ  
9. نَعْمَدْهَا فِي الْعَصْرِ الْأَوَّلِ . وَكَانَ الْحَسَنُ يُشْبِهُ كَلَامَهُ بِكَلَامِ الْأَنْبِيَاءِ وَ هَدْيُهُ يَهْدِي  
الصَّحَابَةَ . وَكَانَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ يَقُولُ : سَأَلُوا مَوْلَانَا الْحَسَنَ . وَكَانَ  
أَكْثَرَ كَلَامِهِ فِي آفَاتِ الْأَعْمَالِ وَ وَسَاوِسِ الصُّدُورِ وَ خَفَايَا الصِّفَاتِ وَ شَهَوَاتِ النُّفُوسِ .  
12. وَقِيلَ لَهُ : يَا أَبَا سَعِيدٍ نَرَاكَ تَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ لَيْسَ يُسْمَعُ مِنْ غَيْرِكَ فَمِنْ أَيْنَ أَخَذْتَهُ ؟ قَالَ :  
مِنْ حَذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ . وَكَانَ حَذِيفَةُ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ لَا يُسْمَعُ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ فَسُئِلَ  
عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - عَنِ الْخَيْرِ وَيَقُولُونَ :  
15. يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لِمَنْ عَمِلَ كَذَا وَ كَذَا ؟ وَ كُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ وَأَقُولُ : مَا يُفْسِدُ كَذَا  
وَ كَذَا ؟ فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - أَسْأَلُ عَنِ آفَاتِ الْأَعْمَالِ خَصَّنِي  
بِهَذَا الْعِلْمِ . وَكَانَ يُسَمَّى صَاحِبَ السَّرِّ ، وَقَدْ أُفْرِدَ مِنْ بَيْنِ الصَّحَابَةِ بِعِلْمِ النِّفَاقِ وَهُوَ  
18. فِيمَا قَالَهُ عُلَمَاؤُنَا سَبْعُونَ بَابًا لَا يَعْرِفُ دِقَائِقَهَا وَ غَوَامِضَهَا إِلَّا الْمَخْصُوصُونَ بِهِ مِنْ

I النهر وان : ناحية في العراق بين بغداد و واسط || 15 ما لمن عمل كذا و كذا : ماهي حالة من

فعل كذا و كذا || 18-1 النهر وان ... من M-B ||

السالكين الراسخين في العلم . وكان عمر و عثمان و أكابر الصحابة يسألونه عن  
الفتن العامة و الخاصة فيخبرهم بها .

- 3 ومن قدام الوعاظ الذين يتكلمون على الناس : ابوالسوار حسان بن حريث  
العدوي ، و طلق بن حبيب وهو الذي قال فيه السختياني : ما رأيت أعبداً من طلق .  
و منهم فرقد السنجي وهو الذي اعترض على الحسن في كلامه حين سيعه منه فقال :  
6 ما هكذا يقول فقهاؤنا . فقال له الحسن : تكلمك أمك فريتد ! وهل رأيت بعينيك  
قط فقيها ؟ الفقيه من فقه عن الله أمره ونهيته . و منهم ابوعاصم المذكري وهو من قدام  
مشايخ الشام ، و صالح المري الذي حضر مجلسه سفين الثوري فأعجبه كلامه وقال :  
9 هو نذير قومه . و منهم عبدالعزير بن سلمان وهو الذي دعا لمتعد في مجلسه فانصرف  
الى اهله ما شيا . و منهم الفضل بن عيسى الرقاشي . و من مشاهير المشايخ ابوعلى  
الحسن المسوحي كان يتكلم في مسجد المدينة و كان الجنيد يحضر مجلسه و يأخذ  
12 عنه إلا أنه كان لا يتكلم في علم الوصول بل في علم السلوك . و منهم ابوسعيب  
المراذي و اسمه المقفع ، خير في بعض مكشفاتيه بين اشياء فاختر من جعلتها البلاء  
فذهبت عيناه و بداه و رجلاه .
- 15 و من كبارهم محمد بن ابراهيم المعروف بابي حمزة البغدادي البراز و كان  
له في جميع علوم الصوفية لسان و كان أحمد بن حنبل يسأله عن اشياء ويقول : ما  
تقول في كذا و كذا يا صوفي ؟ وهو أول من تكلم ببغداد في هذه العلوم و ظهر له  
18 بطرسوس قبول عظيم ، و أقبل عليه الناس ثم سمعوا منه في حالة سُكره كلاماً  
شهدوا عليه بالزندقة و مذهب الجلولية ، و أخرجوه من طرسوس و أُغير على دوابه



و نُودِيَ عَلَيْهَا : هَذِهِ دَوَابُّ الزَّنْدِيقِ ، وَلَمَّا أُخْرِجَ مِنَ الْبَلَدِ جَعَلَ يُنْشِدُ :

لَكَ مِنْ قَلْبِي الْمَكَانُ الْمَصُونُ      كُلُّ عَتَبٍ عَلَيَّ فِيكَ يَهُونُ

- 3      وَمِنْهُمْ الْعَلَمُ الْمَشْهُورُ أَبُو الْقَاسِمِ الْجُنَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَنَصْرُ بْنُ رَجَاءٍ وَهُوَ مِنْ أَقْرَانِ الْجُنَيْدِ ، وَمِنْهُمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْبَلْخِيُّ ، وَابُو الْحُسَيْنِ بْنُ شَمْعُونٍ وَكَانَ يَتَكَلَّمُ عَلَى النَّاسِ فِي مَسْجِدِ بَغْدَادَ ، وَابُو الْحُسَيْنِ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ الْبَصْرِيَّ وَلَهُ فِي عِلْمِ التَّصَوُّفِ مَوَاعِظٌ كَثِيرَةٌ ، وَمِنْهُمْ مُوسَى الْأَشْجِيُّ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمَ بِالْبَصْرَةِ فِي عُلُومِ التَّوَكُّلِ وَالْمَحَبَّةِ وَالشُّوقِ ، وَكَانَ طَرِيقُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَبْلَهُ التَّرَهَّدَ وَالْاجْتِهَادَ وَلِزُومَ الْكُتُبِ وَمِلَازِمَةَ الصَّمْتِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عُلُومَ الْمَعَارِفِ عَلَى مُوسَى الْأَشْجِيِّ .
- 9      وَمِنْ مَشَائِخِ الْبَصْرَةِ فَهْرَانُ الرَّفَاءِ تَكَلَّمَ عَلَى النَّاسِ بِبَغْدَادَ ، وَمِنْ كِبَارِهِمْ أَبُو جَعْفَرِ الصَّيْدَلَانِيِّ وَكَانَ يَتَكَلَّمُ عَلَى النَّاسِ بِمَكَّةَ ، وَمِنْ مَشَاهِيرِهِمْ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ سَالِمٍ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيِّ وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ أَصْحَابُهُ وَيُقَالُ لَهُمُ السَّالِمِيَّةُ ، وَمِنْهُمْ أَبُو عَلِيٍّ الْأَسْوَارِيُّ ، وَابُو بَكْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهُوَ مِنْ مَشَائِخِ مَكَّةَ ، وَابُو سَعِيدِ الْقَلَانِسِيِّ النَّيْسَابُورِيُّ ، وَيَحْيَى بْنُ مَعَاذٍ وَاعْظُ أَهْلِ زَمَانِهِ وَابُو عُثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ الْوَاعِظُ الرَّازِيَّانُ ، وَابُو السَّرِيِّ مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارِ الْبُوشَنجِيِّ ، وَابُو بَكْرِ الشَّاشِيِّ ،
- 15      وَابُو سَعِيدِ الْأَعْلَمِ ، وَابُو بَكْرِ الدَّبِيلِيِّ ، وَابُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ الدِّينُورِيِّ وَكَانَ لَهُ فِي هَذِهِ الْعُلُومِ لِسَانٌ حَسَنٌ ، وَابُو عُبَيْدِ الطُّوسِيِّ ، وَابُو عَلِيٍّ الثَّقَفِيِّ وَهُوَ مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ بِخِرَاسَانَ وَاسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ وَهُوَ الْقَائِلُ : لَوْ أَنَّ رِجَالاً جَمَعُوا الْعُلُومَ كُلَّهَا وَصَحَّبُوا طَوَائِفَ النَّاسِ لَمْ يَبْلُغْ مَبْلَغَ الرِّجَالِ الْآبِلِ بِالرِّيَاضَةِ عَلَى يَدِي

شيخ . ومن كبارهم عليّ الطيّانُ و يُمنىُ الفسويّانُ ، و بَلَدُهُمَا ابواسحق ابراهيم  
فهؤلاء كانوا يتكلمون على الناس عامةً .

- 3 وعنهم من لم يكن يتكلم على الناس عامة بل على أصحابه خاصة ، ومنهم :  
عامر بن عبد الله بن قيس ، وقد اثنى عليه إمام الأئمة الحسن البصريّ و مالك بن  
دينار ، وهو من كبار المتكلمين و المتكلمين في الحقائق . و ابوالشعثاء جابر بن  
زيد وهو الذي يقول فيه ابن عباس : لو نزل أهل البصرة عند فتيا جابر بن زيد  
لوسعتهم . و ابوعمران الجونيّ و كان كلامه في الحكمة ، و ابو وائلة اياس بن معوية  
وهو القائل : من لا يعرف عيبه فهو أحمق . و ابومصاهر رباح القيسيّ و كان كلامه  
في أعلى المقامات من المحبة و الشوق و القرب . و الفضيل بن عياض ، و عليّ بن  
المدنيّ ، و احمد بن وهب الزيات ، و عبد الله السائح ، و عليّ بن عيسى ، و ابوالحسن  
سمنون بن حمزة ، و ابوسعيد القرشيّ ، و ابوالحسن بن حديق ، و زكريا بن محارب ،  
و ابوالحسن و ابوعليّ الوراق ، و ابوعليّ بن زيزا وهو من كبار أصحاب الجنيد ،  
و ابوالقاسم الدقاق و كانا يتكلمان في علوم الخطرات .

- و ابومحمد المرتعش الخراسانيّ و هو القائل : من لم يكن على الله غيورا  
لم يكن الله عليه غيورا . و ابوعليّ السلميّ ، و عليّ الحمّال وهو القائل : ذهبت حقائق  
التصوّف و بقيت شرائطها ، و جاءت طائفة يطالبون الراحة و يتوهمون ذلك معرفة ،  
فإننا لله و إننا إليه راجعون ! و ابوهاشم الزاهد ، و ابراهيم بن فاتك و كان الجنيد

I فسوي : نسبة من فسا وهي مدينة في فارس جنوبي شرقي شيراز || بلديهما : أي من بلديهما

|| 2 < كانوا > M B || 6 فتيا : فتوى || 7 وسعتهم الفتيا : احاطت بجميع مشاكلهم || 1-17 شيخ

- يُكْرِمُهُ ، و احمدُ بنُ عطاءِ الرُّوذباري ، و ابو الفيزِ ذوالنونِ المِصرى ، و ابوسليمانُ العَبَسِيُّ المعروفُ بالدارائى و اسمُه عبد الرحمن بنُ أحمد و أخوه داود بنُ أحمد .
- 3 وسهلُ بنُ عبد الله الثُّسرى ، و ابو عبد الله بنُ مالك وله رسالةٌ معروفةٌ . و ابوالأديانُ ، و ابوالليثُ المَعْرَبِيُّ ، و ابوسعيدُ القنُوني و هو من كبارِ صوفيةِ البصرة . و ابوحاتمُ العَطَّارُ ، و جميلُ بنُ الحسنِ العَبْكَيُّ ، و ابوجعفرُ الوساوِسِيُّ و اسمُه محمد بنُ إسماعيل . و ابو بشر بنُ منصور ، و عثمانُ بنُ صخر العَقِيلِي ، و ابوسعيدُ العَصْفَرِيُّ ، و سليمانُ الحَقَّارُ ، و ابوثوابةُ القُرَشِي ، و ابويَعقوبُ الأَبْلِي ، و عبد الله بنُ عَقَّان ، و ابو عبد الله البصرى ، و محمد بنُ ابى عائشة ، و عمرو بنُ عثمان المَكِّي ، و عبد العزيزُ البِجْرَانِي ، و ابوالحسنُ عليُّ بنُ بابويه ، و ابوبكرُ الواسِطِيُّ ، و الربيعُ بنُ عبد الرحمن وهو القائلُ : إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً هُمْ فِي الدُّنْيَا مُكْتَبُونَ و الى الآخرةِ مُتَطَلِّعُونَ ، قد نَفَذَتْ أَبْصَارُ قُلُوبِهِمْ فِي الْمَلَكُوتِ فَرَأَتْ فِيهَا مَا وَجِبَ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ فَازْدَادَتْ بِذَلِكَ جِدًّا و اجتهادا عند معاينةِ أبصارِ قلوبهم ؛ فَهَمُّ الَّذِينَ لَا رَاحَةَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ هُمُ الَّذِينَ تَفَرُّ أَعْيُنُهُمْ غَدًّا .

- و منهم ابو عبد الله السِنْدِيُّ وهو من أصحابِ ابى يزيد ، و ابوبكرُ الزنجاني ،
- 15 و ابراهيمُ بنُ يحيى التبريزي ، و ابوالعباسِ السَّمَّانُ ، و حاتمُ الأَصَمُّ ، و ابوزيدُ البسطامي ، و ابو أحمدُ الغَزَّالُ النيسابوري ، و جعفرُ النسويُّ ، و ابوالحسينُ احمدُ بنُ محمدِ الخوارزمي ، و عبد الله بنُ محمد بنُ منازل ، و ابونصرُ فتح الندي ، و ابوبكرُ الطمستاني ، و ابوالحسينُ بنُ هندِ الفسوي ، و ابواسحقُ ابراهيمُ الدِّبَاغُ ، و الحسينُ بنُ خمويه ، و ابوبكرُ محمد بنُ الجوري ، و ابو عبد الله محمد بنُ ابراهيمِ الخُشوعِي ،

- و ابو عبد الله النجّار وابن بطة وهما من أصحاب علي بن سهل ، و احمد بن شعيب ،  
و عبید الملّقب بالمجنون . فهولاء كلهم كانوا يتكلمون في هذه العلوم و كلهم  
3 انقضوا قبل الثلثمائة ، و قيل منهم من كانوا بعدها .
- وقد تكلم جماعة من النساء ايضاً على الرجال و النساء : كرابعة العدوية و كان  
الكبار و السلف يسمعون كلامها كسفين الثوري ، و قد سلم لها ذلك و هي التي  
6 قالت لسفين : نعم الرجل أنت لولا أنك تحب الدنيا . و خطبها عبد الواحد بن زيد  
مع علو شأنه فهجرته أياماً حتى شفع له اليها أخواته . فلما دخل عليها قالت له :  
يا شهواني اطلب شهوانية مثلك . و منهن شعوانة الابلية كانت تتكلم على العباد .  
9 بلغ بها خشية الله مبلغاً أعجزها عن العبادة ، ثم رأت رؤيا فسرى عنها و رجعت  
الي ما كانت عليه من العبادة . و منهن بحرية بكت حتى ذهب بصرها . و عنيدة جدّة  
ابي الخير التيناني الأقطع كان لها خمس مائة تلميذة من الرجال و النساء . وعائشة  
12 النيسابورية امرأة احمد بن السري فكانت تتكلم على النساء بنيسابور ، و تأدبت  
بابي عثمان . و منهن فاطمة بنت ابي بكر الكتاني ماتت بين يدي سمنون و هو  
يتكلم في المحبة و مات معها ثلاثة نفر من الرجال .
- و من مشاهير من صنّف في هذه العلوم و قدماهم : الحارث بن أسد المحاسبي ،  
15 و ابواسحق بن احمد الخواص ، و ابوالقاسم الجنيد سيد الطائفة و المشار اليه  
و المعول عليه ، و علي بن ابراهيم الشقيقي ، و سخت العسكري ، و ابو عبد الله  
18 محمد بن علي الترمذي و هو القائل : ما صنفت صرفاً عن تدبير ولكن كنت انسلي  
بمصنّفاني اذا اشتد علي الوقت .

- ومنهم ابوبكر محمد بن عمر الوراق الترمذى ، وابوجعفر النيسابورى واسمه  
 أحمد بن حمدان بن على بن سنان وكان الجنيد يكتبه ، وأحمد بن محمد  
 3 الفرخكى ، و ابو عبد الله محمد بن يوسف البناء الأصفهاني ، و ابو عبد الله محمد بن  
 خفيف ، و ابونصر السراج الطوسى ، و ابوطالب المكي وله فى هذه العلوم كلامٌ لم  
 يسبق الى مثله فيما رأيت و على ما أظن ، و هذا حديثٌ يطول .
- 6 وأنا أراجع ما كنت بصدده و أقول : كما أن لكل قوم من العلماء ألفاظاً  
 مصطلحاً عليها ولا بد من الرجوع اليهم فى معانيها ، فكذا إذا سُمع من الصوفية  
 مصطلحاتهم ينبغى أن يرجع اليهم فى بيان حقائقها كلفظ البقاء والفناء والعدم والتلاشى  
 9 والقبض والبسط والسكر والصحو والاثبات والمحو والحضور والتبعية والعلم  
 والمعرفة والوجد والكشف والتقام والحال والفراق والوصول والاسقاط والاتصال  
 والجمع والتفرقة والذوق والفهم والوصول والسلوك والشوق والأسى والقرب  
 12 والتجلى والرؤية والمشاهدة ، و كقولهم : بقى فلان بلا هو وانلخ من جلدته .  
 و ينبغى للعاقل المنصف إذا سَمِعَ هذه الالفاظ أن يرجع فى معانيها القائل ،  
 و يقول له : ما الذى عنيت بهذه الالفاظ ؟ والحكم على القائل ، قبل استفساره عن  
 15 المراد بهذه الالفاظ ، بالترندقة والإلحاد رُمى فى عماية . و كتب بعض الصوفية  
 الى بعض الأئمة أبياتاً يسأله فيها عن معانى الالفاظ من مصطلحاتهم ولم أر فيها ما  
 يصاح لهذه اللمعة إلا هذا البيت :
- 18 و إذا قال قائلٌ هو بلا هو      وأنا لا أنا ، فماذا يُريدُ
- والغرض من هذا كله أن الرسالة التى عملتها فى حال الصبى فأتخذها الحاسدون

- من أعدائي ذريعةً توصلوا بها الى ايدائي . وقد ذكرتُ فيها من ألفاظِ الصوفيةِ  
 طرفاً كقولي فيها : أشرقت سلطنةُ الجلالةِ الأزليةِ فبتي القلمُ وفني الكاتبُ .
- 3 وكقولي : غشيتني الهويّةُ القديمةُ فاستغرقت هويّتي الحادية . وكقولي : طارَ  
 الطائرُ الى عشه . وكقولي : لو ظهرَ ممّا جرى بينهما ذرةٌ لتلاشى العرشُ والكرسيُّ  
 الى كلماتٍ أُخر من هذا الجنس . وقد شدّدوا على الإنكارِ في تلك الكلماتِ وزعموا  
 6 أنّ ذلك كفرٌ وزندقةٌ ودعوى النبوةِ .
- وأنا أذكرُ طرفاً من حكايات المشايخ و ألفاظهم ليُستدلّ بها على أنّ الصوفيةَ  
 يُظنّون هذه الألفاظَ فيما بينهم فإنّها عندهم متعارفةٌ ولا يلزم منها شيءٌ وكتبهم  
 بها مشحونة . فمن ذلك قولُ الواسطي : أنّ الله - تعالى - أبرزَ من صنعه ما أبرزَ  
 9 دلالةً على ربوبيّته ، ثم أبطل ما أبدى فكلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهه ، والخلقُ في  
 عظمتِه كهباءٌ لا خطرَ له وليس للخلقِ اليه طريقٌ إلا من حيث جعلَ لهم من طريقِ  
 العلمِ أنّ أنبتوه كما عقلوه . وهذا المعنى هو الذي أوردتهُ في فصلٍ من تلكَ  
 12 الرسالة . وكتبتُ فيه : الحقُّ أنّ الله هو الكثيرُ والكلُّ وأن ما سواه هو الواحدُ  
 والجزؤُ ، ومعناه أنّ كلَّ الموجوداتِ بالنسبةِ الى عظمةِ ذاته كالجزئِ بالنسبةِ  
 الى الكلِّ وكالواحدِ بالنسبةِ الى الكثيرِ إن كلَّ الموجوداتِ قطرةٌ من بحرِ قدرته .  
 15

2 الجلالة الأزلية B الجلال الأزلي M || 4 ما B ما M || 2-4 يوجد المقطع التالي «أشرقت

... كرمي» في زبدة الحقائق ص ٨٥ و ٨٦ طبع طهران || 5 كلمات آخر B كلمة اخرى M ||

7 الفاظهم B الفاظهم فيما بينهم M || 10 فكل M قال كل B || والخلق B فالخلق كلهم M || 13 وكتبت

فيه B قلت فيها M || الله B الله تعالى M || 13-14 أن ... الجزؤ : راجع زبدة الحقائق ص ٢١ ||

15 بحر B بحار M ||

- وَأَمِ أُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ كَثِيرٌ بِأَجْزَائِهِ ، نَعَالَى اللَّهُ عُلوًّا كَبِيرًا عَنْ قَبُولِ الْإِنْقِسَامِ .  
 وَيَقْرُبُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : أَنَّ جِبْرِيلَ وَالْعَرْشَ وَالْكُرْسِيَّ مَعَ الْمَلَائِكَةِ كَمَا كَرِهَتْهَا  
 3 فِيمَا وَرَاءَ الْمَلَائِكَةِ بَلْ أَقْلُ مِنْ ذَلِكَ . وَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ مِنَ الْعَالَمِ  
 بِكَثْرَةِ الْأَجْزَاءِ بَلْ بِعَظَمَةِ الذَّاتِ . وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ الرَّدُّ عَلَى الْفَلَسَفَةِ حَيْثُ قَالُوا :  
 أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ إِلَّا شَيْئًا وَاحِدًا . وَكَيْفَ يَسْتَقِيمُ هَذَا الْإِعْتِرَاضُ وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي  
 6 مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ تِلْكَ الرِّسَالَةِ أَنَّ الْقَدِيمَ لَا يُتَصَوَّرُ فِيهِ إِثْنَيْنِ الْبَتَّةَ . وَكَذَلِكَ  
 تَخَيَّلُوا فِي بَعْضِ الْفَاطِمَاتِ دَعْوَى لِلرُّؤْيَا الْحَقِيقِيَّةِ الَّتِي طَلَبَهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ -  
 فَقِيلَ لَهُ : لَنْ تَرَانِي ، وَغَفَلُوا عَنِ النَّصِّ الصَّرِيحِ الَّذِي لَا يَقْبَلُ تَأْوِيلًا : أَنَّ اللَّهَ لَا يُتَصَوَّرُ  
 9 أَنْ يَزَادَ أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا لِأَوْلِيٍّ وَلَا نَبِيٍّ غَيْرَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .  
 وَذَكَرْتُ فِي الرُّوحِ كَلَامًا مُطَابِقًا لِكَلَامِ الْمَشَائِخِ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى وَإِنْ  
 كَانَا لَا يَتَّفِقَانِ فِي اللَّفْظِ . وَقَدْ كَثُرَ كَلَامُ الصُّوفِيَّةِ فِي الرُّوحِ وَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَ  
 12 الْوَاسِطِيُّ : أَظْهَرَ اللَّهُ الرُّوحَ مِنْ جَلَالِهِ وَجَمَالِهِ وَ لَوْلَا أَنَّهُ سُتِرَ لَسَجَدَ لَهُ كُلُّ كَافِرٍ .  
 فَمَتَى خَرَجَتْ أَنْوَارُ الْعُقُولِ وَالْفُهُومِ ، تَلَاَسَتْ فِي أَنْوَارِ الرُّوحِ تَلَاَشِي أَنْوَارِ الْكُؤَاكِبِ  
 وَالْقَمَرِ فِي نُورِ الشَّمْسِ . وَمِنْهَا يُتَحَقَّقُ أَنَّهُمْ لَا يَبْتَغُونَ بِالتَّلَاشِي عَدَمَ الشَّيْءِ فِي ذَاتِهِ  
 15 بَلْ اخْتِفَاؤَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مُدْرِكِهِ . وَقَالَ أَبُو سَعِيدِ الْخَرَّازِ . إِنَّ اللَّهَ جَذَبَ أَرْوَاحَ أَوْلِيَائِهِ  
 إِلَيْهِ وَلَذَّهَا بِذِكْرِهِ . وَهَذَا مُطَابِقٌ لِقَوْلِي فِي تِلْكَ الرِّسَالَةِ : طَارَ الطَّائِرُ إِلَى عُشِّهِ .  
 وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ السَّامِرِيُّ : الْمَعْرِفَةُ طُلُوعُ الْحَقِّ عَلَى الْأَسْرَارِ بِمُؤَاصَلَةِ الْأَنْوَارِ .  
 18 وَقَالَ الْوَاسِطِيُّ : إِذَا ظَهَرَ الْحَقُّ عَلَى السَّرَائِرِ لَمْ يُبْقَ فِيهَا فَضْلَةٌ لِرَجَاءٍ وَلَا خَوْفٍ .

4 بعظمة M لعظمة B || 6 القديم لا يتصور فيه اثنين : راجع زبدة الحقائق ص ٤٢ - ٤٧ ||

9 ان ... وسلم : راجع زبدة الحقائق ص ٩٥ || 6-18 وكذلك ... ولاخوف M-B ||

و هذا هو مُرادى من قولى : غَشِيَّتُهُ الْهُوِيَّةُ الْأَزَلِيَّةُ . وقال الجُنَيْدُ : نَفْسُ الصَّوْفِيِّ إِذَا هَاجَ مِنَ الْفَوَادِ لَمْ يَأْتْ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا وَ أُحْرَقَهُ حَتَّى الْعَرْشِ ، وَ احْتَرَقَ الْعَرْشُ كِتَالَشِيهِ . وَ مِنْ غَابَ عَنْ نَفْسِهِ فَقَدْ اتَّصَلَ بِرَبِّهِ وَ احْتَرَقَ فِي حَقِّهِ كُلُّ مَا سِوَاهُ 3  
كَمَا حُكِيَ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخِرَازِ فِي حِكَايَةِ أَنَّهُ قَالَ : تَهَتْ فِي الْبَادِيَةِ فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ وَقَالَ :

6 فَلَوْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ الْوُجُودِ حَقِيقَةً

أَغْبَتَ عَنِ الْأَكْوَانِ وَالْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ

وَ مِنْ اتَّقَى اللَّهَ فِي خَلَوَاتِهِ أَفْضَى بِهِ ذَلِكَ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ كَمَا قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ

9 الْحَرِيرِيُّ : بِصَفْوِ الْعِبُودِيَّةِ يُنَالُ الْخُرَيْبَةَ وَ بِالْحَرِيَّةِ يُنَالُ التَّجَلَّى وَ الرُّؤْيَا . وَ لَيْسَ الْمُرَادُ بِهَذِهِ الرُّؤْيَا مَا طَلَبَ مُوسَى مِنْ رَبِّهِ بَلْ شَيْءٌ آخَرَ ظَاهِرُ الْحَقِيقَةِ عِنْدَ أَهْلِهَا . وَ إِلَى هَذَا أَشَارَ الْحَرِيرِيُّ أَيْضاً بِقَوْلِهِ : مَنْ لَمْ يَحْكَمْ فِيمَا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ اللَّهِ بِالتَّقْوَى وَ الْحِرَاقَةِ لَمْ يَصِلْ إِلَى الْكَشْفِ وَ الْمَشَاهِدَةِ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ التَّفَلَيْسِيُّ : التَّصَوُّفُ حَالٌ 12 لَا يَقُومُ لَهُ قَلْبٌ وَلَا عَقْلٌ . وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ شَيْخُ سَمْنُونٍ : التَّصَوُّفُ لِأَحَالٍ وَلَا زَمَانٍ بَلْ إِشَارَةٌ مُتَلَفَةٌ وَلِوَائِحُ مُجْرَقَةٌ .

15 وَقَالَ الْخُلْدِيُّ : التَّصَوُّفُ حَالٌ تَظْهَرُ فِيهَا عَيْنُ الرُّبُوبِيَّةِ وَ تَضْمَحِلُ فِيهَا

عَيْنُ الْعِبُودِيَّةِ ؛ وَ هَذَا هُوَ مُرَادَى حَيْثُ أَقُولُ : فَتَلَاشَى الْعِلْمُ وَ الْعَقْلُ وَ الْقَلْبُ وَ بَقِيَ

الْكَاتِبُ بِالْأُهْوَى ؛ وَقَالَ الْمُرْتَعِشُ : التَّصَوُّفُ حَالٌ ظَنَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى الْكَوْنَيْنِ

18 فَذَهَبَ إِلَى الْحَقِّ وَ ذَهَبَ عَنْ ذَهَابِهِ ، فَكَانَ الْحَقُّ - عَزَّ وَجَلَّ - وَ لَمْ يَكُنْ . وَقَالَ

أَبُو الْحَسَنِ الْأَسْرَارِيُّ : التَّصَوُّفُ هُوَ سَهْوِيٌّ عَنِّي وَ تَيْقُظِيٌّ بِرَبِّي . وَقَالَ ذُو النُّونِ



- المصري : إن لله عبداً ينظرون بأعين القلوب الى محجوب الغيوب ، فتسبح  
أزواجهم في ملكوت السماء ثم تعود اليهم بأطيب جنى من ثمار السرور ؛ وهذا هو  
3 مرادى من قولى : طار الطائر الى عشه ثم رجع الى القفص . ومن ذلك أنه تواجد رجل  
في مجلس يحيى بن معاذ فتميل له : ما هذا ؟ فقال غابت صفات الإنسانية وظهرت  
أحكام الربانية . وسئل ابو الفوارس الكردى عن التوحيد فقال : ما يفتح الله عليك  
6 لا يك . وقال سليمان بن عبد الله : كل نفس يكون فيه ذكر الله فهو متصل بالعرش .  
وقال ابو حامد الأصبخري : سألت ابا يعقوب الزابلى عن التصوف فقال : هو أن  
يضحل عنك عين الإنسانية وسمائم الأنيية . وقال حبشى بن داود : التصوف هو  
9 إرادة الحق فى الخلق بلا خلق . وقال يحيى بن معاذ : من رأى مع الحبيب غير  
الحبيب لم ير الحبيب .

وكثير من تلك الرسالة يدور على هذه القواعد . وكل لفظة من هذه  
12 الحكايات تحتاج الى تمهيد قواعد و تأسيس أصول من علم الصوفية حتى يتحقق  
معناها ، ولست الان أشرح ذلك فإنه يستدعى فراغ القلب و خلو الهمم وأقا مشغول  
الخاطر متحير فيما ابتلانى به التقدير من الخس والتقدير وسائر الأنكال :

15 صبت على مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا

ولم أصف تلك الرسالة إلا متوقفاً لحسن الاسم فى الحياة وترحم يلحطني همن  
يطالها بعد الممات . ولو خطر بيمالى أنه يعتننى ما رأيت وأراه لما أقدمت عليه قط :

18 غرست غروساً كنت أرجو لفاحها

وآمل يوماً أن تطيب جئاتها

فَإِنْ أُنْمِرْتَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ آمِلًا

فَلَا ذَنْبَ لِي إِنْ حَنَظَلْتُ نَحْلَاتُهَا

- 3 واذا لم يُجِبْ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالصُّوفِيَّةِ عَنْ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ لِغُذْرٍ لَهُمْ عِنْدِي مَقْبُولٌ، وَلَا يُمَكِّنُنِي ذِكْرُهُ فَإِنَّهُ ذُو عَرْضٍ وَطَوِيلٍ، تَنَاوَلْتُ الْقَلَمَ وَمُعَوَّلِي عَلَيْهِ وَأَجَبْتُ عَنْ قَوْلِ الْمُعْتَرِضِ مُعْتَذِرًا بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ إِلَيْهِ.
- 6 وَمَنْ يَرْجُ مَعْرُوفَ الْبَعِيدِ فَإِنَّمَا يَدِي عَوَّلْتُ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى يَدِي كَيْفَ وَفِي كَلِمَاتِ الصُّوفِيَّةِ أَشْيَاءٌ لَوْ نَظَرَ فِيهَا النَّاطِرُ مِنْ طَرِيقِ التَّعَثُّرِ وَالْإِنْكَارِ لَوَجَدَ فِيهَا مَجَالَ الْعِتْرَاضِ رَحْبًا كَمَا تُحْكِي عَنْ مَعْرُوفِ الْكَرْخِيِّ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ: ادْعُ اللَّهَ - تَعَالَى - أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ ذَرَّةً مِنَ الْبَشَرِيَّةِ، فَإِنَّهُ شَنِيعُ الظَّاهِرِ؛ إِذْ يَقُولُ الْمُتَعَثِّرُ أَنَّهُ فَضَّلَ نَفْسَهُ عَلَى مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - فَإِنَّهُ قَالَ: أَنَا بَشَرٌ أَعْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ وَقَدْ ادَّعَى مَعْرُوفٌ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِيهِ أَثَرُ الْبَشَرِيَّةِ. وَهَذَا عِنْدَ أَهْلِ التَّحْقِيقِ ظَاهِرٌ وَلَكِنْ لَا يَعْرِفُهُ غَيْرُهُمْ إِذْ كُلُّ عِلْمٍ لَا يَعْرِفُهُ 12 إِلَّا مَنْ يَخْوِضُ فِيهِ وَيُقْتَى عُمُرَهُ فِي الْبَحْثِ عَنْ حَقَائِقِهِ وَمَعَانِيهِ.
- وَعِلْمُ الصُّوفِيَّةِ أَشْرَفُ الْعُلُومِ وَأَغْمُضُهَا وَلَا يَعْرِفُ جَلِيَّةً وَخَفِيَّةً غَيْرُهُمْ. وَأَنَا 15 أَوْرِدُ إِثْكَالًا لَا يَنْحَلُّ إِلَّا فِي عِلْمِهِمْ لِيُظْهَرَ لِلْمُدَّعِي أَنَّهُ لَا خَبَرَ عِنْدَهُ مِنْ عُلُومِهِمْ. فَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - أَنَّهُ أَخْبَرَ غَيْرَ مَرَّةٍ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ غَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - بِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الصِّحَاحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - قَالَ فِي حَدِيثٍ لَهُ طَوِيلٌ: 18 فَأَدْخُلْ عَلَيَّ رَبِّي فَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا وَأَشْفَعُ لِأُمَّتِي. وَقَدْ وَرَدَ فِي الصَّحِيحِينَ عَنْهُ أَيْضًا

- أنه قال و هو على المنبر : والذي نفس محمد بيده لأدرى أمن أهل الجنة أنا أم من أهل النار . و هذا إشكالٌ واقعٌ و جوابه ظاهرٌ عند من سلك طريق الصوفية
- 3 ولا يعرف الشطحيات . و قول أبي يزيد : أن الله - تعالى - اطلع على العالم فقال : يا
- أبا يزيد كلهم عبيدي غيرك ، فاخرجني من العبودية . فمن الظاهر أن المتعنت لو قال :
- كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : أنا عبدٌ ، و ذكر عن الانبياء أنهم قالوا
- 6 و اجعلني برحمتك من عبادك ، فكيف يجوز لغيرهم أن يقول : أخرجني من العبودية ؟! و هذا إنما يشكل على من لم يسلك طريق الصوفية ، و جوابه عندهم
- أظهر من الشمس . وأظهر من قول أبي يزيد قول الشبلي ، حيث سمع ما قاله أبو يزيد
- 9 فقد كاشفني الحق بأقل من ذلك فقال : كل الخلائق عبيدي غيرك ، فإنك أنا .
- ومن ذلك قول الشبلي لما قيل له : هل تعلم لنفسك فرحاً ؟ فقال : نعم ، إذا لم أجد لله
- ذاكراً . فلو قال المتعنت : هذا كفر فإن الانبياء كلهم تبعوا لدعوة الخلق إلى الله
- 12 و إلى ذكره وما كانوا يفرحون إلا بإجابة دعوتهم فكيف يجوز للشبلي أن يقول :
- لا تفرح نفسي إلا إذا لم يذكر الله أحد ؟ و كذلك كان الشبلي في دعائه يقول : اللهم
- أسكن أعدائي جنة عدن ولا تخلني منك طرفة عين . فلو قال المتعنت إذا كان
- 15 رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول في دعائه : اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك
- من النار ، فكيف يسأل لغيره أن يقول ما قاله الشبلي ؟ و كذلك نقل عن غير واحد
- من الكبار أنهم قالوا : من عبد الله يعرض فهو لئيم . وقال كليب السنجاري وهو من
- 18 أهل البلاء : لو كان أيوب في الحياة لصارته . فلو قال المتعنت : هذا القائل قد
- عارض الانبياء في نبوتهم وهو كفر ، كان من حيث الظاهر محققاً .

3-2 ظاهر ... الشطحيات : ظاهر حتى عند السالك المبتدىء ، 19 <محققاً> مخيلاً B ॥

19-13 نفسي ... محققاً B-M ॥

- وأعجب من هذا ما حكى عن شقيق البلخي أنه سأل بعض المشايخ عن صفة العارفين فقال: الذين إذا أعطوا شكروا وإذا منعوا صبروا، فقال له شقيق: هذه صفة الكلاب عندنا يبلخ، قال له: فما صفة العارفين؟ فقال: إذا منعوا شكروا 3  
وإذا أعطوا آثروا. فلوقال قائل، قد أثنى الله في كتابه غير مرة على أهل الصبر والشكر فكيف يجوز لشقيق أن يسويهم بالكلاب، كان له في القلوب تأثير عظيم اللهم الأعد من عرف مذاهب القوم وعاداتهم في المخاطبات. 6  
وإما دخل الواسطي نيسابور قال لأصحاب أبي عثمان: بماذا كان يأمركم شيخكم؟ فقالوا بالتزام الطاعة ورؤية التقصير فيها، فقال: كان يأمركم بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالغيبة عنها برؤية منشئها ومجريها. فلوقال معترض، هذا كفر فإنه ادعى أن ملازمة الطاعات مجوسية محضة وهذا خلاف ما قال الله تعالى وقال رسوله -عليه السلام- فإن القرآن من أوله إلى آخره ثناء على الطاعة والمطيعين، 9  
لكن قوله من حيث النظر إلى ظاهر الأمر والاقتصار عليه حقا. 12  
واعلم أن علم التصوف أقسام كثيرة وكل قسم منها يقوم به قوم وقل من يحيط علماً بتلك الأقسام. ومن جملة تلك الأقسام قسم يسمى علم السلوك وهو يشتمل على مجلدات كثيرة: والى بعض تلك الأقسام يشير قول الشبلي حيث يقول: كنت أكتب الحديث والفقه ثلاثين سنة حتى أسفر الصبح فبجئت إلى كل من كتبت عنه فقلت: أريد فقه الله -تعالى-، فما كلمني أحد. 15  
ومما أنكره علي في تلك الرسالة أن الله -تعالى- منزه عن أن يدرجه 18

- الأنبياء فضلاً عن غيرهم؛ والإدراك أن يُحيط المُدركُ بِكمال المُدركِ و هذا لا يتصورُ إلا لله؛ فإذا لا يعرفُ الله غيرُ الله كما قال الجنيد . وقد جاء في تفسير قوله
- 3 - تعالى: «وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدره» أي ما عرفوه حقَّ معرفته . وقال رسول الله - صلى الله عليه - : لو عرفتم الله حقَّ معرفته لزالَتِ بدعائكم الجبالُ ولمشيتم على البحور؛ ولو خفتم الله حقَّ خوفه لعلمتم العلمَ الذي ليس معه جهل، وما بلغ ذلك
- 6 أحدٌ، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، اللهُ أعظمُ من أن يبلغَ أمره أحدٌ. وقال الصديقُ - رضي عنه - : سبحان من لم يجعل للخلق سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته . وقال أحمد بن عطاء: لا سبيلَ إلى معرفة الله لأحدٍ و ذلك
- 9 لا متنازع صمديته و تحقيق ربوبيته . وقيل لأبي الحسين النوري: كيف لا يدركه العقولُ ولا يُعرفُ إلا بالعقول؟ فقال كيف يُدركُ ذومدى من لامدى له؟ وقيل لأبي العباس الدينوري: بِمَ عرفتَ الله؟ قال: بأنى لا أعرفه . وقال ذوالنون: ما عرفَ الله
- 12 من عرفه ولا وجدَه من اكتهه، ولا حقيقته أصابَ من مثله، وإنما أشكلَ ذلك على من أشكلَ من حيثُ ظنَّ أن العلمَ بوجودِ الله و بوجودِ صفاته، من العلمِ و القدرةِ والحياةِ و الإرادةِ والكلامِ والسمعِ والبصرِ، هو معرفةُ الله وإدراكُ حقيقته وليس
- 15 كذلك؛ قال: الصوفيةُ يُفرقون فرقاً عظيماً بين العلمِ بالله و بين معرفةِ الله . و العلمُ بوجودِ القديمِ قريبٌ واليه يُشيرُ قوله تعالى: «أفئ الله شكٌ» .
- فأما إدراكُ حقيقةِ الذاتِ والمعرفةُ الحقيقيةُ فليس ذلك إلا لله، وإليه تشيرُ
- 18 الكلماتُ الواردةُ في ذلك كما ذكرته آنفاً . وليس العلمُ بوجودِ صانعِ القديمِ لهذا العالمِ مما يُشكِلُ على أهلِ الحقائق بل ذلك عندهم أظهرُ من الشمس . وكيف

يُتصوَّرُ مِنْ ذَوِي الْأَبْصَارِ مَنَازَعَةً فِي وُجُودِ الشَّمْسِ ! نَعَمْ يَحْتَاجُ الْعُمَيَانُ إِلَى ذَلِكَ حَتَّى يَحْصُلَ لَهُمْ بِطَرِيقِ السَّمْعِ ذَلِكَ . وَكَيْفَ يُتصَوَّرُ الشُّكُّ فِي وُجُودِ مَنْ هُوَ الْمَوْجُودُ الْحَقُّ وَبِهِ يَظْهَرُ مَا سِوَاهُ وَعِنْدَهُ بِوَجْدٍ ، وَلَوْلَاهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْوُجُودِ مَوْجُودٌ 3  
أَصْلًا وَالْبَتَّةُ ؟! وَلَوْ تُصَوِّرَ لَهُ عَدَمٌ ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ جَوَازِ الْعَدَمِ ، لَبَطَلَ وُجُودُ كُلِّ شَيْءٍ . وَالْعَارِفُونَ لَا يَنْظُرُونَ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ بَلْ يَنْظُرُونَ فِي اللَّهِ إِلَى الْأَشْيَاءِ كَمَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : مَا نَظَرْتُ فِي شَيْءٍ إِلَّا وَرَأَيْتُ اللَّهَ قَبْلَهُ . وَبِئْسَ 6  
هَذِهِ الرَّؤْيِيَةُ مِنَ الرَّؤْيِيَةِ الْحَاصِلَةِ فِي الْآخِرَةِ فِي شَيْءٍ ، بَلِ الرَّؤْيِيَةُ لَفِظٌ مُشْتَرِكٌ يُطَلَّقُهَا الْفُقَهَاءُ وَالصُّوفِيَّةُ لِمَعَانٍ كَثِيرَةٍ وَلَا يَتَعَلَّقُ غَرَضُنَا بِشَرْحِ ذَلِكَ .

وَلِلصُّوفِيَّةِ كَلِمَاتٌ يُسَمَّوْنَهَا شَطْحًا وَهُوَ كُلُّ عِبَارَةٍ غَرِيبَةٍ تَصْدُرُ عَنْ قَائِلِهَا 9  
فِي حَالَةِ السُّكْرِ وَشِدَّةِ غَلِيَانِ الْوَجْدِ ، وَالإِنْسَانُ فِي تِلْكَ الْحَالِ لَا يَقْدِرُ عَلَى إِمْسَاكِ نَفْسِهِ كَمَا قِيلَ :

سَقُونِي وَ قَالُوا : لَا تَعْنُ ، وَ لَوْ سَقُوا 12

جِبَالَ شُرُورِي مَا سَقَيْتُ ، لَعَنَّتْ

وَذَلِكَ كَقَوْلِ أَبِي يَزِيدَ : انْسَلَخْتُ مِنْ نَفْسِي كَمَا تَنْسَلِخُ الْحَيَّةُ مِنْ جِلْدِهَا  
فَنظَرْتُ فَإِذَا أَنَا هُوَ . وَقَوْلِهِ : اللَّهُمَّ زَيِّنِي بِوَحْدَانِيَّتِكَ وَاللِّسْنِي أَنَانِيَّتِكَ وَارْفَعْنِي 15  
إِلَى أَحَدِيَّتِكَ حَتَّى إِذَا رَأَيْتُ خَلْقَكَ قَالُوا رَأَيْنَاكَ فَتَكُونُ أَنْتَ ذَلِكَ وَلَمْ أَكُنْ أَنَا هُنَاكَ .  
وَ أَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ وَقَدْ وَرَدَ فِي كَلَامِهِمْ ذَلِكَ مَنْظُومًا أَيْضًا كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ :

بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَنْبِي يُنَازِعُنِي فَارْفَعْ بِأَنَّكَ أَنْبِي مِنَ الْبَيْنِ 18

وَ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ يُشِيرُ قَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ - : لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَى

- بالتوافل حتى أحبه فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به  
 ولسانه الذي ينطق به . والمغلوب في هذه الحال إذا سلب عنه عقله و تلاشى في
- 3 إشراق سلطان أنوار الأزل لوقال : سبحاني ما أعظم شاني ، وما يشبه ذلك كما  
 سبقت الإشارة إليه ، لم يؤاخذ به لأن كلام العشاق يطوى ولا يروى ؛ كما يروى  
 أن فاختة كان يراودها زوجها عن نفسها وهي تمتنع عنه فقال لها : إن أطعنتي
- 6 وإلا قلبت منك سليمان ظهراً لبطن ؛ فبلغت الريح كلامه الى سليمان فاستدعاه  
 وقال له في ذلك ، فقال : يا نبي الله كلام العشاق لا يحكى ، فاستحسن ذلك سليمان  
 -عليه السلام- .

- 9 على أن تلك الكلمات مبثوثة فيما بين فصول إن تصفح ما قبلها وما بعدها  
 علم أنه لامجال عليها للاعتراض ، ففي كلام الله - تعالى - و كلام رسوله ألفاظ  
 متفرقة وردت في صفات الله - عزوجل - ولو أنها جمعت و ذكرت دفعة واحدة  
 12 كما فعلها أهل الضلال لكان لها من التلبيس و الأيهام و الإلغاز تأثير عظيم ،  
 وإذا ذكرت كل كلمة في موضعها اللائق بها ومع الثرائن المتشتركة بها لم تمجها  
 الاسماع ولم تنب عنها الطباع . فقد ورد في حق الله - تعالى - جده - الفاظ مجملة  
 15 غاية الاجمال ومختمة للصواب والخطأ أظهر الاحتمال كالاستواء والنزول والغضب  
 و الرضى و المحبة والشوق والفرح و الضحك و الكراهية والتردد و كلفظ الصورة  
 والوجه والعين و اليد والاصبع والسمع والبصر و كقوله : «من ذا الذي يقرض الله  
 18 قرضاً حسناً» و كقوله : وهو الذي « يقبل التوبة عن عباده و يأخذ الصدقات »

1 < احبته > احببت B || 1-4 بالتوافل ... كما M-B || 4 يروى B روى M || 7 يحكى

B يروى M || 14 تعالى جده : تنزه جلاله || 17 - 18 سورة ٢ (البقرة) آية ٢٤٥ م || 18 سورة ٩

(التوبة) آية ١٠٤ م || 9-18 على ... الصدقات M-B ||

- و كقوله لموسى - صلى الله عليه - مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدَّنِي ، وَجَعْتُ فَلَمْ تُطْعِمْنِي ؛ حتى اضْطَرَبَ موسى و قام و قَعَدَ و قال : إلهي أَوْ تَمْرُضُ و تَجُوعُ ؟ فقال : مَرِضَ عَبْدِي فَلَانَ وَجَاعَ عَبْدِي فَلَانَ وَلَوْ أَطْعَمْتَ هَذَا وَعُدْتَ ذَاكَ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُمَا . و هذا 3 مطابقٌ لما أوحاه الى داود - عليه السلام - حيث قال : يَا رَبُّ أَيْنَ أَطْلُبُكَ ؟ فقال : عند المُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ لِأَجْلِي . و هذا كقوله - تعالى - في الكتاب المُنزَلِ على نبينا محمد - صلى الله عليه - : « إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ » و إِنَّ اللَّهَ مَعَ 6 الصادقين و الصابرين و « إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ » و هذه ألفاظٌ مُجْمَلَةٌ وَقَعَ بسببها خَلْقٌ كثيرٌ في الضلال و أَلْحَدَ بها قومٌ و قالوا : لو كانت النبوة حقاً لما و صفَ رسولُ الله - صلى الله عليه - صانعَ العالمِ بأوصافٍ تدلُّ على الجِسْمِيَّةِ فَلِإِنَّ الجِسْمِيَّةَ تدلُّ على 9 الحَدَثِ و هوَلاءِ إِنَّمَا أُتُوا مِنْ قَبْلِ عُلُومِهِمْ و خِفَّةِ بِيضَائِهِمْ في علوم العربية كما قيل :
- و كَمِ مِنْ عَائِبِ قَوْلٍ صَحِيحاً      و آفَتُهُ ، مِنْ الفَهِمِ السَّقِيمِ
- و الى هوَلاءِ يُشيرُ القرآنُ حيث يقول : « بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ » 12 و عليهم يُنبئُه حيث يقول : « و إِذَا لَمْ يَخْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ » . و العلماءُ الراسِخون في عِلْمِهِمْ لا يَخْفَى عليهم تأويلُ هذه الألفاظ بل هي أَظْهَرُ مِنَ الشَّمْسِ عِنْدَهُمْ و أَكْثَرُ الخَلْقِ نَاهُوا فِيهَا وَ تَحَيَّرُوا في معانيها :
- 15      لا يَكشِفُ الغَمَاءُ إلا ابْنَ حُرَّةٍ      يَرى غَمراتِ الموتِ ثم يَزورُها
- ولو كان الوصول الى معرفة تأويل هذه الألفاظ المُجْمَلَةِ سهلاً لما خصَّ رسولُ الله - صلى الله عليه و آله - خَبرَ الأُمَّةِ عبدَ اللهِ بنِ عباسٍ في دعائه بِقَوْلِهِ : اللَّهُمَّ 18

6 سورة ١٦ (النحل) آية ١٢٨ م 7 سورة ٢٩ (الروم) آية ٦٩ ك 10 الحدث : الحادث 11

10-1 و كقوله... قيل M-B 12 سورة ١٠ (يونس) آية ٣٩ ك 13 سورة ٤٦ (الاحقاف) آية ١١ ك 11



فقيه في الدين و علمه التأويل ، وهي على صعوبتها عند العموم يسهل دركها على  
الخصوص كما قيل :

3 أنام ملء جفوني عن شواردها      و يسهر الخلق جراها و يختصم

ثم هذه الألفاظ المجملة المبسوثة في القرآن و الحديث لو جمعها ملحد  
و استفتى إماماً وقال : ما تقول فيمن يدعى النبوة و يزعم أن الله يجوع و يمرض  
6 و يغضب و يفرح و يضحك و يحب و يبغض و يستقرض من الخلق و يأخذ الصدقة

و ينزل من علو إلى سفلى و صورته صورة الأعميين وله وجه و سمع و بصر و يد  
و إصبع ؟ فربما غفل الإمام المستفتى عن مقصود هذا الملحد وأنه يسر حسواً في

9 الارتغاء ، فاطلق القول بأن من قال ذلك فلا خبر عنده من حقيقة الحق وأنه مبطل في  
دعواه . ولم يكن لقوله هذا سبب إلا أن الملحد جمع بين كلمات كان من حتمها أن

تكون متفرقة و عراها عن قرائن كان الواجب أن لا تذكر تلك الكلمات إلا مع  
12 تلك القرائن كيلا تكون موهمة ؛ فإن من القرائن التي تدفع احتمال الخطأ

في هذه الألفاظ قوله تعالى « ليس كشيء » و قوله « أفمن يخلق كمن لا يخلق »  
و إذا كان لجرد الجمع هذا التأثير فما الظن إذا بدل لفظاً مكان لفظ فيتبدل

15 النزول بالحركة و الاستواء بالاستقرار ، و ذكر الكف و الساعد مكان اليد ، و الأذن  
و الصماخ مكان السمع ، أو اللحم و العظم مكان الوجه ، أو البدن مكان النفس

فإن لفظ النزول و الاستواء و اليد و الوجه و سائر الألفاظ المجملة إذا ذكرت على  
81 ما وردت في القرآن و الحديث ، من غير تغيير و لا تبديل و لا جمع و لا تفريق

3 جراها اي من اجلها || 13 سورة ٤٢ (الشورى) آية ١١ ك || سورة ١٦ (النحل) آية ١٧ ||

13-18 و قوله ... و لا تفريق M-B ||

ولا زيادةٍ ولا نقصانٍ ولا تجريدٍ عن الكلمات التي قبلها وبعدها ولا تعريفةٍ عن القرائن التي اقترنت بها ، زال عنها الإيهامُ وضعف فيها الإيهام .

- وما أبعدَ عن التحصيل من لا يدركُ الفرقَ بين جمعِ هذه الكلماتِ في ورقةٍ واحدةٍ 3  
وذكرها دفعةً واحدةً ، وبين ذكرها فيما بين كلماتٍ لعلها تزيد على ألفِ ألفِ كلمةٍ !...  
و ما لي أستبعدُ من علماء العصر إنكارهم علي ولم ينزل أكابرُ العلماء في كلِّ عصرٍ  
محسودين و بأنواع المِحنِ مقصودين كمالكٍ و أبي حنيفةٍ و الشافعي و أحمد و سُفين 6  
رضوانُ الله عليهم اجمعين- وكذلك كان مشايخُ الصوفيَّةِ كالجنيدِ و الشبلي و أبي يزيد  
البسطامي و ذي النون المصري و سهل بن عبد الله التستري و ابي الحسن النوري  
و سمنون المُحب . وقد صُنِّف في مِحنِ الاخيار [ ... ] و لذكرتُ من ذلك طرفاً ولكن 9  
الوقتَ لم يحتملِ التطويلَ فأعرضتُ عن ذلك وتمثلتُ بما قيل :

تعرض البرقُ زجدياً فقلتُ له

يا أيها البرقُ إني عنك مشغولٌ 12

ولأغروا ان أحسدَ وقد صُنِّفتُ وأنا يافعٌ و لأخلافِ العشرين فما فوقها راضعٌ

كُتباً يعجزُ أبناءُ الخمسينِ و الستينِ عن تفهيمها فضلاً عن تأليفها وتصنيفها :

إن يحسدوني فإني غيرُ لائِمهم 15

قبلي من الناس أهلَ الفضلِ قد حسدوا

ومن أرادَ أن يقفَ على صحَّةِ ما ذكرتُ في جميع ما أوردتُ وأصدرتُ طلبُ

مُصنِّفاتي ونظر فيها و تصفَّحها تصفُّحاً يستوعبُ به معانيها و يستوفيها كرسالتني 18

5 انكر عليه فعله : عابه و نياه عنه || 1-10 ولا زيادة . . . قيل M-B || 9 <الاخيار>

الاختصار B || 13 اخلاف مفردا خلاف : الولد مطلقا || 13-14 ولاغرو . . . تصنيفها M-B ||

- الموسومة بـ «قري العاشي الى معرفة العوران و الأعاشي» و «رسالتى العلائقية»  
و «المفتلذ من التصريف» وهما من مختصرات التصانيف و كالرسالة المُلثَّبة بـ «أمالى  
3 الاشتياق فى لىالى الفراق» و كالكتاب المُسمَّى «مُنية الحيسوب» وهو فى علم الحساب  
الهندى و كالرسالة التى سَمَّيْتُها «غاية البَحْثِ عن معنى البَعْث» و كالأخرى المسمّاة  
«سولة البازل الأمون على ابن اللبون» و كالكتاب الذى لَقَّبْتُهُ بـ «زُبدة الحقائق»  
6 وهذا آخر ما صَنَّفْتُهُ من الكُتُب و كنتُ إذ ذاك من أبناء أربع و عشرين سنة و فى  
هذه السنة التى ابتلانى فيها التقديرُ بهذه الفِتنَةِ بلغتُ ثلاثاً و ثلاثين و هى الأشدُّ الذى  
ذَكَرَهَا اللهُ - عز وجل - فى قوله تعالى : «حتى إذا بَلَغَ أَشُدَّهُ» و إنما يَسْتَوِي الرُّجُلُ  
9 عند بلوغِ الأربعين . و من مَوْلِدَاتِ خَاطِرِي أَلْفُ بَيْتٍ فى النسيبِ سَمَّحَ بِهَا الخَاطِرُ فى  
عشرة أيام . و هى مجموعةٌ فى صحيفَةٍ تُعرَفُ بـ «نزهة العشاق و نَهْزَةُ المَشْتَاقِ» و هذه  
الأرجوزة منها :

- 12 و غادةٍ من سَلَفِي مَعَدِي  
تُعزى الى خَيْرِ أَبِ وَجِدِي  
يَكْتَفُهَا جِحَاجِحٌ كَالْأُسْدِ  
تَغزُو العدى على جِيَادِ جُرْدِ  
بِكُلِّ صَمصامٍ صَقِيلِ الخَدِ  
و ذَابِلِ من الرِّمَاحِ المُلْدِ  
15 زارتُ وَصَحْبِي هُجَّعٌ بِنَجْدِ  
فى خَفِرَاتٍ من غَوَانِي سَعْدِ  
وَطِنَنَ هَامَاتِ الرُّبَى وَالوَهْدِ  
الى رَحِيْبِ الباعِ وارى الزَّنْدِ

1 قري يقري قري البلاد : تتبعها و طاف فيها || 2 المفتلذ فا. افئلذء المال : اخذ قسماً من  
ماله || 5 بزل ناب البعير : طلع فهو بازل || اللبون واللبين : محب اللبن || 8 سورة ٦ ٤ (الاحقاف) آية  
١٥ م || 13 ججاجج ، مفردها. ججاجج و ججاجج : وهو السيد المسارع الى المكارم || 14 الريح  
الذابلة هى الدفيقة ، والملد منها ، الطويلة الممتدة || 16 الزند : مص. موصل الذراع فى الكف ؛ فلان  
وارى الزند اى ناجح مفلج ||

يَلْبَسَنَّ ثَوْبِي كَرَمٍ وَمَجْدٍ      فَيَشْنَ فِي عَيْشٍ لَذِيذٍ رَغْدٍ  
وَبِتُّ جَذْلَانَ وَهَنْدٌ عِنْدِي      الشُّهُمَا مُشْحَاً بِالرَّنْدِ

3      وَاجْتَنَى بِاللَّثَمِ وَرَدَ الْخَدَّ

ولقد خضتُ في تصنيف كتابين مبسوطين كانت نيتي أن يكون كلُّ منهما  
مُشْتَمِلاً على عشرة مجلِّدات أحدهما في علوم الأدب و كنتُ قد وسمتهُ «المَدْخَلُ إلى  
العربية ورياضة علومها الأدبية» والآخرُ في «تفسير حقايق القرآن»، ثم عاقتني مهماتُ  
الدين و الإقبالُ على ما هو فرضُ عيني عن اتمام الكتابين . و من تعرَّفَ حقيقة  
أحوالي ممن لا يمتنعُ الجهلُ والحسدُ و قلةُ الإِصافِ عَرَفَ مِصْدَاقَ هذه الدعاوى  
التي أعجزُ في هذه الحال ، مع ما أنا عليه من ضيق الصدر و تشبُّتِ الأمر و تشعبِ  
الخاطر و توزُّعِ الفكر ، عن إقامة بُرْهانٍ عليها فليصرف من أراد ذلك عنايتَهُ إليها :

سائلُ قضاةَ : هل وفيتُ بدميةِ      أم هل أضعتُ الأمر حين وليتُ ؟  
12      فَلَرَبِّ كَبْشٍ كَتَيْبَةٍ أُجْرَدْتُهُ      رُمَحِي ، و نَارٍ لِلخُرُوبِ صَلِيَتْ  
وَلَرَبِّ أَبْطَالٍ لَقِيَتْ بِمِثْلِهِمْ      فَسَقَيْتُهُمْ كَأْسَ الرَدَى وَسُقِيَتْ  
وَأَخٍ يُجِيبُ المُسْتَضِيفَ إِذَا دَعَا      وَالخَيْلِ يَعْشُرُ فِي العِجَاجِ رُزِيَتْ  
15      فَلَا تُطَلِّبَنَّ المَجْدَ غَيْرَ مُقْصِرٍ      إِنْ مِتُّ مِتُّ وَإِنْ حَيِّتُ حَيِّتُ

2 الرند : شجرة صغيرة طيبة الرائحة من فصيلة الفاريات ، وهنا كناية عن طيب المحبوبة أو

11 أضعت : M وضعت B || 14 يعثر . . . رزيت B تعدى في العجاج رويت M || 15 حييت B حييت .

من تشبت بأذيال المقبلين اقبل مراده و اقبل مراده > انقل : ظهر . المراد : العنق < . روى عن

ابن فارس برحمه الله - قال في المذاكره باسناد ذكره : قال الخليل بن احمد : المنطق منطقان ، منطق

صيانة و منطق بذلة . فمن تكلم بكلام الصيانة في وقت البذلة اتعب نفسه ، ومن تكلم بكلام البذلة في وقت

الصيانة هجن نفسه . ولحمود الوراق : توخ من الطرق اوسطها وحد عن الجانب المشتبه ، وسمعك صن عن

سماع القبيح كصون اللسان اللفظ به . قال الأعمش :

أرى رجالاً بدون الدين قد قنعوا      ولا أراهم رضوا في العيش بالدين (التنمة ص ٤٢)

ومما لا بدَّ من ذِكْرِهِ في هذه الأُمَّةِ حَقِيقَةُ مَذْهَبِ السَّلَفِ فَإِنَّ الْحَاجَةَ مَا سَأَلُ  
إِلَيْهِ وَأَنَا أَذْكَرُ ذَلِكَ فِي ثَلَاثَةِ فُصُولٍ لِأَنَّ أُصُولَ الْإِيمَانِ هُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ  
3 وبالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ وَأَنَا أَذْكَرُ فِي كُلِّ أَصْلِ فَصلاً حَامِداً لِلَّهِ وَهُصَلِيّاً عَلَى الْمُصْطَفَى مُحَمَّدٍ  
وَعَلَى سَائِرِ أَنْبِيَائِهِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مِنَ الزَّلَالِ بِمَنْهَ وَفَضْلَهُ .

### الفصل الاول

#### في الإيمان بالله وصفاته

6  
إِعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - مَوْجُودٌ لَا يُتَصَوَّرُ عَلَيْهِ الْعَدَمُ ، وَاحِدٌ لَا يُتَصَوَّرُ فِيهِ  
التَّجَزِي فِي هُوَ الْمَلِكُ الْكَرِيمُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ وَالْأَسْمَاءِ الْعِظَامِ .  
9 قُلُوبُ الْخَلْقِ بِيَدِهِ وَنَوَاصِي الْعَالَمِينَ إِلَيْهِ . لَا يَشْغُلُهُ شَأْنٌ عَنْ شَأْنٍ وَقَدْ خَضَعَ لِكِبْرِيَاءِهِ  
كُلُّ سُلْطَانٍ . لَا شَرِيكَ لَهُ فِي وَحْدَانِيَّتِهِ وَلَا مِثْلَ لَهُ فِي فَرْدَانِيَّتِهِ وَلَا ضِدَّ لَهُ فِي  
صَمَدِيَّتِهِ وَلَا نِدَّ لَهُ فِي أَحَدِيَّتِهِ . لَهُ الْمُلْكُ وَالْمَلَكُوتُ وَتَحْتَ سُلْطَانِهِ الْعِزَّةُ وَالْجَبَرُوتُ .  
12 أَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ وَبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ كُلِّ شَيْءٍ ، فَهُوَ الْحَمِيدُ  
الْمَجِيدُ وَالْفَعَّالُ لَمَّا يُرِيدُ . عَلَا فِي دُنُورِهِ وَدَنَا فِي عُلُورِهِ وَظَهَرَ فِي بُطُونِهِ وَبَطَّنَ  
فِي ظُهُورِهِ وَاحْتَجَبَ عَنِ الْخَلَائِقِ لِشِدَّةِ إِشْرَاقِ نُورِهِ . وَهُوَ الْجَبَّارُ الْقَهَّارُ وَالْقَيُّومُ  
15 الْقَادِرُ ، وَالْآخِرُ فِي أَوَّلِيَّتِهِ وَالْأَوَّلُ فِي آخِرِيَّتِهِ . أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً وَوَسَّعَ  
أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ رَحْمَةً وَعِلْماً . قَدْ فَاضَ فِي الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ خَيْرُهُ وَعِنْدَهُ  
مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا غَيْرُهُ . وَلَهُ النِّعَمُ الْمُنْتَظَاهِرَةُ وَالْمِنْحُ الْمَتَوَاتِرَةُ وَالْفَضْلُ الْجَزِيلُ

استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما

انشدني احمد بن شعيب الاردستاني :

فضحته شواهد الامتحان

من تجلى بغير ما هو فيه

خلفته الجيايد عند الرهان M ||

وجرى في العلوم جرى شكور

1-17 ومما ... الجزيل M = B ||

- والصُّنْعُ الْجَمِيلُ وَالْعِزُّ الرَّفِيعُ وَالْفِعَالُ الْبَدِيعُ وَالصَّفْحُ الْكَرِيمُ وَالْإِحْسَانُ الْقَدِيمُ  
 وَالكَرَمُ الْفَائِخِرُ وَالْمُلْكُ الظَّاهِرُ وَالْعِزُّ الْبَادِحُ وَالسُّلْطَانُ الشَّامِخُ . خَلَقَ الْآرْضَ  
 وَالسَّمَاءَ وَصَرَّفَ الْمَقَادِيرَ فِيهَا كَيْفَ شَاءَ ، فَتَدَرَّهَا وَرَتَّبَهَا أَحْسَنَ تَقْدِيرٍ وَتَرْتِيبٍ . 3  
 وَكَمْ لَهُ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ سِرِّ عَجِيبٍ ! يُسَىُّ إِلَيْهِ الْعِبَادُ وَهُوَ يَزِدُّهُمْ إِحْسَانًا إِلَيْهِمْ ،  
 وَيَتَّبِعُونَ بِالْمَعَاصِي وَيَأْبَى إِلَّا تَعَطُّفًا عَلَيْهِمْ . لَا تُحْصَى نِعْمُهُ وَلَا تُعَدُّ أَيَادِيهِ وَلَا يُطَاقُ  
 النَّظَرُ إِلَى كَمَالِ إِشْرَاقِهِ وَلَا إِلَى مَبَادِيهِ . كُلُّ شَيْءٍ مُتَقَادٌ لِعِظَمَتِهِ وَالْأَرْضُونَ وَالسَّمَوَاتُ 6  
 فِي قَبْضَتِهِ وَقُدْرَتِهِ . قَدِيمٌ لِأَوَّلٍ لِقَدَمِهِ ، بَاقٍ لِآخِرٍ لِبَقَائِهِ . دَائِمٌ الْوُجُودِ مِنْ غَيْرِ  
 زَوَالٍ ، كَامِلٌ الْذَاتِ عَلَى كُلِّ حَالٍ . الْمَوْصُوفُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الْمُنْعَوَاتُ يُنْعَوَتُ  
 الْجَلَالُ وَالْجَمَالُ ، ذُو الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَى لَا يَمَانِلُ الْأَجْسَامَ وَلَا يُقْبَلُ 9  
 الْإِنْقِصَامُ . أَزَلِيُّ الْذَاتِ سَرْمَدِيُّ الصِّفَاتِ . كَانَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْأَرْضِينَ وَالسَّمَوَاتِ  
 وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَوْصَافِهِ التَّامَاتِ وَنَعْوَتِهِ الْكَامِلَاتِ . لَا يُشْبِهُ الْمَوْجُودَاتِ  
 فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ بَلِ الْمَوْجُودَاتُ كَأَنَّهَا قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ قُدْرَتِهِ وَآيَةٌ مِنْ آيَاتِهِ 12  
 لَا يَعْزُبُ عَنْ عِلْمِهِ الْأَزَلِيِّ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ كَالِهَبَاءِ ، بَلِ عِلْمُهُ بِمَا تَحْتَ أَرْضِهِ كَعِلْمِهِ بِمَا  
 فَوْقَ السَّمَاءِ ، وَالْمَوْجُودَاتُ كَأَنَّهَا فِي سِعَةِ عِلْمِهِ كَقَطْرَةٌ فِي بَحَارٍ وَرَمْلَةٌ فِي قِفَارٍ ،  
 وَلَا تَخْرُجُ عَنْ إِرَادَتِهِ نَظْرَةٌ وَلَا عَنْ مَشِيئَتِهِ خَطْرَةٌ . فَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ 15  
 وَكُلُّ حَادِثٍ مِنَ الْكَائِنَاتِ يَوْجَدُ فِي أَجَلِهِ الْمَعْلُومِ كَمَا أَرَادَهُ فِي الْأَزْلِ وَعَلِمَهُ  
 فِي الْقَدِيمِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَنُقْصَانٍ وَلَا تَقَدُّمٍ وَلَا تَأَخُّرٍ . وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ الَّذِي  
 لَا يَعْزُبُ عَنْ سَمْعِهِ مَسْمُوعٌ وَلَا عَنْ بَصَرِهِ مُبْصَرٌ بَلِ سِوَاءُ عِنْدَهُ مِنْ جَهَرَ بِالْقَوْلِ وَأَسْرَهُ ، 18  
 وَمَا أَضْمَرَهُ الْقَلْبُ وَأَظْهَرَهُ . أَسْرَارُ الضَّمَائِرِ عِنْدَهُ عَلَانِيَةٌ وَأَفْهَامُ الْخَلْقِ دُونَ  
 إِدْرَاكِ كَمَالِ صِفَاتِهِ وَانِيَّةٌ . وَهُوَ الْمُتَكَلِّمُ بِالْكَلامِ الْقَدِيمِ الْقَائِمُ بِذَاتِهِ الْمُنزَّهَ عَنْ

- أَنْ يُشْبِهَ كَلَامَ الْمَخْلُوقِينَ . وَ جَمِيعُ مَا قَالَهُ مِنَ الْمُحْكَمِ الْمُتَشَابِهِ عَلَى مَا قَالَهُ وَ كَمَا أَرَادَهُ . أَمْرُهُ وَ نَهْيُهُ حَقٌّ وَ وَعْدُهُ وَ وَعِيدُهُ صِدْقٌ نَوْْمُنُ بِهِ إِيْمَانٌ تَحْقِيقٌ وَ يَقِينٌ ،
- 3 وَ نُصَدِّقُ بِهِ تَصَدِيقًا لَا يَتَخَالَفُنَا فِيهِ رَبِّبٌ . جَلَّ وَجْهُهُ وَ تَعَالَى جَدُّهُ مِنْ حَىِّ لَا يُعَارِضُهُ مَوْتُ وَ بَاقٍ لَا يَلْحَقُهُ فَنَاءٌ . أَظْهَرَ الْمَوْجُودَاتِ بِقَدْرَتِهِ اخْتِرَاعًا وَ اسْتِبْدَاءً بِخَلْقِهَا إِبْجَادًا وَ إِبْدَاعًا ، فَسُبْحَانَهُ سُبْحَانَهُ مَا أَعْظَمَ شَانَهُ وَ أَظْهَرَ بُرْهَانَهُ وَ أَوْضَحَ سُلْطَانَهُ وَ أَجْزَلَ إِحْسَانَهُ وَ أَثَمَّ امْتِنَانَهُ . لَا تَهْتَدِي الْقُلُوبُ لَوْصِفِ بِهَائِهِ وَ عَظَمَتِهِ ،
- 6 وَ لَا يَطْمَعُ طَامِعٌ فِي الْإِحَاطَةِ بِكَمَالِهِ إِلَّا رَدَّتْهُ سُبْحَاتُ حَضْرَتِهِ . فَمَا أَرْفَعَهُ فِي جَلَالِهِ وَ أَبْهَاهُ فِي جَمَالِهِ وَ أَعْظَمَهُ فِي كِبْرِيَاءِهِ وَ أَظْهَرَهُ فِي إِشْرَاقِ ضِيَائِهِ وَ أَثْبَتَهُ فِي رَبُوبِيَّتِهِ
- 9 وَ أَدْوَمَهُ فِي كَيْتُونِيَّتِهِ وَ أَعَزَّهُ فِي وَحْدَانِيَّتِهِ وَ أَجَلَّهُ فِي صَمْدَانِيَّتِهِ وَ أَقْدَمَهُ فِي أَوْلِيَّتِهِ وَ أَسْبَقَهُ فِي أَزَلِيَّتِهِ . هُوَ الْوَارِثُ لِأَهْلِ أَرْضِهِ وَ سَمَائِهِ ، وَ هُوَ الْحَىُّ حِينَ لَاحَى فِي دِيْمُومَةِ مُلْكِهِ وَ بَقَائِهِ . عَزَّ أَنْ يَصِفَ كَمَالَ ذَاتِهِ لِلسَّانِ أَوْ يَفِي بِكُنْهِ صِفَاتِهِ الْعُلَى بِيَانٍ .

## الفصل الثاني

### في الايمان بالنبوة

- إِعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ - جَلَّ جَلَالُهُ - بَعَثَ الْأَنْبِيَاءَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ وَ أَرْسَلَ مُحَمَّدًا إِلَى كَافَّةِ الْخَلْقِ ، الْعَرَبِ مِنْهُمْ وَالْعَجَمِ وَالْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرَ ، وَ أَيْدَهُ بِالْمُعْجِزَاتِ الظَّاهِرَةِ
- 15 وَ الْآيَاتِ الزَّاهِرَةِ فَتَسْخَحُ بِشْرَعِهِ مِنَ الشَّرَائِعِ مَا شَاءَ وَ قَرَّرَ مِنْهَا مَا شَاءَ ، وَ هُوَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَ سَيِّدُ الْبَشَرِ :

- 18 هِيَهَاتَ أَنْ يَلِدَ الزَّمَانُ نَظِيرَهُ إِنَّ الزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلٌ

وَالنُّبُوَّةُ عِبَارَةٌ عَنْ كَمَالَاتٍ تَحْصُلُ لِلْأَنْبِيَاءِ وَ لَا يُتَصَوَّرُ الْوَصُولُ إِلَيْهَا بِبِضَاعَةٍ

الْعُقُولِ . وَ لَيْسَ لِلْعَقْلِ الْآنَ يُصَدِّقُ بِذَلِكَ تَصَدِيقًا يَسْتَفِيدُهُ مِنْ طَرِيقِ النَّظَرِ فِي

- البراهين الواضحة والدلائل اليقينية . فأما أن يصل عاقل ببضاعة عقله الى تلك  
الكمالات فكلا وحاشي . وطور النبوة وراء طور الولاية، ونهاية الأولياء هي بداية  
3 الأنبياء ، وطور الولاية وراء طور العقل و نهايات العقلاء بدايات الأولياء . ومن ذهب  
مذهب الفلاسفة وظن أن النبي عبارة عن شخص بلغ أقصى درجات العقل وتصرف  
ببضاعة عقله في الأمر والنواهي و زعم أنها أوضاع وضعها النبي وسواها على  
6 الحكمة فقد انخلع عن ربة السلام وانخرط في سلك أهل الغباوة : بل لم ينطق عن  
الهوى وكان كلامه وحيًا بوحى . والإمام الحق بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
ابوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي - رضي الله عنهم أجمعين - علمنا ذلك بالإجماع  
9 القاطع الثابت بطريق التواتر . وقد حبرت في عنقوان الصبي قصيدة ، أحلى من المنى  
في الفؤاد وألذ من وصال الأجابة بعد طول العباد ، مدحت بها رسول الله - صلى الله  
عليه - والخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم أجمعين - بل مدحت نفسي وشعري حين  
12 تصدّيت لذلك ، وهي تشتمل على سبعين بيتاً وهذه الأبيات منها :
- سأزجي إليه يعملات سواهما      طلائح أنضها التوقص والوخد  
وأكحل أجفان الوجاء بتربة      نوى جسمه فيها فأجفانه رمد  
15 وإن لم تبلغني إليه ركائبى      فلا سرها عشب ولا ضمها ورد

## الفصل الثالث

## في الايمان بالآخرة

- 18 أعلم أن القبر أول منزل من منازل الآخرة وقد ورد الاخبار بسؤال منكر

2 <حاشي> حاشا B || 13 يعمل ويعمل : الجمل والناقاة المطبوعان على العمل ج. يعامل

ويعملات || السواهم : مفردها الساهمة وهي الظامرة من النوق || الطلائح : مفردها الطالحة وهي الناقاة

الهزيلة او البعير المعين || التوقص : سار سيراً بين العنق والخبب او اشتد وطؤه في المشي || الوخد :

اسم من وخذ البعير اي أسرع وصار يرمى قوائمه كالنعام || I-18 البراهين ... منكر B-M ||



- ونكبر ولا نتصرف في ذلك ببضاعة عقولنا الضعيفة . فأكثر أحوال الآخرة إنما يدرك بنور النبوة ، وقليل منها يدركه أفراد الأولياء وآحاد الراسخين من العلماء .
- 3 والقبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران ، وعدم رؤيتنا للحفرة والروضة و لمنكر و نكير لا يدل على عدم رؤية الميت ، إذ نحن في عالم الملك والشهادة والميت في عالم الملكوت والغيب . وقد قال النبي صلى الله عليه وآله إنما
- 6 هما مكان فظان غليظان أزرقان يبخشان الأرض بانيابهما ويطآن شعورهما؛ أصواتهما كالرعد القاصف و أبصارهما كالبرق الخاطف ؛ و عند ذلك قال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ؛ أف يكون معي عقلي هذا ؟ فقال : نعم ؛ قال : إذا أ كفيها ، ثم يبعث من
- 9 في القبور و يحتمل ما في الصدور و يرد الأرواح الى الأجساد ، والناس يمشون حفاة عراة و يحشرون على صعيد القيامة أشتاتا في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة . وليس للعقل إلا التصديق بهذه الأمور الممكنة ؛ فإما أن يدرك ذلك ببضاعته
- 12 فلا ، بل إذا أدرك العقل صدق الأنبياء و أنه لا يتصور عليهم الكذب كان مضطراً في تصديقهم بجميع ما أخبروا عنه و من ذلك أحوال الآخرة . و كل ذلك حق كالميزان وهو الذي يعرف العباد مقادير أعمالهم الحسنات منها والسيئات . و كذا
- 15 الصراط و هو جسر ممدود على متن جهنم كالسيف في حدته و الشعر في دقته والناس متفاوتون عليه : فمن طائر بطير و من سائر يسير و حاب يهب و هاب يهوى به الى النار في مكان سحيق .
- 18 و كذا الجنة و النار و ما فيها من أنواع الآلام و أشدّها الخلود في النار مع

6 بحث في الأرض : حفرها ومنه المثل : كالباحث عن حفته بظلفه || <بانيابهما> بانيابها B

15 || متن الشيء : ما ظهر منه ؛ متن الأرض : ما ارتفع منها ؛ متن الطريق : وسطها || 1-18 و نكير

الحجاب ، و أقسام اللذات و أعلاها النظرُ الى رَبِّ العالمين . و جميعُ ما وُردَ في القرآن و نطقتُ به الأخبارُ الصِّحاحُ فهو حقٌّ و صدقٌ نُؤمِنُ به ايماناً لا نتمارى فيه .  
 ٤ و كذا الحوضُ المورودُ الذي مَنْ شَرِبَ منه شربةٌ لم يَظْمَأْ بعدها أبداً ، أحلى من العسلِ و أشدُّ بياضاً من اللبنِ . و كذلك الشفاعةُ فهي حقٌّ يَشْفَعُ الأنبياءُ ثم الأولياءُ ثم العلماءُ ثم الشهداءُ ثم عمومُ المؤمنين ، و لِكُلِّ مُؤْمِنٍ شَفَاعَةٌ كما قالَ رسولُ الله صلى الله عليه - هذا هو الاعتقادُ الحقُّ الذي أجمَعَ عليه السلفُ الصالحونَ و الأئمةُ 6 المنقرضون ، و لنا فيهم أسوةٌ حسنةٌ و قدوةٌ مرضيةٌ . و قد قلتُ في جملِ أصول الإيمانِ آياتاً وهي :

تَيَقَّنْتُ بِالْبِرْهَانِ مِنْ طَرَقِ الْعَقْلِ  
 سَمِيعٍ بَصِيرٍ عَالِمٍ مُتَكَلِّمٍ  
 يَقُومُ بِهِ مَا فِي سَمَوَاتِهِ الْعُلَى  
 وَ لَيْسَ لَنَا مِنْ خَالِقِهِ وَ مُصَوِّرِهِ  
 وَ لَارِيبَ لِي فِي أَنَّهُ مُهْلِكُ الْوَرَى  
 وَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَفْضَلُ خَلْقِهِ  
 وَ أَنَّ الَّذِي آدَى إِلَيْنَا مُحَمَّدٌ  
 وَ أَنَّ الَّذِي بَعَدَ الْمَمَاتِ جَمِيعُهُ  
 فَهَذَا اعْتِقَادِي وَ اعْتِقَادُ مَشَابِخِي  
 فَهَلْ بَيْنَ شَرْقِ الْأَرْضِ وَ الْغَرْبِ مُسْلِمٌ  
 وَ كَمْ زَنٌّ مَنْ فِي بُرْدَتِي خُصْمَاؤُهُ  
 9 وَ جُودٌ قَدِيمٌ لَا كَدَعَوَى إِلَى الْجَهْلِ  
 مُرِيدٌ قَدِيرٌ ذِي حَيَاةٍ وَ ذِي فَضْلِ  
 وَ فِي أَرْضِهِ السُّفْلَى مِنَ الْخَزَنِ وَ السَّهْلِ  
 12 سِوَى الْوَاحِدِ الْقَيُّومِ فِي الْعُلُوِّ وَ السُّفْلِ  
 وَ مُجِيبُهُمْ فَهُوَ الْمُجِدِّدُ وَ الْمُبْلِي  
 وَ قَوْلِي ذُو فَضْلٍ وَ مَا هُوَ بِالْهَزْلِ  
 15 كَمَا قَالَهُ حَقٌّ مِنَ الْفَرَعِ وَ الْأَصْلِ  
 عَلَيَّ مَا حَكَاهُ الْمُصْطَفَى خَاتَمُ الرُّسُلِ  
 وَ أَسْلَافِي الْمَاضِينَ ، وَ اللَّهِ ، مِنْ قَبْلِي  
 18 يُخَالِفُ فِيهِ ، مِنْ ذِي الْعَقْلِ وَ النُّقْلِ ؟  
 بِعُزْرَاءٍ مِنْ قَوْلٍ وَ شِنْعَاءٍ مِنْ فِعْلِ

فمالي وَرَبِّ الرَاقِصَاتِ إِلَى مِنِي      سوى دعوةٍ أَدْعُو بِهَا اللهُ مِنْ شُغْلِي  
إِلَهِي طَهَّرَ وَجْهَ أَرْضِكَ مِنْهُمْ      وَإِنْ صَحَّ مَا قَالُوا فَطَهَّرَهُ مِنْ مِثْلِي

3 والأولى أن أقتصر على هذا القدر وأن لا أطول الكلام مع ما أنا فيه من ضيق  
الصدر، و أنا أشكو إلى الله أقواماً أهدروا حقوق العلم و اعتمدوا غير المعروف من  
سجايأ أولى العلم، و سَعَوْا بِي إِلَى السُّلْطَانِ وَ اخْتَرَعُوا عَلَيَّ عَظِيمَ الْبُهْتَانِ، و لم يَقُمْ  
6 بواجب حَقِّي علماءُ الفِرْقِ وَ لَانُورُ المُرَقَّعَاتِ وَ الخِرْقِ، و أسلموني للخصوم أصادقهم  
و أعاديهم، فما أجدرهم بأن يُنشدَ قولُ الشاعرِ فيهم:

ما هذه القربى التي لا تتقى      ما هذه الرحمُ الذي لا ترحمُ

9 وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَزَلْ أُعِينُهُمْ عَلَى مَطَالِبِهِمْ وَأَقَوْمُ بِمَقَاصِدِهِمْ وَ تَحْصِيلِ مَأْرِبِهِمْ،  
وَأَنْصَرُهُمْ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ وَ أُجَازِي مُسِيئَاتِهِمْ بِالْإِحْسَانِ، وَ أُجْبِرُ كَسِيرَتَهُمْ وَأَفْكُ أَسِيرَتَهُمْ،  
وَأُصْلِحُ فَاسِدَتَهُمْ وَ أُدْفَعُ عَنْهُمْ حَاسِدَتَهُمْ، وَ أُحَقِّقُ ظُنُونَهُمْ وَ آمَالَهُمْ وَ أُعْلِمُ مِمَّا  
12 عَلَّمَنِي اللهُ جُهَالَهُمْ، وَ أَمَلْتُ أَسْمَاعَهُمْ غَرَائِبَ الكَلِمِ وَ قُلُوبَهُمْ لَطَائِفَ الحِكْمِ:

لا ذنبَ لي غيرَ ما سَيَّرْتُ مِنْ غُرَرِ

شَرْقاً وَ غَرْباً وَ مَا أَحْكَمْتُ مِنْ عُقَدِ

15 فَاللهُ حَسِيبِي وَ حَسِيبُهُمْ يَوْمَ لَا يَنْطِقُونَ وَ لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ .

فالحمد لله رب العالمين على نعمه المتظاهرة، و الصلاة على محمد و عرفه الطاهرة  
و حسبنا الله و نعم الوكيل .

## فهرس مواضيع المقدمة

صفحة	
٥-١	استشهاد عين القضاة
٦	الآراء التي استشهد من اجلها :
١٠-٧	١- رأيه في مسألة النبوة وامور الآخرة
١٣-١١	٢- رأيه في ضرورة تسليم المرید ذاته للشيخ المرشد
١٧-١٤	المذاهب والادبان في نظر المرید الصادق سواء
٢١-١٨	ابليس مثال العاشق الصادق والمطيع المتفاني في خدمة الله
	٣- رأيه في مسألة الحلول :
٢٤-٢٢	من خلال كتابي زبدة الحقائق و شكوى الغريب
٢٥	من خلال كتاب التمهيديات
٣١-٢٦	تجربة الحلول في نظر الحلاج والهمداني
٣٨-٣٢	موقف المسلمين من مسألة الحلول

## فهرس مواضيع شكوى الغريب

صفحة	
٥-١	شوق وحنين
٦	نكبات الدهر
٩-٧	النبوة والولاية
١١-١٠	المريد والشيخ
١٣-١٢	الحسد من كبائر المهلكات
١٤	التعصب
١٦-١٥	المصطلحات العلمية
١٨-١٧	علم المجاهدة
٢٥-١٩	اعلام الصوفية
٣١-٢٦	المصطلحات الصوفية
٣٢	الشطحيات الصوفية
٣٣	علم التصوف
٣٥-٣٤	العلم بالله ومعرفة الله
٣٦	كلام العشاق
٣٩-٣٧	شرائط التأويل
٤١-٤٠	مؤلفات عين القضاة

---

٤٣-٤٢	الايمن بالله وبصفاته
٤٥-٤٤	الايمن بالنبوة
٤٧-٤٦	الايمن بالآخرة
٤٨	خاتمة الرسالة

## فهرس الاغلاط المطبعية

صفحة سطر	صحيح	غلط	صفحة سطر	صحيح	غلط
١١ ١٢	عددت	عددت	١٤ ٢	مخطوطة	لمخطوطة
١٦ ١٣	حسد	حسد	١ ٣	الاهل	لاهل
٨ ١٤	يعتقدّها	يعتقدّها	١٤-١٣ ٧	وادرك ...	وادراك ...
١٥ ١٤	ادرج	ادرج		حيث ادرك	حيث ادراك
١٥ حاشية رقم ١٣	بعض	بعضى	١٧ و ١٥ ٨	فتوحات	فتوح
» » »	الاحاد	الاحاد	١٨ ٩	صدق	صدق ذلك
١٧ حاشية رقم ١	عجزا	عجز	٧ ١٥	لشفاء الانسان من	لشفاء
٤ ١٩	يتكلم	تتكلم	١٥ ١٥	شرطى	شروطى
٤ ٢٠	القائل	القائل	١٩ ١٦	يترتب	بترتب
١٠ ٢٠	سلوا	سلوا	١٢ ٢١	بل	بل
٢ ٢١	الفتا	الفتن	١٨ ٣٦	فيقول	فقال
» »	الخاصة	الخاصه	٤ ١	في ما	فيما
١ ٢٥	التنانى الاقطع	التنانى الاقطع	١٠ ١	ممر	ممر
١٦ ٢٥	الجنيد	الجنيد	٩ ٢	الرياح	الرياح
٣ ٢٧	الهوية	الهوية	١٠ ٢	يشفيننا	يشفيننا
٩ ٢٧	ان	ان	٣ حاشية رقم ٩	امرا	امرو
٣ ٣٢	»	»	٤ حاشية رقم ٤	غربان	غروبان
١٥ ٢٨	اختفاه	اختفاؤه	٥ حاشية رقم ٤	حرار	جرار
١٠ ٢٩	آخر	آخر	٩ ٦	يعود	يعود
١٩ ٢٩	عنى	عنى	٦ حاشية رقم ١١	خطى	خطى
٨ ٣٠	الانية	الانية	٨ ٧	عليها	عليها
٧ ٣١	اشياء	اشياء	١٦ و ١٥ ٩	انه	انه
٩ ٣٢	باقل	باقل	١٠ ٣١	»	»
٩ ٣٦	تصفح	تصفح	١٣ ١٠	فصول	فصولا
١ ٤٥	الذ	الذ	١٤ ١٠	المنهج	المنهج
٦ ٤٦	<بيحشان>	بيحشان	٦ ١١	قلوبهم	قلبه
١١ ٤٦	فاما	فاما	٧ ١١	الفاحشة	الفاحشة

زبدۃ الحق کسایتی



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الحمد لله على نعم متواصلة أرعى أطراف النهار رياضها و منح مترادفة أريد  
آناء الليل حياضها ؛ و أصلى على سيّد واد آدم و خير من زين بجماله العالم ، محمّد  
صاحب شريعة الاسلام و داعى الثقلين الى دار السلام ، و على آله المهتمدين بأنواره  
و أصحابه المقتدين بآثاره . و بعد فهذه اللّعة موسومة « **بُزْجَةُ الْحَقَائِقِ** » مشتملة على  
كشف الغطاء عن الاصول الثلاثة التي تعبّد بها كافة الخلائق . وقد أودعتها مائة فصل  
و وشحتها بنكت دقيقة من كل أصل . و هى عدّة كاملة للطالبيين فى أصول الدين  
و غنية وافية بمقاصد السالكين من علم اليقين الى عين اليقين . و قد ذكرت فى « الرسالة  
الدلائية » التى عملتها فى مذهب السلف الصالحين - رضى الله عنهم و عن من سلك  
طريقهم أجمعين - ما لا يستغنى عن اعتقاده العوام فى تلك الاصول ؛ أمّا الذى يشفى  
غليل الخواص فقد أعربت عن بيانه فى هذه الفصول . و قد استخرت الله عزّ وجلّ - فى  
إملائها فسلط على خواطر لم أجدُ بدأ من إمضائها ؛ و لو أنّ الخيرة كانت فى ذلك  
لما انتهج القدر بى هذه المسالك . فما استخار عبد فى إمر من أمور الدين و الدنيا إلاّ

يُسِّرَ له فيه أسباب الوصول الى درجته العليا .

و لقد كان إخواني يتوقعون ذلك مني إذ كنت مشتغلاً بتحصيل العلم واستفادته ،  
وقد أكببت طول الليل والنهار على استزادته . ثم انقطع طمعهم عن ذلك بعد ما ضربت  
عن طلب العلم صفحاً و طويت دون الإقبال عليه كسحاً . فصارت نفرة القلب عنه الى  
حدِّ كنت أستبعد معه من نفسي أن أتفرَّغ يوماً لتمهيد تأليف ، أو اذتغل بتأسيس  
تصنيف . و كان القلب في لجة بحر لا ساحل له ، و قد غرق فيه الأولون والآخرون ؛  
و ليس لهم معتصمٌ يعوّل عليه ، و لا مُستمسكٌ يلجأ اليه . ثم إني رأيت بعض المخلصين  
من إخواني تشوق نفسه الى الاحاطة بمنتهى نظر العلماء في أصول الدين ، و موقف  
أقدام السالكين في طريق البراهين ؛ فلما رأيت حاجته محتاجاً ، في طريقه الذي هو بصدده  
اليه ، و قفت بضع أيام من العمر عليه . و قد نشوشت على أحوال القلب بسببه ، ولكن  
و ظن نفسي على احتمال ذلك صدق طلبه . على أنني لما استخرت الله - عزّ وجلّ - قطع  
الخواطر الدافعة عني بتقديره ، و سخّرني لهذا الأمر فلم أجد مدفعاً لتسخيره . ثم كان  
القلب يطعثن الى قوله - عليه الصلوة والسلام - ما خاب من استخار . فابتدأت بإملاء  
هذه الفصول و قد قدّمت عليهما مقدّمة تتضمّن بيان الباعث الأصلي على إملائها ، و أختتمها  
بخاتمة تشتمل على ذكر الوظائف التي لا بدّ للناظر في هذا الكتاب من أن تكون  
موجودة فيه ، حتى تعظم فائدته من مطالعته . والله تعالى ينفع به كل من ينظر فيه ،  
و يؤيّد باطنه بصفاء يستوعب به معناه و يستوفيه ؛ فهو المُستمسكُ بعروة أنعامه  
و المستعان في كلّ أمر على كماله و إتمامه «وهو حسي ونعم الوكيل»

## مقدمة في بيان الباطن الاصلى على املاء هذه اللمعة

إنّ الذى دعانى الى ذلك غرضان مهمّان :

### الفرض الأول : < تلبية حاجة الاخوان الملححة >

إنّ جماعة من إخوانى ، وفقنى الله للقيام بحقوق صحبتهم وصدافتهم و نهض بى لأداء ما يجب علىّ فى رفاقتهم ، كانوا يقترحون علىّ إملاء فصول أذكر فيها ما ينتهى إليه نظر العقول فى العلم بذات الله - عزّ وجلّ - و صفاته و الايمان بحقيقة النبوة و باليوم الاخر . وأنّ أنظّم هذه المعانى فى سلك الفاظ يروق الفصيح ايجازها ، و يروع الناظر المستقلّ بالنظر إيجازها . و كانت عوائق الزمان و صروف الحدوثان تشغلنى عن القيام بما حامت رغباتهم عليه و توجهت همهم إليه . ثمّ لمارأتهم يحتاجون غاية الإحتياج الى ذلك خصوصاً فى الايمان بحقيقة النبوة و حقيقة الصفات الموصوف بها فاطر السموات و الأرض ، رأيت صرف العناية الى بيان ذلك أهمّ الأمور . و لقد ذكرت فى النبوة و ما يتعلّق بها من المقدمات العلمية فى رسالتى الموسومة « بغاية البحث عن معنى البعث » ما يشفى غليل الطالب المستفيد و يكفى الناظر المستبّد بنظرة السديد . و لكنّ لما كان الايمان بحقيقة النبوة إذ ذاك مستنداً الى علم اليقين و متلقّى من طرق البراهين ؛ و حاصل ما يدركه العقل من حقيقة النبوة يرجع الى إثبات وجود شيء للنبي بطريق جملى من غير إدراك شيء من حقيقة ذلك الشيء و ماهيته ؛ و هذا الايمان بعيد جداً من الايمان الذى يحصل لصاحب الذوق بحقيقة

النبوة . وبكاد يكون التصديق المستفاد من العلم بحقيقة النبوة شبيهاً بتصديق يحصل لمن لا ذوق له في الشعر بوجود شيء مجمل ، فإن من لم يُرزق ذوق الشعر قد يتمكن أيضاً من تحصيل اعتقاد ما بوجود شيء لصاحب الذوق ، ولكن يكون ذلك الاعتقاد بعيداً عن حقيقة الخاصية التي يختص بها صاحب الذوق .

و كنت إذ أملت تلك الرسالة ابن إحدى وعشرين سنة وأنا الآن ابن أربع وعشرين سنة و لقد أفاضت على الرحمة الأزلية في هذه السنين الثلاث من أنواع المعارف الغيبية و نفائس الاحوال الكشفية ما يتعذر على شرحه و وصفه ؛ و أكثر ذلك مما يستحيل عنه التعبير في عالم المتناظرين بالحروف و الاصوات . و أنا أجتهد غاية الاجتهاد أن أذكر منها طرفاً في هذه الفصول بأحسن إشارة و أرشق عبارة . و الحق الصريح أن أكثر الكلمات المذكورة في هذا الكتاب متشابهة غاية التشابه ؛ فمهما رأيت فيها لفظاً لم يؤدِّ حق المعنى المسبوك في قلبه ، فلان بسطن اليه لسان الاعتراض فلي في ذلك عذران واضحان : الاول أنني كنت من ذكر المعاني في شغل شاغل عن تنقيح الألفاظ فلم اوردتها على أحسن وجوه الابراد ؛ مع أن ذكر تلك المعاني بعبارات تطابقها من غير تشابه فيها ، يكاد يكون محالاً لابل هو كذلك قطعاً و يقيناً . و الثاني أنني أملت هذه الفصول لقوم لا يشغلهم تشابه الألفاظ عن درك حقائق المعاني فمن كثرة ممارستهم للحقائق العقلية صاروا بحيث لا يقطع عليهم طريق الأنس بالملكوت الفهم مع عالم الملك .

**الفرض الثاني :** < أن تكون هذه الفصول ذخراً يجذب الطالب مهالك العلم >  
 إن الطريق الى الله - عز وجل - وعر وسلو كه صعب وفيه ما لا يحصى من البحار المغرقة  
 والذيران المحرقة والجبال الشواهد والفلوات المملوءة بالصواعق ، والعقبان التي تستعصي  
 على الاعين و يمتنع وصفها على الالسن ؛ و كل واحد من السالكين يظن بنفسه أنه من

الواصلين. وقد عمّ الضلال جميع الخلق إلا من عصمه الله بفضله وكرمه حتى اهتدى إلى الصراط  
المستقيم والنهج القويم. والله عز وجل - يعيدنا من الاغترار بلامع السراب في المسارب ،  
ويعصمنا في الطريق عن القواطع المضلة حتى يرد بنا أعذب المشارب إنه على كل شيء عقدير .  
أجل و ممّا ضل فيه فحول العلماء الحدّاق من أهل النظر حكّمهم بأن  
حصول العلم بذات الله و صفاته من طريق التعلم ، هو غاية السعادات و منتهى  
الدرجات ؛ و هذا جهل عظيم قد استولى على الأكثرين من المتبحرين في العلم  
والواصلين ، فضلاً عن هوبعد في السلوك . و من ظنّ أنّ العلم بذات المعشوق و صفاته  
عين الوصول إليه فقد سحب الضلال ذيله عليه ، و من صار إلى أنّ الوقوع في مخلب  
السبع الضاري و أنّ العلم بالوقوع واحد ، فهو في مهواة بعيدة من الجهل ؛ وهذا مثل  
هؤلاء القوم في اغترارهم بظنونهم الفاسدة و آرائهم المتناقضة . على أنّ الوصول إلى ما  
يدعونه من العلم المشار إليه عزيز جداً إذ لا يتفق ذلك إلا على الندور و لبعض الأشخاص  
في آحاد الأعصار .

فلما رأيت الأمر على ذلك ورأيت نفسي ملية بالقيام على هذا المشكل و كشف  
القناع عن وجه الحق فيه ، صممتُ عزمي على إملاء هذه الفصول ليأخذها الطالب ذخراً  
في طريق العلم و مسالكه حتى يتيسر له النجاة من مهالكه . فمن زاحم العلماء بر كتيبه  
لطلب العلم ولم يعتقد أنّ وراء مقصده مقاصد كثيرة ، زلّ قدمه و كثر ندمه و عظم  
زلله و ظهر ، حيث لا ينفع خطاه و خطاله . وهذا لأنّ الغالب على من اعتقد أنه وصل إلى مقصده  
و أحرز في العلم قصب السبق ، وقف به الطلب ولم يكن في نفسه تشوّق إلى ما وراء ذلك ؛

و هذا الظن من السموم المهلكة لمن يسلك طريق العلم ؛ و من لم يُجرب ذلك حق التجربة فلا يتصور أن يعرف ما أقوله .

و لقد سلكت هذا الطريق و نظرت في غث العلم و سمينه ، و طالعت منه كل ضار و نافع حتى حصلت ما كان بهمني فيما كنت بصدده ؛ و أمّا ما كان قليل الغناء فما التفت اليه و لا عرجت في الطريق عليه علماً بأن العلم كثير و العمر قصير ، فتضييعه في تحصيل ما لا تعظم فائدته حماقة . و كان عذري إذ خضت كل مخاض في العلم واضحاً فالغريق يتمسك بكلّ شيء رجاء الخلاص . و قد كنت على شفا حفرة من النار لولا أن الله أنقذني منها بفضلته و كرمه . و كان السبب في ذلك أنني كنت أطالع كتب الكلام طلباً للارتفاع عن حضيض التقليد إلى ذروة البصيرة ، فلم أظفر منها بمقصودى . و تشوّشت على قواعد المذاهب حتى تردّيت في ورطات لا يمكن حكايتها في هذه اللمعة و لا فائدة في سماعها أيضاً للأكثرين ؛ فإنّه يولد ضرراً عظيماً للأفهام القاصرة و القلوب الضعيفة . فتحيّرت في أمرى تحيراً تنمّس معه العيش حتى دلّنى دليل المتحيرين على الطريق ، و أمّدتنى كرمه بالمعونة و التوفيق . و على الجملة فما أنعشنى من سقطتى بعد فضل الله تعالى إلا مطالعة كتب الشيخ الإمام حجة الإسلام أبى حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي . رضى الله عنه . و أرضاه . فكنت أتصفّحها قريباً من أربع سنين و رأيت في هذه المدة من الإشتغال بالعلوم عجائب كثيرة مما استبقذنى في الطريق من الكفر و الضلالة و الحيرة و العماية . و شرح ذلك لا يفى به بيان فانه خارج عن حدّ الحصر و الإحصاء و لا متمع فيه لطلب الاستقصاء . ثم لما حصلت مقصودى من العلم و ظننت أنني وصلت

جعلت أنشد لنفسي قول الشاعر :

إنزل بمنزل زينب ورباب      وارتع فهذا مرتع الأحاب

فبينما أنا أخط رحالي في الثرى وأنيخ المطايا لتترفه عن السير و السرى اذ  
أخذت عين البصيرة في الا نفتاح ، ولست أعنى بصيرة العقل حتى لا تغتر بخاطر ك . وكانت  
عين البصيرة تنفتح قليلا قليلا ، و كنت أقف في أثناء ذلك على القواطع التي كادت تقطع  
على طريق الطلب لما وراء العلوم . وبقيت في ذلك قريبا من سنة وأنا بعد لم أقف على  
حقيقة الواقعة التي وقعت لي في تلك السنة حتى أن سيدي ومولاي الشيخ الأمام الأجل  
سلطان الطريقة وترجمان الحقيقة أبا الفتوح أحمد بن محمد بن محمد بن الغزالي - متع  
الله ببقائه أهل الأ سلام و جزاه عني خير جزاء - ساقه التقدير إلى همدان و هي مسقط  
رأسي؛ فأنكشفت لي في خدمته قناع الحيرة عن وجه تلك الواقعة في أقل من عشرين  
يوماً فشاهدت جليلة الحال في ذلك . ثم طولعت بشيء لم يُبق مني ومن طلبى لغيره إلا  
ما شاء الله . و أنا الآن منذ سنين ليس لي شغل إلا طلب الفناء في ذلك الشيء ، و الله  
المستعان على إتمام ما وليت وجهي شطره . ولو عمّرت عمر نوح وأفنيته في هذا الطلب  
لكان له بعد قليلا . ورحم الله أبا فراس حيث يقول :

تهون علينا في المعالي نفوسنا      و من خطب الحسناء لم يُغله المهر

و كان ذلك الشيء قد طبّق الخافقين فلا يقع بصري على شيء الأ يراه فيه :

وجهه في كل ناحية      حيث ما قابلته قمر

و كل نفس لا يزيدني استغراقاً في مشاهدته فلا بورك لي فيه . والله درّ أبي الطيّب

و هذا الشعر لفاظات فيه :

تركنا لأطراف القنا كل لذّة      فليس لنا إلا بهنّ لعاب  
 فغير فؤادى للغوانى رميّةٌ      و غير بنانى للزجاج ركاب  
 و المغبون من لم يجعل أنفاسه أثمان المعالى ، و لم يجتهد فى طلب العز طول  
 الأيام والليالى . ولقد أجاد الموسوى حيث يقول :  
 إذا أنالم أركب إليها مخاطرأ      و أعظم قتلا دونها و قتالا  
 فهذا حسامى لم أرق ذبابه      مضاءً و هذا ذابلى لم طالا  
 وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل لى من التوفيق ساعداً ، و من القضاء الأزلّى مساعداً  
 حتى أملك ناصية سؤلى و أبلغ قاصية مأمولى .  
 و لقد تنمّت الرياح بحاجتى      فإذا لها من راحتك نسيم  
 و لربّما استيأست ثم أقول لا      إنّ الذى ضمن النجاح كريم  
 و سأزجى قلاصى حتى يتعيّن من أسر الزمان و المكان خلاصى ؛ فأنيخ المطايا فى  
 أعزّ مناخ ، و أسمو بنفسى إلى وؤاخاة من هو أجلّ مؤاخ :  
 منى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى      و إلا فقد عشنا بها زمنا رغدا  
 فالهمم العالية لاتقف بالنفوس الزكّبة دون الوصول الى الحضرة المحمدية .  
 و إذا المطى بنا بلغن محمداً      فظهورهنّ على الرجال حرام  
 قرّبنا من خير من وطئ الثرى      فلها علينا حرمة و زمام  
 و الكلام فى أمثال ذلك يطول و أنا أخوض فى بيان الأصول و أقول : أهمّ ما



ينبغي أن أبدأ بذكره في هذا الفصول ، بعد حمد الله الذي يُفتح كل كتاب بحمده والصلوة على محمد رسوله و عبده ، تعريفك أن أكثر الخلق لا ينتفعون بمطالعة هذا الكتاب حق الانتفاع فإن ذلك مهم في نفسه؛ و سأتهج لك في خاتمة هذه الفصول طريقتاً إذا سلكته صرت وافر الحظ من هذا الكتاب .

### الفصل الاول

> المؤمنون ، في تصديقهم بما جاءت به الرسل : على أربعة أقسام <

إعلم أن المصدقين بالسعادة الأخروية و الطالبين لها أربعة أقسام :

**القسم الاول :** فريق صدقوا بما جاءت به الرسل ، فأمنوا بالله وعلائقته و كتبه

و زسله و اليوم الآخر ؛ و لم يحتاجوا في هذا الإيمان الى بحث نظري كما جرت

به عادة العلماء النظار . وهؤلاء لا يصلح لهم النظر في هذا الكتاب أصلاً إذ ليس يحتاج

منهم أحد الى شيء مما ذكر فيه . نعم يجوز أن ينتفع به إن نظر فيه للأستفادة

و لكن النظر فيه ليس بهم لأمثاله .

**القسم الثاني :** فريق من علماء الظاهر سلكوا مسلكاً من البحث غير مرضي

عند المحققين ، فقلدوا جماعة من أرباب المذاهب في مذاهبهم و في دلائلهم جميعاً .

و هؤلاء أحسن حالاً من القسم الأول ، و ليس لهم حاجة الى النظر في هذا الكتاب ،

و ربما لا ينتفعون به إن نظروا فيه ايضاً .

**القسم الثالث :** فريق من العلماء النظار الذين يزعمون أنهم لا يقلدون في

عقائدهم أحداً من الخلق ، و إنما يسلكون فيها طريق البحث العقلي و النظر البرهاني

و طريقة هؤلاء في طلب العلم أحمدُ الطرق ، إلا أنهم إذا قطعوا منازل العلم ظنّوا أنهم وصلوا الى الكمال الكلى فيما هم بصدده . وغرور هؤلاء بما حصلوه من العلوم النظرية عظيم؛ فإنهم يظنون أن تحصيل العلم بالله وصول اليه، وهو عين السعادة المطلوبة. فترى الواحد منهم يكتب طول الليل و النهار على طلب الدنيا و شهواتها ، و يزعم أن ذلك لا يضر أمثاله ، وأنه سعى منه في طلب علف البعير ، و امتثال لأمر الله - عز وجل - حيث يقول: «ولا تنس نصيبك من الدنيا» . و هذه حماقة عظيمة يصعب الخلاص منها إلا لمن تأخذ بضبعه عناية أزلية . و هؤلاء أيضاً لا ينتفعون بمطالعة هذا الكتاب؛ فتراهم إذا نظروا فيه يتحدلقون و يقولون : نحن اذا لم نُقلد الأنبياء من غير برهان يقوم على صدق ما يقولونه ، فما بالناس نقلد غيرهم ؟ و أى فرق بيننا و بين سائر العوام اذا قلدنا واحداً من غير بصيرة سواء كان نبياً أو غيره . و هذه مهلكة عظيمة هلك فيها النظار الآ من عصمه الله بفضله ، و قليل ما هم . و نعم الطريق طريق النظر، لو لم يكن فيه أمثال هذه المهالك ؛ و من زعم أنه يسلك ذلك الطريق و لا تضره تلك المهالك، فهو جاهل؛ و سيعلم حقيقة ما ذكرته في سلوكه و لا ينفعه العلم .

**القسم الرابع :** شذمة قليلة يسلكون طريق العلم النظرى ، فاذا فرغوا من قطع عقباته و منازلها ، لم يشف ذلك غليل طلبهم شفاءً كلياً . و من حصل له علم ضرورى يقينى بوجود البارى - تعالى و تقدس - و بوجود صفاته فسكنت بذلك فورة طلبه ، فليس هو من القوم المشار اليهم أصلاً ؛ فهؤلاء لا يزيدهم التبخر فى العلوم إلا جدافى الطلب و تشوقاً الى مزيد الاستبصار ، و تطلعاً الى ما وراء العلم و العقل من كشف ذوقى

يختص به خواص الحق ، و هم الذين ينتفعون بهذا الكتاب و مطالعته حق الانتفاع .  
و لم تصدق رغبتى فى إملاء هذه الفصول إلا لأجلهم ، مخافة أن أكون عرضة لقول  
الشاعر :

فما خير من لا ينفع الأهل عيشه      و إن مات لم تجزع عليه أقاربه  
و الله تعالى ينفعهم بمطالعه كما يحب ، و لا يجعله و بالأعلى و عليهم بفضله  
وجوده .

## الفصل الثانى

< الاستدلال على القديم من طريق الوجود >

إعلم أن ما اتضح فيه كلام النظار من المسائل المطلوبة واستوفى عليه البرهان  
فى كتبهم ، فإنى لأطول بذكره فى هذا الكتاب ؛ بل أقصر على ذكر ما أهملوه و لم  
يتضح فيه كلامهم غاية الايضاح ؛ كعلم الله بالجزئيات و حقيقة النبوة و بيان أنها عالم  
من عوالم لا يتصور للعقل الوصول اليها ، و غير ذلك من المسائل التى تاهت فيها عقول  
النظار كما يأتى فى الكتاب تفصيله . و أما المسائل التى حققوا القول فيها غاية التحقيق ،  
فلا تعرض لها إلا أن يجىء ذلك عرضاً فى أثناء الكلام غير مقصود ، كما هو حكم المسألة  
التي أذكرها فى هذا الفصل فى إثبات موجود قديم . و إنما أوردت ذلك لغرض مهم  
و هو أن يقاس ما أذكره فيها بجميع ما ذكر فى الكتب و ينصف أنه هل يتصور  
أن يكون قول أوجز و أقرب الى التحقيق منه أم لا . فإن أهل النظر حققوا القول  
فى تلك المسألة من وجوه كثيرة ، و أكثرهم ضلوا فيه عن سواء السبيل ؛ كمن استدلل

على وجوده أعنى على وجود القديم ، من طريق النظر في الحركة؛ فإن ذلك، وإن كان طريقاً واضحاً و بالمقصود وافية ، فسلكه بطول، ويحتاج فيه إلى إثبات مقدمات يستغنى عنها من يسلك الطريق المستقيم . لست أنكر أن النظر في الحركة فيه فوائد كثيرة؛ و لكنني أقول أنه مستغنى عنه في تلك المسألة من حيث ذاتها . و قد ذكر الإمام حجة الإسلام الغزالي - رضى الله عنه - في كتابه الموسوم «بالاقتصاد في الاعتقاد» قريباً من عشرة أوراق في إثبات القديم . ولعمري أنه كان معذوراً في ذلك فإن كتابه هذا على منهاج كتب الكلام و ان كان كلامه فيه مترقياً عما يشتمل عليه كتب المتكلمين . و كثيرٌ ممن سواه سؤدوا أوراقاً كثيرة في تلك المسألة كما هو مشهور عند العلماء؛ وذلك فصول مستغنى عنه .

و الحق اليقين في إثبات القديم أن يستدل عليه بالوجود الذي هو أعم الأشياء؛ إذ لو لم يكن في الوجود قديم لما كان في الوجود موجوداً أصلاً و البتة؛ و ذلك لأن الوجود ينقسم قسمة حاصرة إلى الحادث و القديم؛ أعنى إلى ما لوجوده بداية و إلى ما ليس لوجوده بداية. فلو لم يكن في الوجود قديم لم يكن أصلاً حادث، إذ ليس في طبيعة الحادث أن يوجد بذاته ، فإن الموجود بذاته يكون واجب الوجود ، و الواجب بذاته لا يتصور له بداية . و ينتج من هذه الكلمات قياس برهاني يُلقبُه أهل النظر بالشرطي المتصل، ليكون ادراكه أسهل على المبتدى الذي لم يَقوَ على ادراك الحقائق المعقولة . فيقال : لو كان في الوجود موجودٌ لزم بالضرورة أن يكون في الوجود قديم؛ فهذا أصل يقينى لا يتصور أن يشك فيه أحد من الخلائق . ثم يقال : الوجود معلوم قطعاً؛ و هذا أصل ثانٍ و هو كالأول يقينى . و بعد ذلك ينتج من الأصلين

السابقين، وجودٌ موجود قديم، بالضرورة. وهذا هو الاستدلال على القديم من طريق الوجود؛ ولا يتصور أن يكون وراء هذا البيان بيان، لافي الإيجاز ولا في التحقيق. وبعد ذلك فلا بُدَّ لك من البحث عن صفات هذا القديم، الذي ثبت وجوده بطريق البرهان الضروري، وأنه كيف ينبغي أن يكون هذا القديم. وذلك مشهورٌ وكتابه مشحونٌ؛ فليس هذا الكتاب مما يحتمل بيان جميع ذلك، فلذلك مقام مقال مخصوص. والغرض من هذا الكتاب بيان أمر هو أشرف من العلوم العقلية فلا تطول به ذكرها. فاعلم الآن وتيقن أن ما انتهى نظر النظار فيه إلى هذا الحد من الوضوح، فالغالب على أن لا تعرض أن أذكره في هذه الفصول إلا إذا احتجت إلى ذلك في شيء مما وراءه.

### الفصل الثالث

< وجود الله و صفاته في نظر العارف >

لا شك عند ذوى البصائر النافذة في حجب الغيب و سرادقات الملكوت، في وجود معنى صدر عنه الوجود على أتم الوجوه؛ وهو الذى غير عنه خارج الحجب فى لسان العرب بقولهم الله تعالى. و أعنى بذوى البصائر من يدرك وجود ذلك المعنى من غير مقدمة علمية، كما هو حال أهل النظر. و ذلك المعنى يتعالى و يتقدس عن أن يطمح نحو حقيقته نظرًا ناظر سواه. و سبحانه عن أن يطمع طامع فى جواز ذلك، فهو المتعزّز بذاته لا عن ذاته؛ فذاته و نفسه هى التى اقتضت هذا التعزّز على الغير، كما أن الشمس بذاتها تقتضى فى كمال سلطان إشراقها أن تكون متعزّزة عن أن تمتد

اليها أبصار الخفافيش » و «لله المثل الأعلى و من آياته الشمس» و «لولا إذنه و كرمه  
 الفياض المقتضى الاذن، لما اجترأ أحد من البشر على ضرب مثل له؛ فكيف لا يستحيل  
 ضرب المثل في حقه إذ « ليس كمثله شيء » . فالشمس في المثال الذي ضربناه ليست  
 تفي بكمال المقصود؛ فإنها لا تقتضى بذاتها لا تعزلاً و لا غيره، لأن وجودها مستفاد  
 من الغير مع جميع صفاتها . و ليس في الوجود موجوداته ذات يحق لها حقيقة الوجود  
 سوى الواحد القهار الذي هو منزّه عن كل كمال تُدرّكه الأنبياء و المقرّبون فضلاً  
 عن نقصان يتخيله فيه ضعفاء البصائر، الذين يكتفى عنهم القديم و يقول: « الظانين  
 بالله ظنّ سوء عليهم دائرة السوء » . فلعزّة ذاته على عموم الخلق قال في كتابه  
 الكريم: « سبحان ربك ربّ العزّة عمّا يصفون » و «لكمال كرمه و نهاية عنايته  
 بعباده، نزه نفسه عن النقصان تلطفاً بهم و تعظفاً عليهم فقال - جلّ من قائل - « لم يلد  
 و لم يولد » و «لم يتخذ صاحبةً و لا ولداً» . وهو منزّه في بصائر العارفين عن الكمال  
 الذي يُمكن إدراكه للخلق حسب تنزّهه عند الجاهلين عن كل نقصان .

## الفصل الرابع

### < أقسام الوجود >

فإنه - عز وجل - هو مصدر الوجود على اختلاف أجناسه و أنواعه . و الوجود  
 ينقسم الى أقسام عامة تندرج تحتها جميع الموجودات: كالنقسام الى القديم الحادث،  
 و الكامل و الناقص، و الواحد و الكثير؛ و من أقسامه العامة: انقسامه الى ما له من

ذاته خيرٌ و هو كل ماله حيوة ، و الى ما ليس له من ذاته خيرٌ و هو كل ما ليس له حيوة . و كل واحد من هذين القسمين يمكن تقسيمه الى أقسام مختلفة باعتبارات متعددة ؛ فينقسم القسم الأول ، و هو الذى له من ذاته خير فى إدراكه ، الى ما لا يُدرك إلا الموافق لطبعه و الى ما يُدرك المنافى لطبعه مع الموافق له . و أما القسم الذى لاخير له من ذاته فينقسم ، عند اعتبار لونه مثلاً ، الى الأبيض و الأسود وغيرهما ؛ و ينقسم انقسامات اخر عند اعتبارات سواء ؛ و شرح ذلك يطول و ليس الغرض متعلقاً به ، فنضرب عنه صفحاً الى ما هو الغرض المقصود و نقول : بعض الموجودات إذا اعتبر نسبتها الى القسم الذى يُدرك الموافق لطبعه مع المنافى ينقسم ، باعتبار تلك النسبة فقط ، الى الخير و الشر ؛ و الموافق للقوة المدركة خيراً بالنسبة اليها مادام يوافقها إدراكه ؛ فإذا تغيرت بينهما هذه النسبة فلم يوافقها إدراكه بل أضرّبها ، كان شراً بالنسبة اليها . و لذلك يجوز أن يكون الشيء الواحد فى حالة واحدة خيراً و شراً بالنسبة الى مدركين . و ما أصدق القائل إذا : مصائب قوم عند قوم فوائد .

### الفصل الخامس

< سبب تعدد صفات الله >

إعلم أن الله الذى هو مصدر الموجودات على اختلاف أقسامها ، له أسام كثيرة بالنسبة الى تلك الأقسام ، و تكاد تلك الأسامى تخرج عن الحصر لو أراد مريد أن يستوفى جميعها ؛ فله باعتبار النسبة إلى كل موجود حصل منه اسم . و أما ما سُمى به نفسه فى كتابه و على السنة أنبيائه ، و سُمى به عند الخلق فهو محصور . و هذه الكلمات ربما تحتاج عند الضعفاء الى زيادة شرح و ابضاح . و أنا أكسر سورة الإنكار

فى ذلك و أقول : إذا اعتبر ذات الله - عز وجل - من حيث هى مصدر القسم الذى يدرك  
الموافق و المنافى واعتبر مع هذا نسبة ذلك القسم الى الشئ الذى يوافق و ينافيه من  
حيثه يوافق و ينافيه ، ظهر إسمان و هما الضار و النافع ؛ فإن الجماد لا يضره شئ  
ولا ينفعه شئ من حيث الادراك وإن كان يجوز أن تنعدم صورته بشئ فىكون ذلك الشئ  
هو الذى ضر صورته ؛ و لكن الاصطلاح الحقيقى الأسمى فى الضر و النفع أنهما  
لا يطلقان إلا على ماله إدراك؛ و أما إطلاقهما فى مقتضى اللسان على غيره فهو بطريق  
النقل . و الألفاظ المنقولة كثيرة و هى أشهر من أن تحتاج الى بيان؛ و لا عبرة بالألفاظ  
بعد ظهور المعانى .

## الفصل السادس

< الفرق بين أسماء الله و صفاته >

لعلك تقول ، الضار و النافع صفتان فكيف قلت أنهما اسمان ؟ و هل يجوز أن  
نقول صفات الله تعالى أسماؤه أم بينهما فرق ؟ فاعلم إنا إذا نظرنا من حيث الحقيقة  
فالفرق ظاهر بين الأسم و الصفة ، فإنهما متغيران فى المعنى . فالأسم هو اللفظ الذى  
وضعه أهل الاصطلاح للدلالة على أسماء من غير أن يُعتبر فيه صفة على حدتها .  
فأما الصفة فهى بالعكس من ذلك؛ و هنا كما أن اسم الحجر يدل على أسماء من غير  
أن يُعتبر منه الصلابة أو اللين ؛ و الصلب و اللين صفتان لا تُطلقان إلا عند اعتبار شيئين  
مخصوصين فى الحجر و غيره . هذا هو الحق الصريح مهما نظرنا من حيث العقل ،  
و أما إذا نظرنا من حيث الشرع فقد قال الله تعالى « و لله الأسماء الحسنى فادعوه بها »



وعلى هذا، يندرج اللطيف والحكيم والخبير والرحمن والرحيم تحت تلك الأسماء .  
و يشبه أن لا يكون له إسم يدل على حقيقة مسماه من غير اعتبار بعض صفاته إلا الله ،  
فإن هذا الاسم له بمنزلة أسماء الأعلام للغير .

### الفصل السابع

< كلمة الله هي اسم علم للواجب >

إذا نظرت نظراً شافياً علمت أن كل ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به غيره فهو  
باعتبار نسبه الى بعض الموجودات أو الى جميعها ؛ و سيأتي لذلك مزيد إيضاح فيما  
بعد. وأما الاسم الذي هو علمي له ، فيشبه غاية الشبه أن يكون موضوعاً للدلالة  
على الموجود الذي انتهى اليه نظر السالك ؛ كالذي سافر من طريق الوجود الحسى  
الى الوجود العقلي ، ثم انتهى به السلوك الى أن فتحت له ابواب الملكوت ؛ فلما انتهى  
تغلغل في بحار الملكوت ، ظفر بـدرة التوحيد، و وضع الأسم العلمى للدلالة على تلك  
الدرة، لا باعتبار نسبتها الى موجود صدر عنها بل باعتبار ذاتها فقط ، من حيث رآها  
موجودة . و أما الذي سُمى تلك الدرة قديمةً فإنما سماها بذلك من حيث رأى مغايرتها  
لسائر الذوات في الحاجة الى علة موجودة لها . و كذلك إذا نظرت الى اسم الحى  
والحق، علمت أن واضعهما نظر عند الوضع الى موت الغير و بطلانه . فأما الاسم  
الذى هو كالعلم له فلا تجد فيه شيئاً من ذلك ؛ وربما يتكلف فى ذلك أيضاً، و يتصرف  
فيه بأنواع من التصرفات الباردة التى ذكرها أهل النحو و التصريف فى كتبهم .  
و اشتغالى بشرح وجوه الخلل فى تلك التصرفات لا يحتمله الوقت فإنه أنفس من أن  
يُضَيِّع بأمثال ذلك ؛ ولا هذه اللمعة تحتمله فإنها تنبوع اختصارها عن بيان ما يضاهاى ذلك.

## الفصل الثامن

< تعريف الواجب و المحال و الممكن >

كل ممكن فيجب وجوده بالقديم؛ هكذا جرت سنة الله في الملك والملكوت  
 « و لن تجد لسنة الله تبديلاً » . و كل ما لم يوجد بعد فهو يُعَدُّ محال الوجود أعنى  
 بغيره لا بذاته . و المحال لا يكون مقدوراً ؛ و ما لم يصر الشيء مقدوراً فالقدرة الأزلية  
 لا توجد . و بيان ذلك أن السبب في وجود الموجودات هو الله - جل جلاله - وهو  
 موجودٌ و لا مانع من وجود المُسبَّب مع وجود السبب إلا فقد شرط لأن وجود  
 المشروط مع عدم الشرط محال . و مهما وجدت شروط الممكن أوجبت القدرة الأزلية  
 وجوده بالضرورة . و مادام يعوزه شرط فهو بعد ليس بممكن الوجود . فإذا تحقق  
 ذلك فاعلم أن كل موجودٍ فهو واجب الوجود إما بذاته وإما بغيره ، فقد اتصلت إذاً  
 حدود الواجب و المحال و لاحائل يحول بينهما ؛ و إنما الإمكان حدٌ فاصل بينهما  
 و لاحقيقة له أصلاً كالنقطة الوهمية التي تُفرض على خط مستقيم ، و كالحَد الحاجر  
 بين الماضي و المستقبل من الزمان ؛ و كان آخر حدود الماضي متصلاً بأول حدود  
 المستقبل ، و أما الحد الذي يفصل بينهما فلا حقيقة له إلا في الوهم . فإنك إذا فرضت  
 نقطة و همية على خط الزمان المنقسم إلى الماضي و المستقبل لم تجد شيئاً فاصلاً عن  
 الماضي و المستقبل ببقية عن خط الزمان حتى يكون هو حقيقة الحد الفاصل ، و هو  
 النقطة المفروضة في الوهم .

## الفصل التاسع

< الغاية من الابداع والخلق >

إن خطر ببالك أن الله تعالى لم يوجد؟ الغرض يرجع إليه؟ فهو محال. أم لغير غرض، وهو أيضاً محال إلا من طريق الطبع المحض، ولا يوصف الله سبحانه بذلك. فاعلم أن هذا السؤال تحير فيه أكثر العلماء وهو الخاطر الذي خطر لداود النبي - عليه السلام - حيث قال: «أى رب لم خلقت الخلق؟ فقال له: كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف» وكان المعنى الذي يقتضى صدور الوجود عنه هو الذي كنى عنه بقوله: «فأحببت أن أعرف». ولا يتصور إدراك ذلك المعنى إلا للعارفين؛ وإنما نصيب العقل أن يستدل على وجوده بوجود الموجودات، وذلك بعد ما تحقق عنده أن الله عالم بالجزئيات بحيث لا يتشكك فيه. فإن العقل إذا تحقق استناد الموجودات إليه و تحقق بعد ذلك علمه بالجزئيات ظهر له لامحالة، أن ابداع الواجب مع علمه بالابداع، صفةٌ ضرورية الوجود لتملك الذات؛ كما أن التدم مثلاً صفة ضرورية لها. وكما لا يجوز للواجب أن لا يكون قديماً فلا يجوز له أن لا يكون مصدراً للخلق؛ وكان قول القائل: لم كان مصدراً للوجود كقوله لم كان قديماً. والجواب أنه لو لم يكن قديماً لم يكن واجباً؛ ولو لم يكن مصدراً للوجود أيضاً لم يكن واجباً. فمن تحقق استناد الوجود إليه فلا بُد وأن يقول: إن الابداع صفةٌ له؛ فيقول: هذه الصفة ان كانت ضرورية الوجود له فالسؤال يلم عن كونه موصوفاً بها، هوس؛ فهو كالسؤال يلم عن كونه قديماً؛ وإن كانت غير ضرورية الوجود له، فهي صفةٌ عارضة خارجة عن ذاته، والعوارض تحتاج الى العلل والواجب يأبى بذاته أن يحتاج فى شيء الى شيء وإلا لم يكن واجباً.

## الفصل العاشر

< منتهى عروج العقل في معرفة الله >

كل موجود حادثٌ وُجد فهو مقدرٌ إذ لو لم يكن مقدوراً لما وُجد؛ فمصدر الوجود إذاً قادرٌ . و كل موجودٍ مقدرٍ فهو مرادٌ إذ لو لم يكن مراداً الوجود لما وُجد؛ فمصدر الوجود إذاً مريدٌ . و كل موجودٍ مرادٍ فلهُ إلى الواجب نسبة ما ؛ وله ، أعنى للواجب ، إلى كل موجودٍ وجه . و كل موجودٍ فهو حاضرٌ للواجب ، و الواجب معاينٌ لكل موجودٍ ؛ و ما ليس بحاضر للواجب فهو معدومٌ إذ ليس له إليه وجه . و لو لا وجه القيوم لم يكن للموجودات أصلاً وجودٌ ؛ كما يقال في النظر العامى : لو لا وجه الشمس المقوم لوجود الشعاعات المنبسطة على الأرض ، لم يكن للشعاعات أصلاً وجود . و اذا كان للواجب الى كل شيء وجهٌ ، كان بالضرورة عالماً بكل ذرة من ذرات الوجود . فهذه غاية العقل في عروجه فإنه يُثبت في الواجب كل ما يراه ضرورياً له من طريق الاستدلال عليه بالموجودات وصفاتها ، كما تراه من استدلاله بالموجودات وحدوثها على قدمه وقدرته و علمه و ارادته ؛ و أما ما وراء ذلك فليس ادراكه من شأن العقل .

## الفصل الحادى عشر

< علم الله لامتناهٍ >

كل ما فى الوجود فنسبته من سعة العلم الأزلى كنسبة لاشيء الى شيء لا يتناهى . و هذا الكلام يدركه العارفون ببصائرهم تحقيقاً بحيث لا يمكنهم أن يتشككوا فيه ؛ كما أن العقلاء يدركون أن الكل أعظمُ من الجزء ، وأن وجود المفرد

مقدم على وجود المركب . و هذا الإدراك يقينى عند العقلاء لا يشوبه شبهة أصلاً ؛  
و البهائم حُرمت إدراك ذلك مع وضوحه عند العقلاء إذ عُدِمَت حاسةُ هذا الإدراك  
فكذلك العقلاء المعتكفون فى طور العقل الذين لا يمكنهم مجاوزته ، يُحرَمون إدراك  
قولنا : نسبة كل الموجودات إلى علم الله تعالى كنسبة لا شيء إلى شيء لا يتناهى ؛  
فيتحبرون و يتيهون فى كيفية علم الله بالجزئيات و يظنون أن تغير علمه لازم من  
تغير هذه الجزئيات .

### الفصل الثانى عشر

#### < علم الله بالجزئيات >

و من عجائب آيات القرآن قوله : « فَلَنَقْصِنَ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَ مَا كُنَّا غَائِبِينَ » ؛  
فهو مشعر بأن كل شيء حاضر له و أنه حاضر مع كل شيء ، فلذلك لا يعزب عن  
علمه شيء . و أما قوله : « وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا » فإن استعمال السعة فيه مع ذكر  
العلم أعجب من كل عجب . و بيانه أن الموجودات مستفادة من علمه ، وعلمه محيط  
بكل شيء كما قال : « أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا » . و الحق أن الله - جل و علا - هو  
الكثير و الكل ، و أن كل ما عداه هو الواحد و الجزء لابل فكل ما سواه فليس بجزء  
و لا واحد أيضاً إلا من الوجه الذى يلى كليته و كثرته . و خذ لهذا الكلام الغامض  
فى نفسه مثلاً على قدر عماك ؛ واعلم أن الشمس وإن كانت واحدة فالشعاعات الفائضة  
منها كثيرة ؛ فالحق أن يقال : الشمس هى الكثيرة و الشعاعات هى الواحدة . و إذا  
كان العلم المستفاد من وجود المعلوم سَمِيَ علماً و هو علم الخلق ، فكيف لا يُسمى  
الصفة الإلهية التى هى ينبوع الموجودات كلها علماً ؛ لابل الحق أن لا يُطلق اسم العلم

الاعليها ؛ فإن أطلق على غيرها فبالمجاز المحض والتوسع البعيد و الاشتراك الصرف من حيث الحقيقة عند العارف ، وإن كان العلماء يحكمون بأن إطلاق لفظ العلم على علم الله و علم الخلق بطريق التشابه .

و قول من قال أن الله لا يعلم الجزئيات - تعالى عن قولهم علواً كبيراً - كأنه ذهب إليه معتقده من حيث أنه رأى تلك الجزئيات داخلية تحت الماضي والمستقبل فظن أن تغييرها يوجب تغير العلم بها ، وهذا هراس عند أهل التحقيق ؛ لأن الزمان جزء من الموجودات ، لأنه عبارة عن مقدار الحركة و الحركة من صفات الأجسام خاصة ؛ و معلوم أن الأجسام أخس الأقسام الموجودة من العلم الأزلي . و الموجودات كلها شريفها و خسيسها مستفادة منه ، وليس وجود العلم الأزلي موقوفاً على وجود شيء ، بل وجود كل شيء متوقف على وجوده . فإذا كان الزمان جزءاً من الموجودات كما يُبين فكيف يجوز أن يقال ؛ يلزم من تغير بعض الموجودات تغير علمه ؛ وإنما كان يصح ذلك لو كان علمه متوقفاً على وجود الموجودات كما هو حكم علم الخلق ، فإذا لم يكن علمه كذلك فلم يلزم من تغير الموجودات تغير العلم المحيط بها .

### الفصل الثالث عشر

< تشبيه علم الله بإشراق الشمس >

من ظن أن تغير الشعاعات ، بسبب حجاب يمنع استعداد الأرض لقبولها كالسحاب مثلاً ، يلزم منه تغيرُ الصفة التي هي ينبوع الشعاعات ، فقد ضل ضللاً بعيداً و لعمرى يجوز أن تتغير الشمس فتتغير الشعاعات عند تغيرها ؛ ولكننا فرضنا

الكلام فيما إذا كان تغير الشعاعات صادراً عن حجاب يمنع قبول الأرض لنور الشمس، لست أقول يمنع فيضان الشمس فإن الشمس بصفاتها كما كانت لم يتغير شيءٌ منها بسبب هذا الحجاب، وإنما الحجاب يمنع قبول الأرض لفيضان نور الشمس.

### الفصل الرابع عشر

< تمة الفصل السابق >

فاعلم أن الشمس بذاتها كاملة في سلطان إشراقها ليست تحتاج في اكتساب كمالٍ إلى شيءٍ آخر؛ فمن ظن أنها إذا قابت جسماً، فظهر شعاعها عليه وبلغ أثرها إليه، كان ذلك كمالاً في حقها فقد أخطأ خطأً فاحشاً. فإن كمال كل شيء في مقابلته للشمس حتى يحظي من كمال إشراقها بنصيب ما، فأما أن تكون مقابلة الشمس شيء كمالاً لها فكلاً وحاشا. هذان من حيث النظر العامي مثالٌ جليٌّ في تفهيم المقصود، وهو عند ذوى الألباب لب اللب و كمال الكمال. وهذه الالفاظ تبعد غاية البعد عن أن تتجلى حقائق معانيها بالبصيرة العقل، وإنما إدراكها إلى طور وراء العقل؛ ومهما كان في باطنك شيءٌ منه فلو أفيضت عليك المعقولات كلها دفعة واحدة لم يشف ذلك عليك أصلاً. و كما لا يسكن طلب الجائع بالماء و لا طلب العطشان بالخبز، وكذلك طلب العارف المخصوص بالطور الذي وراء العقل لا يسكن بالمعقولات.

### الفصل الخامس عشر

< علم الله بالجزئيات >

نسبة الموجودات كلها إلى الله واحدة، فالحاضر من الأزمنة و الماضي منها

والمستقبل متساوي النسبة إليه . و للموجودات إذا نُظر إليها بنظر العقل ترتيبٌ  
فإن لبعضها تقدماً على البعض كتقدم المفرد على المركب ؛ و لكنها إذا أُضيفت إليه  
و نُسبت على الوجه الحق تسارت نسبتها إليه ، فهو واسع «وسع كل شيء علماً» أي  
لو لا علمه بوجوده لما وجد؛ والذي وجد و الذي لم يوجد داخلان على التساوي تحت  
علمه المحيط الذي تعجز أفهام الخلق دون إدراكه ، و تتلشى عقولهم دون ملاحظة  
حقيقته ، و تتمحق قواهم دون الوصول إلى أثر من آثاره إذ لا يشبه علمه أصلاً علم الخلق كما  
لم يشبه ذات الشمس شعاعاً أصلاً في المثال المحسوس الذي يقتصر نظر العوام عليه ؛  
و كيف لا وعلمه الأزلي كان موجوداً قبل الزمان و قبل جميع الموجودات كما هو  
الآن موجود ؛ و ليس لعقولنا الضعيفة أن تُدرك علمه بالجزئيات على ما يجب ، ولكنها  
تُدرك عجزها عن إدراك ذلك كما يُدرك الوهم عجزه عن ادراك حقيقة موجود لا يكون  
داخل العالم و لا خارجه ، و لا متصلاً به و لا منفصلاً عنه .

و لا يمكن أن يُعبر عن حقيقة العلم الأزلي من طريق العلم إلا بهذه العبارة  
الموضوعة لمعنى غير المعنى الذي أُريد بها هاهنا ؛ و لذلك تتشوش العقول و الأفهام  
دون ادراك ذلك . فمن قُصر عقله و فهمه و علمه عن ادراكه فليُحل بالعجز على قوته  
و قدرته ، وليكرر نظره في تفهمه فعساه ينتج له بابٌ منه ، وليستن بالله - عز وجل -  
على التوفيق لما يُطهر القلب من الحجب المانعة له عن الادراك الحقيقي و لا يُبادر  
إلى التكذيب دون التوقف فيه . فهذا معتقد قوم اعتمدوا بضع سنين في العلم القديم ما  
يُعتقده سائر الضلال ، حتى هداهم الله بنوره فضلاً منه و كرمأً لا استحقاقاً منهم و استيجاباً .



و الله - عز وجل - يزيدهم معرفة بعجز عقولهم عن إدراك الأمور الإلهية؛ فمن طمع أن يحيط عقله و علمه بحقيقة علمه، كان موجوداً قبل الكون وقبل القبل وهو سبب لوجود الموجودات و محيطةً بالكل احاطةً لا يتصور أن يكون وراءها احاطة، فقد طلب بيض الأنوق و طمع في تناول العيوق و انخلع بالحقيقة عن غريزة العقل، و بالجرى أن يعد أمثاله من المجانين عند أهل الفضل؛ فعقولنا أعجز عن إدراك العلم الأزلي، من النمل لابل من الجماد عن إدراك علمنا، بدرجات كثيرة.

و نسبة علمه الى علمنا كنسبة قدرته الى قدرتنا؛ فكما يستحيل في قدرتنا اختراع شيء أعنى ايجاده لا من شيء، و ليس ذلك يستحيل في قدرته الأزلية لأنه بديع السموات و الأرض أى موجودهما و مخترعهما لا من شيء، فكذلك يستحيل في علمنا أن يتغير المعلوم و لا يوجب تغييراً فيه <في علمنا> لأن علمنا مستفاد من المعلوم، و لا يستحيل ذلك في علم الله الذي يسند اليه وجود الموجودات كلها. نعم لما كان العقل يدرك في أول نظرة تفاوتاً بين القدرتين و لم يدرك تفاوتاً بين العلمين، ناه في الحكم فوق في هذه الأغلوطة و تعقد بهذه الاحبولة. و الله تعالى فوق العقل و محيطة بالعقل، و كيف يتصور أن يحيط العقل به و بصفاته، و إحاطة الجزء بالكل في غاية البعد و العقل ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه؟! وقد ذكرنا أن الموجودات كلها لانسبة لها أصلاً من سعة العلم الأزلي، فكيف يليق بالعقل أن يطمع في إدراكه؟ و من قصر فهمه عن إدراك هذا العجز، فهو لجهله و قلة استعداده لا يدرك عجزه؛ و ليس لقصوره مستنداً الأضيق حوصلة عقله.

علتي نحت القوافي من معادتها و ما علتي اذا لم تفهم البقر

فسبحان من أرسل محمداً - صلى الله عليه وسلم - الى كافة الخلق ، و نطق  
 على لسانه بالحق فقال جل من قائل : « فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم » .  
 و لو لم يكن في القرآن سوى هذه الآية لكان كافياً في الشهادة على جهل الجاحدين  
 المكذبين بإحاطة العلم الأزلي بالجزئيات ، فكيف و لا أحرف منه إلا وهو شاهد على  
 عماهم ! و ذلك أنه ذكر في تلك الآية صفة الواسع مع ذكر العليم ، و قرن ذلك بأن  
 قال : « فأينما تولوا فثم وجه الله » . و هذه اشارة لطيفة صريحة الى أن كل موجود  
 فله نسبة ما الى وجهه ، فلو لانتلك النسبة لما وجد ذلك الشيء ، فإنه يعلمه لأن وجهه  
 اليه ؛ و هذا معنى علمه بالجزئيات .

### الفصل السادس عشر

< التصديق بالعلم الأزلي موقوف على ظهور طور وراء العقل >

مادمت تطمع في التصديق بحقيقة العلم الأزلي من طريق المقدمات، فأنت بعد  
 تضرب في حديد بارد؛ و إنما التصديق الحقيقي به موقوف على ظهور نور في الباطن  
 ينشرح به صدرك وتمسح له حوصلتك ، فتدرك بذلك النور أن الله تعالى لا يشبه علمه  
 علم الخلائق ، و ينقطع عند ذلك طمعك عن الايمان المستفاد من طريق العام ؛ و تتحقق  
 يقيناً أنه ما لم يظهر هذا النور في الباطن، فلا يتصور لأحد أن يؤمن بصفة العلم وسائر  
 الصفات الأزلية حق الايمان . و حق الايمان أن تدع التعرف رأساً في الصفات الأزلية،  
 و تدع الطمع في التعرف ؛ و ما لم تصير كذلك فلا تطمع في حقيقة الايمان . و هذا

النور المشار اليه يظهر في الباطن عند ظهور طور و راء العقل . ولا تستبعد وجود ذلك فان وراء العقل اطوار كثيرة، ولا يعرف عددها الا الله - عز وجل - . وقل ما يدرك في هذا الطور مدركات يحتاج في ادراكها الى الاستدلال بالمقدمات ؛ فان البصير لا يحتاج الى الاستدلال في ادراك المبصرات إنما الأكمه هو الذي لا يتمكن من ادراكها الا من طريق الاستدلال عليها ، كما لو استدل باللمس على وجود المبصر . و أما ما وراء الوجود من حقيقة اللون ، فليس ممكن ادراكه لأن طريق الاستدلال في ذلك مسدود .

### الفصل السابع عشر

< وظيفة العقل و وظيفة نور الباطن >

العقل إنما خلق في الأصل لادراك الاوليات التي لا يحتاج فيها الى مقدمات؛ فأما ادراكه لغوامض النظريات من طريق الاستدلال والاعتبار بالمقدمات، فكأنه خارج عن طبعه الأصلي ؛ وهذا كما أن حاسة اللمس خلقت في الأصل لادراك الملموسات من حيث أنها ملموسات ، فإذا استعملها الأكمه للاستدلال على وجود ما يدرك بالقوة الباصرة، كان ذلك خارجاً عن طبعها أعنى عن طبع الحاسة الالامسة . وكذلك الكتابة من خاصية اليد، فإذا كان الأقطع يكتب برجله كان ذلك خارجاً عن طبعها؛ فإن القدرة الأزلية لم توجد الرجل للكتابة بل لأمر آخر . فاعلم من ذلك أن ادراك المعقولات الغامضة ، الى طور و راء العقل يستغنى في ادراكها عن المقدمات ، نسبة الى الغوامض نسبة العقل الى الأوليات .

## الفصل الثامن عشر

< البصيرة قوة كالبحر او كسليقة الشعر >

لعلك تقول : هذا يعسر على ادراكه فزده شرحاً . فاعلم أن نسبة هذا الطور الى مدركاته كنسبة قوة ذوق الشعر الى ادراك الفرق بين موزون الشعر و منزحفه ، فتلك القوة لا تحتاج في ادراك هذا الوزن الى مقدمة ؛ فكذلك الطور الذي وراء العقل لا يحتاج في ادراك الفرق بين الحق و الباطل في غوامض المسائل الى مقدمات ، كما يحتاج اليها الناظر من طريق العقل لنقصانه ، و كما يحتاج الأعمى في ادراك وجود المبصرات الى أن يتحرك بقدمه اليها ثم يدرك وجودها بقوة اللمس ، و كما يحتاج الذي لا ذوق له في الشعر الى مقدمات العروض حتى يدرك بواسطتها الموزون والمنزحف من الشعر .

## الفصل التاسع عشر

< تدرك البصيرة بالبديهة القليل المطلق و الكثير المطلق >

إعلم أن للعقل طريقاً الى أن يُدرك معنى القليل و الكثير ، فإنيهما صفتان اضافيتان للعدد ؛ وله طريق الى أن يُدرك أن القليل المطلق الذي لا أقل منه في الأعداد، هو الأثنان ؛ و ليس له طريق الى ادراك الكثير المطلق الذي لا أكثر منه في الأعداد . و اعلم أن نسبة الكثير المطلق في الأعداد الى العلم الأزلي ، كنسبة القليل المطلق ؛ فلا فرق في علم الله بين ادراك الكثير المطلق و القليل المطلق . ولا يمكن للعقل أن يُدرك كيفية إحاطة العلم الأزلي بذلك ، بل ادراكها موقوف على انفتاح عينه في باطن الآدمي يختص بها العارفون، وحينئذ يتبين له حقيقة الطور الذي وراء العقل . و نسبة العقل من هذه العين كنسبة الشعاع من الشمس ، وقصور العقل عن إدراك

مدركات مملوكات هذه العين ، يُضاهي قصور الوهم عن ادراك مدركات العقل . فمن صادف من باطنه تصديقاً ضرورياً لأمجال فيه لشك و لاريب ، بأن الكثير المطلق في علم الله تعالى كالقليل المطلق من غير فرق و تفاوت ، فليتحقق أن عين المعرفة قد انفتحت في باطنه ، وستصير ينبوعاً على القرب لأمثال هذه الحكم . فإياه ثم إياه أن يدع للقذى اليها طريقاً ؛ فكثيراً ما يقع لها من الوقائع ما يُعمّشها ويُقذّئها ، وعلى الجملة يخرجها عن كونها مدركة لما يخصها . و ليعتبر في ذلك بقوله تعالى « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتراهم في ظلمات لا يبصرون » . واعلم أن نسبة تلك الوقائع من عين المعرفة كنسبة الوقائع التي تقع للأرض وتبطل استعداد قبولها لفيضان نور الشمس .

### الفصل العشرون

< الفرق بين إدراك العالم والعارف لوجود الله >

من خواص الطور الذي بعد العقل أنه إذا ادرك وجود الحق تعالى لزمه شوق عظيم إليه لاتصور عنه العبارة وطلب تام . والعقل أيضاً يلتذ بإدراك وجود الحق ولكنه ليس ذلك التذاداً بادراك جماله ، بل هو الألتذاد به من حيث أنه معلوم كما يلتذ بسائر المعلومات من الحساب والطب وغيرها . ولعمري لأنكر التفاوت في التذاد بين إدراك الحق وبين إدراك مسألة حسابية ؛ ولكنه كالتفاوت الذي تراه في سائر المعلومات من حيث شرفها وخستها ، بل من حيث أن بعضها فوق البعض بالطبع . وكان العقل إذا التذ بادراك وجود الحق من حيث كونه معلوماً فهو شبيه بالبصر الظاهر إذا التذ بادراك

مشموم طيب من حيث أنه مبصرٌ ذولون حسن ، فإن هذا الالتذاذ بعيدٌ عن التذاذ حاسة الشم برائحته عند ادراكها . فكما أن ادراك البصير لوجود المسك بحاسة البصر والتذاذ به بادراك لونه لا يظهر فيه عظيم شوقٍ وكثيرٌ طلب للمسك كما هو في حق من يُدرك رائحته بحاسة الشم ، وكذلك من أدرك وجود الحق من طريق المقدمات العقلية فلا يلزم ادراكه الشوقُ الذي يلزم العارف ، وإنما يلتذ العقل بإدراكه من حيث أنه معلوم فقط .

### الفصل الواحد والعشرون

< أنس العارف بجمال الحضرة الالهية >

إذا انفتحت للسالك عين المعرفة ، فيقدر كمالها واستعدادها للادراك تفيض عليه لطائف الأمور الالهية ؛ و بقدر فيضان ذلك عليه ، يحصل له إلف مع عالم الملكوت و أنسٌ بالطاف الحق و عشقٌ بجمال الحضرة الأزلية ؛ فيتناقص أنسه بهذا العالم على التدرج شيئاً فشيئاً ، و يتزايد بقدر ذلك أنسه بالعالم الالهى ، و ربما تقيس الآن هذا الانس على ما يحصل للناظر من الأنس بالعلوم النظرية ، وذلك ظنٌ فاسد و خطأ شنيع و خاطر فاحش ؛ و إنما استعيرها هنا لفظ الأنس وغيره من العشق و الجمال و غيرهما ضرورةً ، فلا يغرّك تشابههما في المعاني المختلفة ، فتضل من حيث لا تدري و تقنع من مسمياتها بترهات يتخيلها عقلك الضعيف منها .

### الفصل الثاني والعشرون

< الايمان بطور المعرفة والولاية والنبوة >

من لم يُرزق من هذا الطور شيئاً لم يصدق عقله من طريق المقدمات بوجوده ؛

ويكاد يستحيل له الايمان بالنبوة ، إذ النبوة عبارة عن طور وراء العقل ووراء هذا الطور الذي سبقت الاشارة اليه ؛ ومن لم يُصدق بذلك فهو بعد غير مُصدق بالنبوة . فما ظنك بمن يُكذب بطور الولاية وهو الذي يظهر بعد العقل ولا يظهر طور النبوة إلا بعده ؟ و إن صدق باللسان أو اعتقد بالقلب أنه مُصدق بحقيقة النبوة ، فهو منخبط ؛ ويكون مثاله في اعتقاده هذا ، مثال الأكمه إذا اعتقد أنه قد صدق بوجود اللون وإدراك حقيقته حيث أدرك وجود المتلون ، بقوة اللمس ؛ وهيئات فذلك بعيد عن إدراك حقيقة اللون !

### الفصل الثالث والعشرون

#### < الايمان بالنبوة ايمان بالغيب >

الايمان بالنبوة ايمان بالغيب عند العقل ؛ فإن شبه العقل هذا الغيب بشيء مما هو حاضر لا دراهه ، فهو بعيد جداً عما هو الحق . فإن حصل لك مثل هذا الأيمان فاعلم أنك مؤمن بالنبوة ، وإلا فحرام عليك أن تأكل أو تشرب أو تنام إلا عن ضرورة حتى تصل الى هذا الايمان . فإن قبلت هذه النصيحة أفلحت ، وإن أهملتها أهملت « ومن جاهد فإنما يُجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين » . و سيستقبل أمثالك عند ظهور ناصية ملك الموت قوله تعالى « وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون » .

### الفصل الرابع والعشرون

#### < السبيل الى تقوية الايمان بالنبوة >

لعلك تقول : فما السبيل الذي يجب سلوكه على العاقل حتى يتمكن من الايمان بالنبوة ؟ فأقول : سبيله ، سبيل من لا ذوق له في الشعر من مجالسته أهل الذوق حتى

يحصل غرضه ؛ فكثير ممن لا يكون لهم ذوق الشعر ولا يُدرّكون فرقاً بين المنظوم و المنثور، صدّقوا بوجود قوة في غيرهم ، فشأنهم ادراك ذلك الفرق ؛ وذلك لكثرة مجالستهم لأقوام لم يُحرّموا تلك القوة ، فصاروا مؤمنين بالغيب ايماناً يقيناً .

### الفصل الخامس والعشرون

< صفات الله في نظر كل من العقل والبصيرة >

صفات الله تعالى منقمة الى ما يُدرّك من طريق النظر في بعض الموجودات وانصافها بصفات مخصوصة كالحكيم والصانع و الخالق ، وهذه الصفات يُتصور للعقل ادراكها ؛ فأما الصفات التي لا تعلق لها بوجود أصلاً ، فادراكه ذلك وحقيقته موقوف على ظهور الطور الذي بعد العقل ، و ذلك كصفة الكبرياء و العظمة و الجمال و البهاء فإن كل ما يدرّكه العقل من معاني هذه الأناظ بعيدٌ عن حقائقها . فإياك أن تغتر بظواهر الأمور فإن الطبع مجبول على التجلّي بكل كمال مع التعرّي منه ؛ فلا يعترف بالعجز ، بل يخوض فيما يجوز له فيه الخوض وفيما لا يجوز ، ويُزاحم فيما يمكن له ادراكه وفيما لا يمكن مزاحمة الوهم للعقل من مدرّكاته . وحسبك شاهداً على تكذيب الطبع ، إذ قال لك أن العقل يمكن له ادراك الجمال الازلي ، أن تقول له : الجميل يُترك للأجمل ، فما بالك لا تترك له ماسواه مع أن أجمل الأشياء بالأضافة الى جماله أقبح من كل قبيح ؟ وعند ذلك يفرع الطبع الى هذيانات أشفقُ على زمانى أن اضيعه في ذكرها ، وفي وجه الخلل في كل واحد منها . و من ساعدته هذه الدولة ، فرزق شيئاً من حقيقة الطور المشار اليه حتى أدرك به من الجمال الازلي قدراً يُدّرّكه ادراكه ، فهذا القدر يكفيه شاهداً على الغرض المطلوب .



## الفصل السادس والعشرون

### < البصيرة تدرك أحوال العشق >

العشق من خواص هذا الطور، فلأنك عند من شاهد أحوال العشق أن العقل معزولٌ عن ادراك تلك الأحوال إذ لا سبيل للعاشق الى إيصال معنى العشق ، الذى هو ملابس له ، الى فهم عاقل لم يلبسه ذوقاً حتى يكون هو بمنزلة العاشق الذى ذاقه . وهذا شأن العقل فى جميع الأحوال من الغضب والفرح والوجل والخجل ؛ فالعقل يُدرك العلوم ، وليس الى ادراك الأحوال له سبيل . نعم يُدرك وجودها، ويحكم على كل واحد منها بأحكام كثيرة ؛ فأما ماهية العشق وسائر الأحوال فلا يُدركها العقل من طريق المقدمات ، كما يُدرك المدرّكات المعقولة إذا سمع مقدماتها من غيره ، حتى ساواه فى الإدراك .

## الفصل السابع والعشرون

### < حقيقة العشق >

العشق يتبعه الطلب للمعشوق ؛ و حقيقة الطلب أن يكون نظر الطالب بكليته متوجهاً الى المطلوب ؛ وحينئذ يكون الطلب و الوجدان توأمين . واعتبر فى حقيقة الطلب بانجذاب الحديد الى المغناطيس ؛ فإن الحديد إذا كان خالصاً انجذب بكليته اليه ولم يكن فى طلبه تفرقة ، فإن اختلط بشيء من الذهب أو الفضة أو غيرهما ، اقتضى ذلك نقصاناً فى كمال الانجذاب ؛ ومهما لم يكن فيه شوب من غيره ، فالطلب الحقيقى ضرورى ؛ وحينئذ يكون الوجدان أى الوصول الى المغناطيس ضرورياً . وهذا معنى قولنا الطلب والوجدان توأمين . ثم الحديد قد يعوقه عن الانجذاب عائق من خارج ،

فلا يكون ذلك قادحاً في كمال الطلب إنما القادح أن يكون في ذاته شوبٌ من ذهب أو جصٍّ أو غيرهما مما اختلط به في معدنه؛ والعائق الخارجي قد لا يكون له عظيم تأثير في قطع طريق الطلب أي الانجذاب إليه. ومهما لم يكن في ذات العاشق شوب من شيء ليس يؤولي وجهه للمعشوق، كان بكليته مُلبياً للإحرام التي قبلته المطلوبة، وهي وجهة المعشوق؛ وحينئذ يكون الطالب من أهل البداية في الطلب ويتجلى له حقيقة قوله تعالى: «إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين»، وقوله: «إن الدين عند الله الإسلام»، وقوله: «فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم»، وقوله: «ما جعل عليكم في الدين من حرج»، وقوله: «ألا لله الدين الخالص»، وقوله: «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها»، وقوله: «فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة».

والفرق بين ما يعوق العاشق من داخل، ويكون منزلة الذهب إذا اختلط بالحديد، وبين ما يعوقه من خارج، ويكون منزلته منه منزلة يدر قاسرة تمنع الحديد عن الأنجذاب، يكاد يعسر ادراكه إلا على من صار له قدمٌ راسخ في ذلك. وإياك ثم إياك يا جامداً على علمك ومغروراً بمقلدك أن تنظر إلى هذا الفصل وأمثاله بعين الاستحقار،

و تَمسحُ بِهَا سَبَلَتَكَ وَتَظَنُّ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الطَّاقَاتِ الَّتِي يُبَلِّغُهَا بَعْضُ الْحَمَقِيِّ الضَّالِّينَ مِنَ الْبَاطِلِينَ . وَ مَنْ لَمْ يَصِلْ إِلَى شَيْءٍ مِنْ مَعَانِيهَا ذَوْقاً ، فَيَكُونُ مِمَّنْ يَقُولُ فِيهِ الْقُرْآنُ : « وَإِذَا لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ » ، وَيَقُولُ : « بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِبُّوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ » . هَذَا نَصِيحَتِكَ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيَّ فِي نَصِيحَتِكَ ، وَأَمَّا الْعَارِفُونَ فَسَوَاءٌ عِنْدَهُمْ إِيْمَانُكَ وَكُفْرُكَ ؛ فَمَنْزِلَةُ عِلْمِكَ الَّتِي تُدَلُّ بِهَا عِنْدَهُمْ كَمَنْزِلَةِ عِلْمِ الْحَيَاكَةِ وَ الْحِجَامَةِ عِنْدَ أَهْلِ التَّحْقِيقِ مِنَ الْعُلَمَاءِ ؛ وَ مَاذَا عَلَى الْعَالَمِ الْمُحِيطِ عِلْمُهُ بِحَقَائِقِ الْمَعْلُومَاتِ لَوْلَمْ يُحِطْ بِعِلْمِ الْحَيَاكَةِ وَ الْحِجَامَةِ ؟!

### الفصل الثامن والعشرون

< إدراك عجز العقل بواسطة كلٍّ من العقل والبصيرة >

كُلُّ مَنْ كَانَ أَوْفَرَ حِظًّا مِنْ هَذَا الطَّوْرِ ، كَانَ عَقْلُهُ أَبْصَرَ بِعِجْزِهِ عَنْ إِدْرَاكِ حَقِيقَةِ الْأَوَّلِ وَادْرَاكِ حَقِيقَةِ صِفَاتِهِ . وَ آخِرُ عَالَمٍ مِنْ عَوَالِمِ الْمَدْرَكَاتِ الْمَعْقُولَةِ ، أَنَّ يُدْرَكَ الْعَقْلَ عِجْزُهُ عَنْ إِدْرَاكِ كَثِيرٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ ؛ وَ هَذَا الْعِجْزُ مِنْ أَوَائِلِ مَا يَلُوحُ فِي الطَّوْرِ الَّتِي بَعْدَ الْعَقْلِ . فَكَانَ آخِرُ حُدُودِ طَوْرِ الْعَقْلِ مُتَّصِلًا بِأَوَّلِ حُدُودِ الطَّوْرِ الَّتِي بَعْدَهُ ، كَمَا أَنَّ آخِرَ حُدُودِ التَّمْيِيزِ مُتَّصِلٌ بِأَوَّلِ حُدُودِ الْعَقْلِ . فَبَيْنَ خَاصِيَّةِ الْعَالَمِ إِذَا كَمُلَ فِي عِلْمِهِ ، أَنَّ يَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّهُ لَا يُتَصَوَّرُ لَهُ إِدْرَاكِ الْحَقِيقَةِ الْأَزَلِيَّةِ ؛ وَإِنَّمَا يُدْرَكَ ذَلِكَ بَعْدَ اتِّقَانِ مَقَدِّمَاتٍ كَثِيرَةٍ مَشْهُورَةٍ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ النَّظَّارِ . ثُمَّ يَكُونُ بَيْنَ إِدْرَاكِ الْعَقْلِ لِعِجْزِهِ بِالْمَقَدِّمَاتِ وَبَيْنَ إِدْرَاكِ الْعَارِفِ لِذَلِكَ الْعِجْزِ ، أَعْنِي لِعِجْزِ الْعَقْلِ عَنْ إِدْرَاكِ مَدْرَكَاتِ الْعَارِفِ ، بَوْنٌ بَعِيدٌ وَفَرْقٌ عَظِيمٌ . وَيَكَادُ يَكُونُ ذَلِكَ الْعِجْزُ الَّذِي يَلُوحُ لِلْعَقْلِ بِمَنْزِلَةِ الْعِجْزِ الَّذِي يَلُوحُ لِلْوَهْمِ

عن ادراك مدركات العقل ؛ فإنَّ عجز الوهم عن ادراك المعقولات الغامضة مستفادٌ عند الوهم من المقدمات ؛ وأما العقل فإنه يُدرك عجز الوهم عن مدركه من غير مقدمة . فغاية الوهم أن يعترف بالعجز عن ادراك العقليات ، إذا قرَّر العقل ذلك عنده بمقدمات مُسلمة عند الوهم ؛ فكذلك العاقل إذا تقرَّر عنده عجز العقل عن مدركات العارفين ، فقد بلغ آخر منازل العقل ، وأدرك منتهى ما يمكن ادراكه بالعقل ؛ فيستوطن حينئذ كعبة طلبه . وهاهنا يوافق السالك أول منزل من منازل طور المعرفة .

### الفصل التاسع والعشرون

< مقارنة بين إدراك كلٍّ من الوهم والعقل لعجزه >

العقل بالضرورة عاجز عن ادراك عجزه الحقيقي وعن ادراك مدركات العارف ، كما أن الوهم بالضرورة عاجز عن ادراك حقيقة عجزه عن ادراك المعقولات . والعقل هو الذي يدرك العجز الحقيقي ، الذي يُلازم الوهم ، عن ادراك الأمور العقلية ؛ فإذا كان العقل عاجزاً عن ادراك عجزه الحقيقي ، فكيف يتعجب المتعجبون من قولنا أنه عاجز عن ادراك حقيقة الحق وحقيقة علمه الذي هو ينبوع الوجود؟ فإذا يرجع تفاوت العقول في هذا النظر الى تفاوت في الاستعداد لإدراك العجز ؛ فليس العجز الذي اعترف به محمدٌ عليه الصلوة والسلام- مثل العجز الذي اعترف به ابوبكر-رضي الله عنه- ؛ لابل وفي الاعتراف بالعجز عن الاعتراف بالعجز ايضاً تفاوت عظيم . ولعل النفس اذا استغرقتها العجز عن ادراك كمال العجز ، فقد صارت مُدركة للعجز من طريق المعرفة لامن طريق المقدمات ؛ ولعل قول الصديق الأكبر : « العجز عن درك الإدراك إدراك » كان اشارةً الى شيء يشبه ذلك .

ولعل المعرفة المذكورة في قول الصوفية «من عرف الله كَلَّ لسانه» قريبة في المعنى مما أشير إليه .

### الفصل الثالثون

#### < مسألة الذات والصفات >

قد انتهى بي الكلام الى أن جاوزت حدود النظر العقلي؛ ويكاد ما خضت فيه يضرب سماعه بأكثر الخلق ، فقليل منهم من يدرك ذلك ولا ينكره . فالأولى بي الآن أن أرجع الى الغرض المقصود فأقول : ما أحوجك الى استتمام سماع المعنى الذي كتبنا به من قبل في حديث الصفات ، ودلالة أقسام الوجود على أقسام الصفات المتعددة التي هي بالحقيقة ، لا عين الذات ولا غيرها ، كما قال أهل الحق واجمعوا عليه من عند آخرهم ؛ فإن الحكم بأمثال ذلك مُستنكرٌ عند العقول الضعيفة .

### الفصل الواحد و الثلاثون

#### < تنمة مسألة الذات والصفات >

لعلك تقول : من المحال الظاهر في العقل الأولى أن يكون الشيء ، لا عين شيء آخر ولا غيره ؛ فهل لك أن تزيد ذلك بياناً ربما يُشفي به بعض الغليل ؟ فاعلم أن قول القائل : أن هذا الشيء مثلاً ، لا عين ذلك الشيء ولا غيره من وجه واحد ، محال ؛ وليس أحد من العقلاء بصير الى اعتقاد أمثاله . ولكن إذا وُجد فيه اعتباران ، لم يكن محالاً ؛ كما أن يقال مثلاً : هذا الشيء ، ليس بمعدوم ولا بموجود ؛ فإن ذلك محال قطعاً واستحالته للعقل

في غاية الوضوح ؛ ولكنه ظاهر الصدق إذا اعتُبر في معناه وجهان ، وأطلق على مقتضى معنيين مختلفين . و بيانه أن الشيء قد يكون موجوداً من وجه ، ومعدوماً من وجه آخر ؛ وهذا حكم كل موجود سوى الموجود الذي وجوده قائم بذاته . فإن كل ممكن إذا نُظر إلى ذاته ولم يُعتبر قيوميّة الواجب له ، كان معدوماً من حيث ذاته ؛ ومهما نُظر إليه واعتُبر من حيث الوجه الذي يلي قيوميّة الواجب ، كان موجوداً ؛ والى مثل ذلك يشير القرآن العظيم والكلام القديم حيث يقول : « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام » . وعلى شيء شبيه بذلك يُنبّه قول النبي -عليه الصلوة والسلام- حيث يقول : أصدق بيتٍ قالته العرب قول لبيد :

ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطل  
وكل نعيمٍ لامحالةٍ زائل

## الفصل الثاني والثلاثون

< مسألة تعدد الصفات ووحدة الذات >

الصفات عين الذات ، إذا نُظر إليها من الوجه الذي يلي الذات ؛ وعلى هذا لا يكون فيها تغايرٌ أصلاً والبتة . وهي غير الذات ، إذا نُظر إليها من الوجه الذي هو انقسام الوجود إلى الأقسام المتعددة ؛ وعلى هذا الوجه تكون الصفات متغايرة ومتعددة . وهذا له مثال واضح ، ولعل نفسك لا تنفع إلا بعد سماعه ؛ فهو الذي يكسر سورة استبعادها بالكلية لما نحن فيه ، ويقطع دابر إنكار المتحذلقين عليه .

فاعلم أن العشرة لها في ذاتها معنى مفهوم ؛ وذلك المعنى واحد لا ينقسم ويدل عليه لفظ العشرة . فأما إذا اعتُبر منها نسبه إلى الخمسة ، دُلَّ عليها بلفظ الضِعْف ، وإذا اعتُبر نسبتها إلى العشرين دُلَّ عليها بلفظ النصف ، وإذا اعتُبر نسبتها إلى الثلاثين دُلَّ

عليها بلفظ الثلث ، وهكذا يمكن أن يُدَلَّ عليها بالفاظ أُخر عند اختلاف نسبتها الى اعداد أُخر . وهذه الصفات ، التي وُصِفَتْ بها العشرة عند اختلاف تلك النسب ، واحدةٌ من وجهٍ وكثيرةٌ من وجهٍ ؛ فإذا اعتُبر منها الوجه الذي يلي ذات العشرة ، لم يوجد فيها تعدد ؛ وإذا اعتُبر منها الوجه الذي يلي أقسام الاعداد التي نسبت العشرة اليها ، تعددت باعتبار تلك النسب ، لتعدد أعداد نسبت اليها .

فكذلك ذات واجب الوجود ، يلزمها الوحدة ؛ وكيف لا يلزمها الوحدة ، والأحادية التي هي أخصُّ من الوحدة لازمة لها ، إذ لا يمكن أن يوجد لغيرها من الذوات خاصيتها الموجودة لها ؟ والوحدة لازمة للشمس ، اذ ليس لها ثانية في الوجود ؛ ولكن الأحادية ليست لازمة لها ، إذ يمكن وجود ثانية لها . فإذا نظرت الى نسبة عين الذات الواجبة لها الى نفسها ، صادفتها متحدة غير متكثرة بوجه من الوجوه ؛ وإذا نظرت قلوب السالكين بعيونها الى تلك الذات صادفتها كذلك من غير فرق . ولكن لكثرة نسب تلك الذات الى الموجودات الأخر ، التي استحققت الوجود من تلك الذات الواجبة لامن انفسها ، احتاج السالكون بالضرورة الى تغيير العبارات عنها حتى تتأدى حقائق تلك النسب ، بواسطتها الى أفهام الضعفاء . فإذا نسبت تلك الذات الى صدور الموجودات منها ، وعلم أنها مُمكناتٌ وأن الممكن لا يُبدلُه من واجب يوجد ، سُمِّيت عنه اعتبار هذه النسبة النسبة التي بينها وبين الموجودات قدرةً ، وربما سُمِّيت إرادةً عند نسبةٍ أُخرى ، و القلوب لضعفها تظن مغايرةً بين القادر و القدرة والمريد و الإرادة . فهذا منتهى نظر العقول .

## الفصل الثالث و الثلاثون

< الصفات لا عين الذات و لا غير الذات >

فاعلم اذاً أن قولنا ، الصفات لا عين الذات ولا غير الذات ، حق و صدق ؛ ولا يجوز المصير الى خلافه لأحد من المسلمين أصلاً . و من صار اليه ، فقد خلع ربة الاسلام من عنقه ، فهو مذهب السلف الصالحين والأئمة المنقرضين ؛ ولنا فيهم أسوة حسنة و قدوة مرضية ؛ وقد أجمعوا على ذلك قاطبةً للضرورة التي يعرفها المحققون من كبار العلماء دون أهل الظاهر من الرسميين . فمن صار الى اثبات الذات و لم يُثبت الصفات ، كان جاهلاً مبتدعاً ؛ و من صار الى اثبات صفاتٍ مغايرة للذات حقيقةً المغايرة ، فهو تنويّ كافرٌ ومع كفره جاهل .

## الفصل الرابع و الثلاثون

< آيات قرآنية في تعدد الصفات >

إِعلم أن الله تعالى وصف نفسه في كتابه الكريم غير مرةٍ بصفاتٍ متعددة كالقدرة و المشيئة و الاعزاز و الاذلال و السمع و البصر و الاحياء و الامانة ؛ فقال عز من قائل : « إن الله على كل شيء قدير » ؛ وقال أيضاً : « وما تشاؤون إلا أن يشاء الله » ؛ وقال تعالى : « و تُعز من تشاء و تذلل من تشاء » ؛ و قال تعالى : « ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير » ؛ و قال : « و هو الذي يُحيى و يميت » . فانظر كيف تعددت هذه الصفات بتعدد نسب الموجودات الى ذاته التي هي مصدرها ، و كيف اتحدت هي في ذواتها من الوجه الذي يلي الذات ؛ ثم قس على ذلك سائر الصفات فما أدراك تعجز عن



ادراك شىء من النسب في كل صفة إن كنت من الممارسين للغوامض العقلية ، واجتهد  
أولاً في فهم ما أقول لك .

### الفصل الخامس و الثلاثون

< تحليل لبعض الصفات >

من المعلوم الظاهر الذى لا يجوز أن يتمارى فيه أن الحقيقة الأزلية التى صدر  
عنها الوجود ، اذا نظر اليها و اعتبر ما وُجد منها و ما لم يوجد منها بعد و لكنه يوجد  
فى أجله المسمى و وقته المعلوم ، كان لما وُجد منها نسبة لان وجود تلك النسبة لما  
لم يصدر عنها بعد ؛ فهذا هو اختلاف الموجودات و المعدومات فى النسبة اليه . ثم  
الموجودات تختلف فى نسبتها اليه ؛ فليست نسبة الملك الى ذاته كنسبة الانسان ،  
و لا نسبة الانسان كنسبة البهائم ، و لا نسبة البهائم كنسبة النبات ، و لا نسبة النبات  
كنسبة الأرض و السموات ، و لا نسبة البياض كنسبة الحمرة ، و لا نسبة العزيز فى  
الدنيا و الآخرة كنسبة الذليل فيهما .

فاعلم أن الله - عز وجل - اذا نسبت اليه من عزّ بوجهه من الوجود ، اقتضت هذه  
النسبة أن يسمى معزاً ؛ و اذا نسبت اليه أهل الذل ، اقتضت النسبة أن يسمى مذلاً ؛  
و اذا نظر اليه من حيث هو مصوّر الجيوة و الموت ، قيل : « هو الذى يحيى ويميت » ؛  
و اذا نظر الى احاطة علمه بالموجودات التى يدركها الانسان بحاستي السمع والبصر  
قيل : هو السميع و البصير ؛ و اذا نسبت اليه جميع الموجودات و رؤى كل واحد  
منها متعلق به ، قيل : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ؛ و اذا نسبت اليه الموجودات

الحاصلة منه و المعدومات التي لم تحصل منه بعد ، قيل : « هو على كل شيء قدير » .  
 فالقدرة مُتَلَقَّاةٌ من نسبة الموجودات و المعدومات اليه ؛ و الارادة و المشيئة من نسبة  
 الموجودات اليه فقط ؛ و أمَّا الارادة فمُتَلَقَّاةٌ من نسبة الموجودات الملكوتية اليه ؛ و أمَّا  
 المشيئة فمُتَلَقَّاةٌ من نسبة الموجودات المُلْكِيَّةِ ؛ و المحي و المميت متلقيان من نسبة  
 كل حي و ميت اليه ؛ و قس بهذا القدر سائر الصفات .

### الفصل السادس و الثلاثون

< ليس في ذات الواجب اثنينيةٌ بوجه من الوجوه >

ذراتنا ناقصة ، و انما يكملها تمام الصفات ؛ و لذلك تحتاج قدرتنا الى الارادة  
 و ارادتنا الى العلم ، فالقدرة لا تكفي في حصول المقدور إلا مع الارادة ؛ هذا في حَقِّنا ،  
 و أمَّا ذات الله تعالى فهي كاملة لا تحتاج في شيء الى شيء . و كل ما يحتاج في شيء  
 الى شيء فهو ناقص ، و النقصان لا يليق بالموجود الواجب ، فعلم الله بالشئ لا يُغايِر  
 ارادته له ، و لا ارادته تغايِر قدرته ؛ فذاته كافية لكل في الكل ؛ وهي بالنسبة الى المعلومات  
 علمٌ ، و بالنسبة الى المقدورات قدرة ، و بالنسبة الى المرادات ارادة ؛ وهي واحدة ليس  
 فيها اثنينية بوجه من الوجوه .

و الاثنينية لا يتصور وجودها في الواجب أصلاً اذ لا يجوز أن يكون شيئان كل  
 واحدٍ منهما واجب بذاته ؛ و ذلك لأن كل شيئين فلا بد و أن يكون بينهما مغايرة  
 في شيء ، و إلا لم يتحقق منهما اثنينية ؛ فلو كان في الوجود واجبان لا فرقاً في  
 شيء ، ثم كانا يفترقان فيه لا يخلو : إما أن يكون ضرورياً لكل ما هو واجب بذاته ،

أو لا يكون ضرورياً ؛ فلو كان ضرورياً ، لكان موجوداً في الواجبين على التساوي ؛  
و لو لم يكن ضرورياً ، لزم أن يكون وجوده مُعللاً بسبب ؛ و كل ما كان كذلك  
فالواجب يتنزه عنه . فإن لم يكفك هذا القدر في هذه المسألة ، فعليك بطلبها من كتب  
استوفى أصحابها كلامهم عليها ؛ فإن وقتي لا يتسع لأكثر من ذلك ، و ليس غرضي  
في هذا الكتاب تطويله بما فرغ العلماء من إقامة البرهان عليه ، فليطلب من معدنه .

### الفصل السابع و الثلاثون

< قدم العالم كحدوثه محال في نظر العقل >

فإن قلتَ فما قولك في النسبة التي بين الواجب وبين السموات و الأرض مثلاً  
هل كانت موجودة في كل وقت أم لا ؟ فإن كانت موجودة في كل وقت ، فهذا يُفضي  
إلى قدم السموات والأرضين ؛ وإن لم تكن موجودة ، فكيف وجدت بعد العدم ؟ العلة  
ظهرت في ذات الواجب بعد ما لم تكن ، و ذلك محال قطعاً ؛ أو لا أثرٍ ظهر في معدوم ،  
كان مستمر العدم إلى وقت مخصوص لم يكن يظهر هذا الأثر فيه ، و ذلك أيضاً محال ؟  
أو وُجد من غير ظهور شيء بعد ما لم يكن ، و ذلك أيضاً محال ؟

فأعلم أن العلماء قد أكثروا في ذلك و الحق الذي لا ريب فيه أصلاً عند أولى  
البصائر أن نسبة السموات والأرضين إلى الله ، كنسبة شيء هو الآن معدوم و يحصل  
وجوده غداً مثلاً ؛ فليت شعري ماذا يقول القائل في معدوم ظاهر العدم إذا وُجد بعد  
ذلك ؟ يقول ظهر في القديم أثر ، أو ظهر في هذا المعدوم أثر ، أو وُجد المعدوم من  
غير ظهور أثر ، و كل ذلك محال ؟ و لا يبقى إلا أن يقال : العلة في وجوده هو الله ،

وهو موجود على حالة واحدة أزلاً وأبداً؛ وإنما لم يحصل منه وجوده قبل ذلك، لفقد شرط جعل وجوده مستحقاً للوجود ومستعداً لقبول نور الوجود الأزلي.

### الفصل الثامن والثلاثون

< الفرق بين فعل الخالق الموجد وفعل المخلوقات >

المعدوم إذا أفيض عليه صورة الوجود، كصورة فاكهة مثلاً كانت معدومة ثم صارت بعد العدم موجودة، فلا بد وأن يكون لوجود الصورة بعد عدمها سبب؛ والسبب في وجود كل موجود هو الله تعالى، فإن كل موجود سواء ليس له ذات من حيث الحقيقة ولا وجود فكيف يكون سبباً؟ نعم يجوز أن يسمى سبباً في النظر العامي كما يسمى موجوداً، فكما أن كونه موجوداً ليس له أصل إلا من حيث يلي الذات القديمة، فكذلك كونه سبباً لا يجوز أن يكون له أصل إلا من ذلك الوجه. فكما لاحقيقة لوجوده، فلاحقيقة لسببته التي هي صفة تابعة من توابع الوجود. ولا يبقى ههنا إلا أن يقال: إن كان السبب هو الله تعالى فلم لا يوجد المسبب والسبب موجود؟ فنقول: لفقد شرط من شروطه؛ وأنا أزيد ذلك بياناً فالحاجة اليه داعية.

### الفصل التاسع والثلاثون

< نظرية فيض الموجودات بعضها عن البعض كفر صريح >

اعلمك تقول من المعلوم الظاهر عند أهل النظر أن الله تعالى لا يكون سبباً إلا لشيء واحد من الموجودات؛ ثم يكون ذلك الشيء سبباً لوجود شيء آخر، وهذا الشيء الثاني سبباً لشيء ثالث، وهكذا يتداعى هذا الأمر إلى وجود الانسان؛ والواحد من كل

وجه لا يجوز أن يصدر عنه إلا شيءٌ واحد . فاعلم أن هذه مجازفة عظيمة من الكلام لا يجوز أن يُطلق اللسان بأمثاله ، فهو كفر صريح عند ذوى البصائر ؛ فلا فرق بين من يُثبت قديمين كل واحد منهما واجب بذاته ، وبين من يُثبت سببين كل واحد منهما يصلح للإيجاد ؛ لا بل الحق الذى لا مريبة فيه أنه ليس فى الوجود موجودٌ يصلح لأن يكون سبباً لوجود شيء إلا الله - عز وجل - .

وحقيقة السببية ترجع الى ايجاد صورة الوجود فى معدوم . و لا بد من وجود السبب حتى يوجد منه المسبب ، فإن المعدوم لا يصلح للمُسببية ؛ فلا بد للسبب من دوام الوجود حتى يصلح لأن يحفظ دوام الوجود على المسبب . وليس لشيء من الموجودات الممكنة ذاتٌ و وجود حقيقى إنما الوجود الحقيقى و الذات الواجبة لله تعالى . وما لا وجود له من حيث الحقيقة فكيف يكون سبباً لغيره ؟ وما لا وجود لنفسه كيف يوجد غيره ؟ والسبب بالحقيقة ما كان كامل الذات بذاته ، ثم فضل فيه الوجود حتى فاض على المعدومات وخلق عليها صور الوجود ؛ وأما ما لا يكون كاملاً بذاته بل وجوده وصفات وجوده متعلقة بوجود غيره و قائمة به ، فيكون فى ذاته فى غاية النقصان لا يستحق الإيجاد ولا الوجود .

### الفصل الرابعون

< إن صفة الإيجاد محصورة بالواجب >

هذا له مثال فى الامثلة العامية فإن الشمس إذا فاض عنها النور على القمر ليلاً

وفاض نور القمر على الأرض فلا شك أن نور القمر غير مستحق الوجود بذاته بل من الشمس، فكيف يصلح نور القمر مع هذا النقصان أن يُجعل سبباً لوجود النور الفاض على الأرض؟ وليتأمل الناظر في هذا تأملاً شافياً وليستفت في ذلك نفسه، فلا شك في أنه لو نظر بعين الإنصاف رأى نور الشمس أولى بأن يُجعل سبباً لنور الأرض من نور القمر؛ فإن نور القمر إذا لم يكن له وجود فكيف يكون له إيجادٌ وإلا إيجاد فوق الوجود بالضرورة و الوجود قبل الإيجاد بالطبع؟ نعم لو يُسمى نور القمر سبباً من طريق الاصطلاح فلا مشاحة في ذلك؛ ولكن لا يجوز أن يُغفل عن تبعية نور القمر لنور الشمس، وأنه لولا نور الشمس لم يكن لنور القمر أصلاً وجود. فالحق أن من أثبت صلاحية السبب لغير الواجب الحق بذاته القيوم في صفاته، فقد أشرك وأثبت له نظيراً، وكان كمن أثبت القمر مشاركاً للشمس في إيجاد النور. ولا شك أن الواجب لو فرض عدمه لم يبق في الوجود شيءٌ أصلاً: فإذا لا يستغنى عن الواجب شيءٌ في شيءٍ، إذ ليس يبق مع عدمه وجود شيءٍ. فالعجب كل العجب من عاقل يفهم ذلك حق الفهم ثم يتوقف عن قبول كونه أولى بالسببية من غيره.

### الفصل الواحد والاربعون

< كيف نحصر صفة الخلق بالواجب مع أن وجود بعض الأشياء شرط في وجود البعض الآخر؟ >  
الحق أن قولنا الواجب أولى بالسببية من غيره يُشعر بنقصان عظيم في الواجب؛ فكأنه يُشير إلى استحقاق غيره لشيءٍ ولكنه أولى بالاستحقاق، واستحقاق غيره لشيءٍ

محال إلا من ذاته الواجبة . ويبقى ههنا من الاشكال أن يقال : إن كان الواجب كاملاً في السببية فلم تأخر وجود المسبب عنه وتأخر وجود المسبب عن السبب الموجود بكماله محال ؟ وإن كان ناقصاً في السببية وتمت ببعض الشروط سببته فقد ثبت له شريك في كونه سبباً ، فما بالكم لأتجاوزون تسمية غيره سبباً مع اعترافكم بأن وجود بعض الأشياء شرط في وجود البعض ؟ وهذا اشكال يسهل علينا دفعه فإننا نقول : وجود الشرط إنما أثر في استعداد المشروط للوجود لا في سببية الذات الواجبة ، كما أن انقشاع السحاب إنما يؤثر في استعداد الأرض لاشراق نور الشمس ، وليس له أصلاً تأثير في تكميل الشمس . وليس لقائل أن يقول : انقشاع السحاب شرط تتم به سببية الشمس لوجود المشروط ، وهو الأشراق على الأرض ؛ لأننا نقول انقشاع السحاب زواله ، والزوال أمر عدمي ، والعدمي لا يصلح للشرطية في أمر وجودي وهو الابداع للمشيء فكيف يصلح للسببية ؟ وهذا غاية في البيان لا يتصور وراءها غاية في التمثيل وصناعته . ونور القمر إذا كان مستفاداً من نور الشمس وهو في ذاته فان وهالك ومعدوم ، فلا نور من حيث الحقيقة إلا نور الشمس ، فكان نور القمر هو نور الشمس حتى كأنه هو هو . فكيف يجوز مع ذلك أن يجعل القمر شريكاً للشمس في إفاضة النور ؟ و كما لا نور إلا نور الشمس ، فلا وجود إلا وجود الحق ؛ فكان وجود الموجودات ليس خارجاً من وجود الحق بل هو هو .

### الفصل الثاني والاربعون

< مثل الموجودات في حقيقتها مثل الصورة في المرآة >

كل ما في الوجود فهو فان من حيث الحقيقة ولا بقاء إلا لوجود الحي القيوم ،

كما أن الصورة التي في المرأة فانيةٌ بالحقيقة و لابقاء إلا للصورة الخارجة ؛ هذا من حيث النظر العامي في القناعة بالأمثلة المحسوسة ، والأ فالصورة الخارجة مع المرأة في نظر العارف فانية ايضاً حسب فناء الصورة الداخلة في المرأة من غير تفاوت .

### الفصل الثالث و الاربعون

#### < فوائد التأمل في المرأة >

المرأة عبرة عظيمة لأولى الأَبصار . ومن نظر في المرأة نظراً شافياً ولم ينجل له كثير من المشكلات ، فليس يستحق أن يُعدَّ في زمرة العقلاء . ولعمري لم ينظر في المرأة عاقل إلا وبعثور عقله اشكالات عظيمة ويتشكك في جليات الأمور ، ولكن تنحل له مع ذلك مشكلات كثيرة . و لو لم يكن من منافع الحديد سوى المرأة لكان يكفي ذلك شاهداً على صدق قوله تعالى : « وانزلنا الحديد فيه بأسٌ شديد ومنافع للناس » فكيف وفيه من المنافع ما تُستحقر معها المرأة على أن فيها من المنافع عجائب عظيمةٌ كثيرةٌ لا يمكن احصاؤها للعقل . و المرأة بالحقيقة مرآة العقلاء إذ يرون فيها صورة العقل العاجز عن ادراك حقائق كثيرة ؛ فحسبك بها شاهدة على أن العقل معزول عن ادراك كثير من المحسوسات الظاهرة فضلاً عن المعقولات الخفية . فمن أراد أن يشاهد عقله على صورته التي هو عليها من العجز فليكثر النظر في المرأة ، فنعمت مبصرةٌ للعقل بعجزه ، و كذبه في دعاويه العريضة الطويلة لنفسه من ادراك حقائق الأمور الالهية . ولست أنكر أن العقل 'خلق' لادراك أمور عظيمة من الغوامض ولكنه لا يعجبني اذا عدا طوره في دعواه وجاوز قدره وتخطاه .



## الفصل الرابع والاربعون

< التأمل في المرآة : تنمة >

المرآة تظهر فيها صورة مطابقة للصورة الخارجة من طريق الانطباع . والعقل في أول النظر وباديء الرأي يُفرق بين الوجود الخارج وبين الوجود الداخل ؛ فأحدهما مستتبع و الآخر تابع ، و لا يُتصور أن يشك أحد في ذلك . و حاصل الوجود التابع يرجع الى نسبة حاصلة على وجه مخصوص بين الصورة الخارجة و بين المرآة ؛ فإذا طالع البصر تلك النسبة الحاصلة بينهما أدرك الصورة الداخلة التابعة ، المعدومة من حيث الحقيقة الموجودة من حيث الظاهر . و لا يشك العقل في أن وجود الصورة الداخلة ليس ذاتياً أعنى ليس موجوداً بذاته مستقلاً بالوجود ، بل هو موجود بالأضافة الى أربعة أمور : وهى المرآة و الصورة الخارجة و النسبة الحاصلة و مطالعة البصير ؛ لذلك فإذا بطلت هذه النسبة بطل وجود تلك الصورة الداخلة ، و علم العاقل أن تلك الصورة لم يكن لها استقلال بالوجود . ولو تصوّر وجود المرآة ، أو الماء أو ما يضاهاهما فى محاكاة الصور ، بحيث كان يحاكي الصور و لا يتصور عليه تغير ، لم يدرك أحد من الخلائق أن تلك الصورة الداخلة ، تابعة فى الوجود للصورة الخارجة ؛ وأن هذه خاصية للمرآة والماء ، لا يُشار كهما فيه جسم من الأجسام كالطين والجص وأمثالهما . ولكن لما كانت الصورة الخارجة تتغير ، و كانت النسب الحاصلة أيضاً تتغير ، وعند ذلك تتغير الصورة الداخلة حسب تغير الصورة الخارجة على منهاج واحد ؛ لم يتخالج للعلاء ريب فى أن الداخلة تابعة لوجود الخارجة وأن الخارجة متقدمة فى الوجود على الداخلة تقدماً رتيباً لازمانياً .

## الفصل الخامس و الاربعون

< امكانية العقل لإدراك الموجودات >

لَيَتَأَمَّلُ العَاقِلُ تَأَمُّلاً صَادِقاً أَنَّهُ لَوْ لَمْ تَكُنِ العِوَاةُ مَوْجُودَةً وَ حِكْمِي لَهُ مَا يَشَاهِدُهُ مِنْهَا مِنْ انطِبَاعِ الصُّورِ فِيهَا ، هَلْ كَانَ يَصْدُقُ بِوُجُودِ ذَلِكَ أَمْ لَا ؟ فَمَا عِنْدِي أَنْ وَاحِداً مِنْ أَهْلِ الأَنْصَافِ النَّاطِرِينَ بِالبَصَائِرِ الصَّافِيَةِ يَشْكُ فِي أَنَّهُ كَانَ يُكْذِبُ بِوُجُودِ ذَلِكَ ، وَ يَقِيمُ عَلَيَّ اسْتِحْصَالَتهُ بِرَهَانَا ؛ وَ كَانَ بِسْتَحْجِيلِ أَنْ يَظْهَرَ لَهُ وَجْهُ الخِلَالِ فِي بَرهَانِهِ ذَلِكَ . فَاعتَبِرِ الآنَ وَ لا تَبَادِرِ إِلَى التَّكْذِيبِ فِيما لا يُدْرِكُهُ عَقْلُكَ الضَّعِيفُ . فَإِنَّ العَقْلَ 'خَلَقَ لإِدْرَاكِ بَعْضِ المَوْجُودَاتِ' ، كَمَا أَنَّ البَصَرَ 'خَلَقَ لإِدْرَاكِ بَعْضِ المَوْجُودَاتِ' ، وَ هُوَ عَاجِزٌ عَنِ ادْرَاكِ المَسْمُوعَاتِ وَ المَشْمُومَاتِ وَ المَذْرُوقَاتِ ؛ وَ كَذَلِكَ العَقْلُ يَعْجِزُ عَنِ ادْرَاكِ كَثِيرٍ مِنَ المَوْجُودَاتِ . نَعَمْ هُوَ مَدْرِكٌ لِأَشْيَاءَ مَحْصُورَةٍ قَلِيلَةٍ بِالإِضَافَةِ إِلَى كَثِيرِ المَوْجُودَاتِ الَّتِي هُوَ عَاجِزٌ عَنِ ادْرَاكِهَا . ثُمَّ جَمِيعُ المَوْجُودَاتِ بِالإِضَافَةِ إِلَى العِلْمِ الأَزَلِيِّ كَالذَّرَّةِ بِالإِضَافَةِ إِلَى العَرْشِ ، لِأَبْلِ وَ الذَّرَّةِ بِالإِضَافَةِ إِلَى العَرْشِ شَيْءٌ مَا وَ المَوْجُودَاتِ كُلِّهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى عِلْمِ اللَّهِ لَيْسَتْ شَيْئاً أَصلاً .

وَ إِنَّمَا ذَكَرْتُ ذَلِكَ مَخَافَةً أَنْ يُبَادِرَ عَقْلُكَ الضَّعِيفُ وَيَقُولُ : المَعْقُولَاتُ لا تَتَنَاهَى فَكَيْفَ جَعَلْتَهَا مَحْصُورَةً مَتَنَاهِيَةً ؟ فَإِنَّ مَنْ كَانَتْ المَوْجُودَاتُ كُلُّهَا فِي نَظَرِهِ مَحْصُورَةً ، لِأَبْلِ وَ لا تَكُونُ شَيْئاً ، فَلا يَكُونُ عِنْدَهُ لِلحَكْمِ بِأَمْثَالِ ذَلِكَ عَظِيمٌ خَطَرٌ ؛ إِنَّمَا امْتِنَاعُ الحَصْرِ فِي نَظَرِهِ يَوجِدُ فِي الصِّفَاتِ الأَزَلِيَّةِ كَالقُدْرَةِ وَ الأُرَادَةِ وَ العِلْمِ وَ الكَرَمِ المَفِيزِ صُورَ المَوْجُودَاتِ عَلَيْهَا . وَ هَذَا الكَرَمُ لِأَنْ لِمَ لَازِمٌ لِلذَّاتِ الوَاجِبَةِ ؛ فَإِنَّهَا لَمَّا كَانَتْ كَامِلَةً وَفَوْقَ الكَمالِ ، لِأَجْرَمِ كَانَ الكَرَمُ المَقْتَضِي لِإِيفَاضَةِ خَلْعِ الوُجُودِ عَلَى المَعْدُومَاتِ لِأَنْ لَهَا ؛

كما أن الوجوب لازم لها مثلاً ؛ ولو خلت الذات عن هذا الكرم كانت ناقصة . وهذا كما أن الشمس اذا أشرقت بها الآفاق كان ذلك من كمال اشراقها ؛ ولو لم تكن هذه الصفة موجودة في الشمس ، كانت ناقصة و كان يعوزها شيء من كمال نورانيتها « والله المثل الأعلى في السموات و الأرض وهو العزيز الحكيم » .

### الفصل السادس و الأربعون

< التأمل في المرآة يوضح حقيقة وجود الموجودات >

اولوا الألباب يعتبرون بالمرآة من أوجه كثيرة ، ويكاد حصر تلك العبر يستحيل . ومما يعتبرون به أنهم اذا نظروا فيها شاهدوا ، حقيقة قوله تعالى : « كل شيء هالك إلا وجهه » . و قوله - عليه العلوة والسلام - : الناس نيامٌ فإذا ماتوا انتبهوا ، و علموا أن نسبة الملك و الملكوت في الوجود الى وجه الحي القيوم ، نسبة الصورة الداخلة في المرآة الى الصورة الخارجة ؛ اذ ليس للملك و الملكوت حقيقة الوجود ، وانما وجودهما تابع لوجود الوجه الحق الحقيقي الوجود . فإن بعض الخلق لا بل أكثرهم يظنون أن الموجودات التي يشاهدونها في الدنيا لها وجود حقيقي ؛ فإذا بطلت النسبة الحاصلة بين ابصارهم و بين تلك الموجودات المحسوسة ، انكشف الغطاء عن ابصارهم و ارتفع التلبس ، فانتبهوا من نومهم و نالوا يقيناً أن « كل شيء هالك إلا وجهه » ؛ اللهم إلا اذا قام موجودٌ أزلاً و أبداً بقيومية وجهه الباقي ، فيكون القائم من موجوداً أبدية وجود القيوم و سرمديته - جلّ الواحد القهار - وحينئذ ينادى الخلق من بطنان العرش بقوله تعالى : « لمن الملك اليوم : لله الواحد القهار » . و يشاهدون ذلك

مشاهدة لا يبقى معها ريب . و من طالع هذه الألفاظ و لم يقف على حقائق معانيها فليتوقف في الإنكار ، فوراها من عجائب الاسرار ما لا يقى بشرحه لسان ولا يعرب عن حقيقته بيان .

## الفصل السابع والاربعون

< علاقة قدرة الله بقدرة الانسان >

رجعنا الى حديث السرى . لاشك أن الله تعالى - خلق في الانسان معنى يُسمى في اصطلاح الخلق قدرة ؛ والانسان يقدر بذلك المعنى على أن يتكلم بعد سكوته متى شاء . فالسبب الظاهر من حيث نظر عوام الخلق لوجود الكلام بعد عدمه ، هو المعنى المسمى قدرة عندهم . ومعلوم أن القدرة تكون موجودة ولا يوجد المُسبب وهو الكلام ، لا يخلل في السبب بل لفقْد شرطٍ و هو المشيئة ؛ فوجود الكلام ، من سببه المسمى قدرة في الاصطلاح ، موقوف على وجود شرطه وهو المشيئة ؛ ومحال أن يحصل المشروط و الشرط معدوم . و المحال لا يكون مقدوراً إذ لا يظهر أثر القدرة إلا في مقدور ، كما لا يظهر أثر البصر إلا في مبصر ، ولا أثر الشم إلا في مشموم و كذلك في سائر المدركات . فإن الكواكب المحجوبة بسحابة مثلاً إذا لم تتمكن القوة الباصرة من ادراكها ، لم يكن ذلك دليلاً على خلل في الأبصار ؛ فكذلك إذا كان الشيء المعدوم محجوباً بحجاب عدم الشرط ، فإن القدرة الأزلية لا توجد ، ما لم ينقشع حجاب عدم الشرط ، لا يخلل في القدرة الأزلية بل لأن المعدوم بعد محال الوجود ؛ فإذا انقشع عنه الحجاب صار ممكناً ، ويصير من القدرة الأزلية واجباً ؛ كما لو انقشع حجاب السحاب فصارت

الأرض مستعدة لقبول نور الشمس عند الانقشاع .

### الفصل الثامن والاربعون

< تعريف المحال والممكن >

نسبة المحال بذاته الى القدرة الأزلية ، كنسبة المشموم مثلاً الى العين المبصرة ؛ فلا يصير المشموم أبداً مبصراً ، لا لخلل في قوة الأَبصار ، بل لأنه ليس بمُبَصَّر . والمحال لا يفيض عليه الوجود من القدرة الازلية ، لا لخلل في القدرة بل لأن المحال غير مقدور . ونسبة المعدوم الممكن بذاته الى القدرة الأزلية كنسبة المبصر المحجوب بحجاب الى قوة البصر ، فإنه إذا ارتفع الحجاب أدركته القدرة المُبصرة ؛ فكذلك المعدوم الممكن بذاته إذا وجدت شروطه أوجدته القدرة الأزلية ؛ و مادام يعوزه شرط فهو بعدُ محال الوجود بغيره لا بذاته . والممكن بذاته ما يجب وجودُ شروطه ، والمحال بذاته ما يستحيل وجودُ شروطه . و تأمل في ذلك تأملاً شافياً و لا تعترض عليه بتحدلقك فتزل قدمك وأنت لا تدري .

### الفصل التاسع والاربعون

< إن كون الشيء مستحيلاً بذاته أو ممكناً بذاته لا يتعارض مع كونه تابعاً للواجب >  
 قد يقول أهل النظر أن الامكان للممكن من ذاته ، والاستحالة للمستحيل بذاته ومن ذاته ؛ فيتمخيل الضعيف من هذه الألفاظ معان فاسدة ، ويُخطئ فيها بأنواع فاحشة من الخطأ . و كيف يكون الامكان للممكن من ذاته وذاته ليست من ذاته بل من غيره ؟! فإذا كانت ذاته من غيره ، كان الامكان الذي هو صفة من صفاته ، أولى أن يكون من غيره .

فإن استناد الذوات الموصوفة إلى وجودها بدرجة ، واستناد الصفات التابعة إليه بدرجتين ، هذا حكم الممكنات في إمكانها إذا وجدت ، وأما الممكن الذي لم يوجد ، فليس له بعد ذات ولا صفات ؛ فكيف يُطلب له و لصفاته سببٌ و المعدوم لا يُطلب له سبب وإنما يُطلب السبب لموجود بعد العدم ؟ وإنما ذكرت ذلك لأن قولهم : الامكان للممكن من ذاته ، له معنى صحيح ؛ و كثيراً ما تغلط الأوهام فيه ، فليُستعن بما ذكرته في الاحتراز من تغليب الوهم . وهذا بعينه الجواب عن قولهم : الاستحالة للمستحيل ، من ذاته ؛ فالمستحيل إذا لم يكن له ذات فكيف يُطلب لاستحالته ، التي هي صفة تابعة ، سبب ؟! فإذا قيل : العدم للمعدوم ، من ذاته ، كان له معنى صحيح عند الراسخين في العلم ؛ ولا يجوز أن يتوهم للمعدوم ذات ، ثم يتوهم العدم شيئاً موجوداً لتلك الذات ؛ فإن العدم معناه صفة ، والصفة لا توجد إلا بعد وجود الموصوف ؛ فكيف يوجد العدم ، والمعدوم الذي هو موصوفه معدوم ؟ فأوهام الضعفاء تغلط كثيراً في أمثال ذلك والمحققون يتيسر عليهم الاحتراز عما يُضاهي هذه الاغاليط .

### الفصل الخمسون

> لماذا خلق الله العالم في وقت ما ولم يخلقه قبل ذلك الوقت أو بعده <  
 فالسماوات و الارضون وُجدت حين وجدت من القدرة الأزلية ، ولم يكن قبل وجودها قبل ولا بعد حتى يقال لم لم توجد قبل ذلك . فإن القبل و البعد عارضان من عوارض الزمان ، والزمان لا يوجد إلا بعد وجود الأجسام . فكما لا يجوز أن يكون قبل وجود الأجسام فوق و لا تحت ، لانهما عارضان من عوارض المكان ؛ فكذلك لا يجوز أن يكون قبل وجود الأجسام قبل و لا بعد ، لأن ذلك موقوف الوجود على وجود الزمان ،

والزمان موقوف الوجود على وجود الحركة ، و الحركة موقوفة الوجود على وجود  
الأجسام ؛ فكان الزمان ظرف الحركة كما أن المكان ظرف الجسم .

### الفصل الواحد والخمسون

> القول بأن العالم قديم بالزمان هوس محض <

قول القائل ، العالم قديم بالزمان ، هوس محض لا طائل تحته ؛ إذ يقال له : ما  
الذي تعنى بالعالم ؟ فاما أن يقول : أعنى به الاجسام كلها كالسماوات والأمهات ؛ وإما أن  
يقول : أعنى به كل موجود سوى الله تعالى ، وعلى هذا تكون العقول والنفوس والاجسام  
كلها داخلة تحت لفظ العالم ، فإن قال : أعنى بالعالم كل موجود ممكن من الاجسام و  
غيرها ، فعلى هذا يكون أكثر الموجودات المندرجة تحت لفظ العالم غير متوقف  
الوجود على وجود الزمان ، بل يكون بالضرورة سابق الوجود عليه ؛ فكيف يقال :  
العالم قديم بالزمان وأكثر موجودات العالم سابق الوجود على الزمان ؟  
وإن قال ؛ أعنى بالعالم الاجسام كلها ؛ فلا يجوز على هذا الوجه أيضاً أن يقال :  
الأجسام قديمة بالزمان ؛ فإن معنى ذلك أن الاجسام موجودة منذ كان الزمان موجوداً ،  
فيكون مشعراً بأن الزمان سابق على الاجسام في الوجود ، وليس كذلك ؛ فإن الاجسام  
سابقة الوجود على الزمان ، و الزمان متأخر الوجود عنها و إن كان كذلك بالرتبة و  
الذات . فإن قال قائل : ليس المراد بقولنا العالم قديم بالزمان ما ذكرتموه ؛ فنحن لانفهم  
من قوله إلا ذلك . وقد تكلمنا على ما فهمنا ، فأما ما لم نفهمه من مقاصده فالكلام عليه  
من شأن العميان . فعليه ان يُبين معناه على ما فهمه فإن كان حقاً وصدقاً وافقناه في ذلك ،  
وإلا تكلمنا عليه حسب الوسع والطاقة .

## الفصل الثاني والخمسون

< نظر المعارف في مشكلة قدم العالم او حدوثه >

الحق في ذلك أن يقال : كان الزمان موجوداً مذ كانت الحركة موجودة ؛ وليس يجوز أن يقال : كانت الحركة موجودة مذ كان الزمان موجوداً . فإن ذلك وإن كان له وجه ما ، فهو فاسد المنظم جداً . وإذا لم يَجْز ذلك فكيف يجوز أن يقال : كانت الاجسام موجودة مذ كان الزمان موجوداً ؛ ولولم توجد الاجسام مثلاً الى الآن لِعَدَم شرط ثم وجدت الآن لوجود ذلك الشرط ، كان ذلك جائزاً ولم يكن قبل وجودها قبل ولا بعد ؛ وحين وجدت فإنما وجدت كذلك من غير فرق . وإن زعمت أن الاجسام كانت موجودة مذ كان الحق موجوداً فهو خطأ عظيم ، واعتقاد أكثر العلماء الذين يزعمون أنهم أربوا في صدق النظر على الاولين والآخرين . .

ومما لا بُدَّ لك في هذا المقام من الاحاطة به أن تعلم أن الاجسام لا توجد أصلاً حيث يوجد الحق لا الآن ولا قبله ولا بعده ؛ ومن صار الى أن العالم موجود الآن مع وجود الحق فهو مخطيء خطأ عظيماً ؛ فحيث الحق فلا مكان ولا زمان ، وهو محيط بالزمان والمكان وسائر الموجودات . فإن سبق وجوده على كل شيء متساو ؛ فإنه سابق الوجود على وجود العالم ، كما إنه سابق الوجود على وجود صورة هذه الكلمات المسطورة في هذا الكتاب مثلاً ، من غير فرق أصلاً . ومن فرّق بينهما فهو بعد في مضيق التشبيه ، ولم يمتزّه عنده الحق عن الزمان ، كما لم يمتزّه عن المكان عند العوام الذين يزعمون أنه جسم كسائر المحسوسات . و مثل هذا الإيمان بالله بعيد عن الإيمان الحقيقي الحاصل للمعارف في أول سلوكه ونظاره .



والله - تعالى - سابق على الزمان المستقبل حسب سبقه على الزمان الماضي من غير فرق ؛ وهذا يقينى عند العارف ، والعلماء عاجزون عن ادراكه بالضرورة . ولولم يعجزوا عن ادراكه لما قالوا أن العقل الأول مساوق الوجود لوجود الحق ؛ كما لم يقولوا ، أن صورة هذه الحروف المنقوشة بهذا القرطاس مثلاً ، مساوقة فى الوجود لله الحق ، المنزه عن أمثال هذه الظنون بل عن ظنون الأنبياء والمقربين . وانظر فى ذلك نظراً شافياً فلا بُدَّ وأن يحظى عقلك القاصر من معناه بنصيب ما ؛ وإن كان فهم المراد الحقيقى منه موقوفاً على انفتاح عين المعرفة التى منزلتها من بصيرة العقل ، منزلة الجنين من الرحم ، لا بل منزلة العقل من العين التى تراها موجودة لابن المهدي . وسأزيد لك شرحاً فى موضع آخر أليق به ، لعل القاصرين يشمون من روائحه شيئاً .

### الفصل الثالث والخمسون

< ازلية الله حاضرة مع ابديته من غير فرق >

الحق أن الله كان موجوداً ولا يكون معه شيء ، وهو الآن موجود وليس معه شيء ، ويكون موجوداً ولا يكون معه شيء ؛ فأزليته حاضرة مع ابديته من غير فرق . وحيث سلطانه فلا موجود غيره ، ولا أيضاً يُتصوّر وجود ذلك ؛ وحيث سلطنة كمال إشراق الشمس ، فلا يُتصوّر للخفافيش وجود أصلاً . فخذ اليك هذا المثل العامى على قدر ضعف عقلك القاصر وعلمك المزخرف ، واجتهد لعل فهمك الضعيف ينتفع بشيء من هذا المثل ، واحذر من التشبيه .

وليس وجود الحق زمانياً حتى يحسن مثلاً أن يقال : كان الله ولم يكن معه شيء ، ولا يحسن أن يقال : يكون ولا يكون معه شيء . وإياك ثم إياك ألف مرة أن تطمع في الاحاطة بهذا الذي تسمعه بعقلك الذي نسبته من ادراكه نسبة الخفافيش من ادراك نور الشمس . فإما أن لا تلتفت الى ما في هذا الفصل وأمثاله أصلاً ولا تتلقاها برّد ولا قبول ، وإما أن تحفظ هذه الكلمات . وسئل الله سبحانه أن يخصك بعين تدرك أمثال ذلك لا من اللفظ ، فإن ذلك محال ، بل من وجه آخر . فإن أدركته من هذا الوجه فحينئذ تعلم قطعاً أن لاعتبار في الوجود تؤدي حق ما أدركته أحسن من هذا الذي ذكرته ، وتعلم قطعاً أن من أودع أمثال تلك المعاني في الألفاظ المذكورة فهو ظالم غاية الظلم . فاعلم إنا إذا قلنا : كان الله ولم يكن معه شيء موجود ، فهو متشابه ؛ فإن لفظ كان يدل على وجود موجود في زمان ماض ؛ فإذا قلنا : ولم يكن معه موجود ، فكيف يكون الزمان معه موجوداً ؟ ومهما كان كذلك فلا فرق بين قولنا : كان ولم يكن معه موجود ، وبين قولنا : يكون وليس معه موجود . فهذا غاية ما يمكن ذكره في مضيق الألفاظ والعبارات .

### الفصل الرابع والخمسون

< أزلية الواجب وابدئته : تمة >

إذا انفتحت من باطنك روزنة الى عالم الملكوت ، فكل ما اتفق طيرانك اليه ، شاهدت جليّة الحال في ذلك كله واستغنيت عن سماع حكايته . ولعلك الآن تشتهي أن تعرف معنى الأزلية ، و كيفية الطيران الى الملكوت ، فإن ظاهر ذلك كالمحال . فاعلم

أن من ظن أن الأزلية شيء ماضٍ، فقد أخطأ خطأ فاحشاً؛ وهذا وهمٌ غالبٌ على  
الأكثرين. فحيث الأزلية فلأماضٍ ولأماستقبلٌ، وهي محيطة بالزمان المستقبل  
كإحاطتها بالزمان الماضي من غير فرق؛ ومن اختلج في ضميره بينهما فرقٌ فعقله بعد  
أسيرٌ في يد وهمه. فليس زمان آدم أقرب إلى الأزلية من زماننا هذا؛ بل نسبة الأزمنة  
كلها إلى الأزلية واحدة. ولعل نسبة الأزلية إلى الأزمنة كنسبة العلوم مثلاً إلى  
الأمكنة؛ إذ لا توصف العلوم بكونها قريبة من مكان أو بعيدة من مكان، بل نسبتها واحدة  
إلى كل مكان، وهي مع كل مكان ومع ذلك فقد خلا عنها كل مكان. وهذا يسهل  
إدراكه على من نظر في العلوم العقلية قليلاً وإنما يعسر على من قعد به القصور في عالم  
المُلْك، ولم تنفتح بعد عينه الجواله في الملكوت.

فكذلك ينبغي أن تُعتقد نسبة الأزلية إلى كل زمان؛ فإنها مع كل زمان وفي  
كل زمان، ومع ذلك فهي محيطة بكل زمان وسابقة الوجود على كل زمان، ولا يسعها  
زمان كما لا يسع العلم مكان. فإذا فهمت هذه المعاني فاعلم أنه لا مغايرة بين الأزلية  
والأبدية في المعنى أصلاً، بل إذا اعتبر وجود ذلك المعنى مع نسبه إلى الماضي من  
الأزمنة، استعير له لفظ الأزلية؛ وإن اعتبر وجوده مع نسبه إلى المستقبل من الأزمنة،  
استعير له لفظ الأبدية. ولا بد من لفظتين مختلفتين لاختلاف النسبتين؛ وإلا ضل الخلق  
في إدراكه عن سواء السبيل.

واعلم الآن إنا إذا قلنا: أراد الحق - تعالى - ويريد، وعلم ويعلم، وقدر ويقدر، فهو  
ليش هذه الضرورة؛ وإلا فإذا لم يكن له ماضٍ ومستقبلٌ، فلا معنى للاختلاف في

فعله أيتعلقُ في الماضي اوالمستقبل ؛ نعم إذأنسبت الارادة الى زمان ماض قيل أراد ، و إذأنسبت الى مستقبل قيل يريد . وهذا مفتاح أسرار كثيرة ومشكلات عظيمة . و إذا كان كذلك فمن المحال الظاهر أن يصل السالك الى الأزلية من طريق العلم ؛ نعم يجوز أن يدرك معناها بالعلم ، ولكن ادراك معنى الشيء غير الوصول اليه غير . وإنما قلنا يستحيل الوصول اليها من طريق العلم ، لأن المتفرغ للطلب في أسرار الزمان بعد ، و لاوصول الى الأزلية إلا بعد حل ذلك الاسر .

### الفصل الخامس والخمسون

< استمرار الموجودات في الوجود يتضمن استمراراً في الابداد >

إعلم أن اشراق الارض بنور الشمس يستدعى نسبة مخصوصة بين الارض والشمس ، لو بطلت تلك النسبة بطل استعدادها لقبول نورالشمس ، و لو دامت هذه النسبة بينهما دام القبول ؛ وبقدر دوامها يدوم القبول . فأى نفس وجدت هذه النسبة وجد القبول وأى نفس بطلت هذه النسبة بطل القبول . ثم إن دامت هذه النسبة في أنفاس متعددة ، دام القبول في تلك الأنفاس على منهاج واحد ؛ فيظن القاصرون أن الشعاع الموجود في كل نفس مثلاً ، عين الشعاع الموجود في النفس الذي قبله أو بعده ؛ وهو خطأ عند أهل المعرفة الناظرين بتورالله ؛ بل الشعاع الموجود في كل نفس مقتضى النسبة الموجودة في ذلك النفس ، والنسب الموجودة في تلك الأنفاس متغايرة بالضرورة .

وكذلك يجوز أن يُحكم على نسبة واحدة من جملتها بأحكام لايجوز الحكم بتلك الأحكام على نسبة أخرى ، كما يقال مثلاً إن النسبة الفلانية كانت مساوقة الوجود

للحركة الفلانية ، وإن النسبة التي بعدها لم تكن مساوية الوجود لتلك الحركة ، و بهذا تتحقق المتغايرة بين النسبتين قطعاً . فإذا كانت تلك النسب متغايرة ، كان القبول في كل نفس يقتضى نسبة أخرى على حدتها واستقلالها . فاعلم أن الشعاع الذي يكون موجوداً في نفس مخصوص ، غير الشعاع الذي يكون موجوداً قبله أو بعده ولو بنفس واحد . نعم لما كانت هذه النسب المتغايرة واحدة ، في كونها مقتضية للقبول على وتيرة واحدة ، ظنَّ بعض الضعفاء أن هذا الشعاع الموجود في هذا النفس ، عين الشعاع الموجود في النفس الذي يُرى قبله أو بعده ؛ كمن يرى زيدا وعمراً وخالداً وبكراً واحداً في معنى الإنسانية ، فيظنُّ أن كل واحد منهم عينُ صاحبه . و ليُتحقق هذا فإنه محتاج إليه من طريق ضرب المثال العامي في الفصل الذي يلي هذا الفصل ، وهو يُبنى عليه أصل عظيم .

### الفصل السادس والخمسون

< تمة الفصل السابق >

لاشك أن إشراق المعدوم بنور الوجود ، يستدعى نسبة مخصوصة بينه وبين القدرة الأزلية ؛ ولو دامت هذه النسبة ، دام قبول المعدوم لإشراق نور القدرة ؛ ولو بطلت النسبة ، بطل القبول ؛ وبقدَر دوام النسبة يدوم القبول . والقبول في كل نفس ، مقتضى النسبة الموجودة في ذلك النفس ؛ والنسب متغايرة ؛ فإذا القبول الذي في هذا النفس مثلاً ، غير القبول الذي في ذلك النفس ؛ وإن تشابهت أنفاس متعددة في القبول ، فذلك لتشابه النسب المتغايرة و اتحادها في معنى الاقتضاء للقبول . فإذا رأيت الشيء مثلاً

موجوداً سنين كثيرة على منهاج واحد ، فذلك ادوام النسب المقتضية للوجود في تلك السنين نفساً بعد نفس . فاعلم يقيناً أن الوجود في كل نفس ، مقتضى النسبة الموجودة في ذلك النفس ؛ فالوجود الذي تراه في هذا النفس للسماء والارض وسائر الموجودات ، غير الوجود الذي تراه فيما بعد ورأيتَه فيما قبل . نعم لما كانت النسب المتغايرة المقتضية لوجود الموجودات واحدة ، في كون كل نسبة منها مقتضية للوجود ، وقع الوهم للاولين من عند آخرهم في هذا الغلط الإامن شاء الله وقليل ما هم .

وهذا الفصل غامض شديد الغموض ، صعب المتناول عسير الدرك ممتنع على الافهام ، وزلُّ الأقدام في أمثاله كثير ، والعقل لا يتصور له ادراك ذلك إلا بتأمل عظيم ونظر شافٍ وبحث واف ، وذكاء عظيم وجدّ بليغ . نعم يدركه العارفون بعين المعرفة في أول نظرة من غير احتياج الى تكلف . ومن استعان من العقلاء في فهم هذا الفصل بنور السراج ، الذي يتجدد له في كل نفس وجود آخر ، سهل عليه ادراكه . فإن الصبيان يظنون أن نور السراج ، الذي يرونه مشتعلاً على منهاج واحد ، هو شيء واحد ؛ والعلماء يعلمون قطعاً أنه في كل نفس تتجدد له صورة اخرى ، وهذا مقتضى نظر العارف في كل موجود سوى الله . و لعل عقلك محيط بشيء من ذلك إن أدمت النظر اليه ، ووقفت فهمك عليه ؛ والغالب أن هذا الباب لا يفتح للعقل .

### الفصل السابع والخمسون

< صدور الموجودات الكثيرة عن الواحد >

إعلم أن الله كان موجوداً ولم يكن معه شيء ؛ ولا أيضاً يتصور أبداً أن يكون معه شيء ، إذ ليس لشيء مع وجوده رتبة المعية . فالله عز وجل - ليس معه شيء ، ولكنه مع

كل شيء؛ ولولامعيتته مع كل شيء، لما بقى في الوجود موجود. و الموجودات في حصولها منه لها ترتيب: فبعضها متقدم كالمفرد، وبعضها متأخر كالمركب. هذا إذا نظرنا بنظر العقل صحيح، فإن نظرنا بنظر المعرفة فهو خطأ؛ والعقل لا يدرك حقيقة ذلك أصلاً؛ فتراه إذا سمع أمثال ذلك يفور فائرة؛ و يشور نائرة و يقول: الشيء الواحد كيف يكون صحيحاً و خطأً؟ و عليك ان تسكن فورته بهذا المثال العامي إن سكنت به، وإلا فدونك و تكذيبه و الانكار عليه ما دمت أسيراً في عالم العقل محبوساً في مضيقه.

وهذا المثال العامي هو أن الصبي إذا حكم على شخصين مثلاً بأن أحدهما اقرب إليه من الآخر، فقال له بعض البالغين من أهل التحقيق: حكمك هذا صادق إذا نظرت بنظر الحس، فأما إذا نظرت بنظر العقل علمت أن حكمك خطأ؛ فان الأقرب في نظر الحس هو الأبعد في نظر العقل. فإن قول القائل صحيح، و نظر الصبي صحيح عند العاقل، و تكذيبه للعاقل في دعواه خطأ. وهذا التكذيب ضروري له لا يتمكن من اعتقاد غيره، وطريق تفهيمه مسدود على العاقل. فإذا لا بُدَّ من بيان صدور الموجودات من القدرة الأزلية، بطريق يمكن للعقل ادراكه، وإن كان ذلك خطأ في نظر العارف. وقد أكثر في بيانه النظار؛ وحاصلهم فيه يرجع إلى ظنون يجمعونها.

والحق في ذلك على ما يابوح لعقولنا أن يقال: أن الله عز وجل - فاض منه الوجود أولاً على الموجود الأول، وهو أقرب الملائكة إليه وأقرب الموجودات كلها في نظر العقل؛ ويشبه أن يكون الروح المذكور في قوله تعالى: «يوم يقوم الروح والملائكة صفاً»

عبارة عنه . و كان وجود هذه الروح شرطاً تمّ به استعداد شيء آخر لقبول نور القدرة الازلية ؛ و كان استعداد هذا الشيء بشرط وجود الروح ، كاستعداد الروح من غير شرط . ثم كان وجود هذا الثاني شرطاً في وجود شيء ثالث ؛ و يجوز أن يكون شرطاً في وجود شيئين ، ثالث ورابع . وليس للعقول الضعيفة أن تدرك حقيقة هذا الامر على ما يجب الا أن لها أن تدرك جواز الوجهين المشار اليهما : وهو أن وجود الثاني يجوز أن يكون شرطاً في وجود شيئين ، و يجوز أن يكون شرطاً في وجود شيء واحد ؛ وهو أن يكون باعتبار ذاته على حدتها شرطاً لشيء ، و يكون باعتبار ذاته مع اعتبار الروح شرطاً لشيء آخر ؛ و كلا الوجهين معقول . وهذا القدر يكفيك في كيفية صدور الموجودات الكثيرة من الواحد الحق ؛ فانه إذا جاز أن يكون الثاني شرطاً لشيئين ، جاز أن يكون كل واحد من الشيئين شرطاً لوجود ثالث ورابع من الموجودات .

### الفصل الثامن والخمسون

< الوسائط بين الواجب والسماء الاولى >

الحكم بأنه لم يتوسط بين الواجب الحق و بين السماء الاولى ، و هو الفلك الاطلس ، إلا ثلاثة من الملائكة و احد منهم روحاني و اثنان كرويان ، حكم مظنون غير مستقيم . فربما كان من الوسائط بينهما ألف أو أكثر ، لابل هو الحق عند أرباب المعرفة . نعم لما لم يتمكن العلماء في العروج الى الاول ، من الاستدلال بحرارة السماء الاولى ، على غير هذه الثلاثة لاجرم لم يطلبوا في نزولهم شيئاً لغير تلك الثلاثة . وهذا مظنون قطعاً لا يجوز أن يُقنع بأمثاله في العلوم النظرية . وُحكمتنا بأن الوسائط



المتوسطة بين الواجب وبين السماء الأولى كثيرة ، فهو حق وصدق ؛ و يشاهده أهل المعرفة لا من طريق الاستدلال بل من طريق آخر ، ولو كان من طريق الاستدلال لأمكن ذكره . فلما كان موقوفاً على انفتاح عين المعرفة في الباطن ، لم يمكن ذكره ؛ بل لما كان إمكانه معقولاً نُبّه عليه بقدر الوسع . ومما يعين العقل على التصديق بذلك أن يُكرّر نظره في الكواكب الموجودة على السماء الثامنة المُعبر عنها بلسان أهل الشرع بالكُرسى .

### الفصل التاسع والخمسون

< مشاهدة المعارف بالذوق كمشاهدة العقل الاوليات >

كل موجود دائم الوجود فإنه يتكرر بالحى القيوم دائماً ، و يتجدد له فى كل نفس وجود آخر شبيه بما قبله ؛ وأهل المعرفة يشاهدون ذلك صريحاً ، و العالم يتعذر عليه إدراكه . فكرر نظرك فيما ذكرته من قبل فربما تتجلى لك حقيقة هذا الامر ؛ والله تعالى لا يجعل ذكر ذلك و بالأعلى وعلى من يطالعه ، و يجعل نفع الخلق به أكثر من الضرر . و رحم الله عبداً طالعه بعين المعرفة و شمر لفهمه ذيله ، و ترك التعصب و مراقبة الجوانب و المُداهنة فى المذاهب ؛ بل ينبغي ان لا يحمله على مطالعته والنظر فيه إلا طلب الحق بطريق اليقين ، لكون سعادة النفس متعلقة به . فإن هذه المعانى التى ذكرتها فى هذه الفصول ، مشاهدة بالذوق مشاهدة لا تقصر عن مشاهدة العقل للاوليات إلا أنه لم يمكن التعبير عن تلك المعانى إلا بهذه الالفاظ . والحق الذى لا ريب فيه أن من عرف الله تعالى كل لسانه أى لم يجد عبارة تؤدي حق المعنى ، الذى فهمه ذوقاً ، الى الأفهام .

## الفصل الستون

< ترتيب الموجودات وتكثرها في نظر العالم والعارف >

الناظرون بعين العقل يرون للموجودات في ذواتها ترتيباً ، ويرون بعضها أقرب من البعض الى الاول الحق بالضرورة ؛ ولا يتصور أن يكون إلا كذلك . ويرون مصدر الوجود واحداً ، ويرون الموجودات الصادرة عنه كثيرة ؛ فلا جرم يحتاجون الى تكلفات باردة في بيان كيفية صدور الكثرة عن الوحدة . فأما الناظرون بعين المعرفة فإنهم لا يرون للموجودات ترتيباً أصلاً ؛ ولا يرون بعضها الى الحق أقرب من البعض ، بل يرون هويته مساوقة لكل موجود حسب مشارقتها للموجود الأول في نظر العلماء من غير فرق . و ما لم يصل الرجل الى هذا المقام ، فلا يتجلى له معنى قوله تعالى : «إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ» ؛ ولا معنى قوله «فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» ، وإنما يحظى من سماع أمثال هذه الآيات بسمع حروف وكلمات .

ثم أهل المعرفة لا يرون مساوقته للموجودات كما يراها العلماء للعقل الأول . ويرون ، أعني العارفين ، مصدر الموجودات كثيراً ، ويرون الموجودات كلها كالذرة بالنسبة الى عظمته . و من كان ينظر الى الله تعالى و أفعاله بهذه العين ، فلا يحتاج الى العلم بكيفية صدور الكثرة عن الوحدة ؛ فيكون كل ما ذكر في هذا المعنى عنده

فضولاً مستغنى عنه . فاجتهد أن تصدق بوجود عين في باطن الآدمي إذا انفتحت كانت مُدرَكاتها من جنس ما أشير إليه في قولنا : أن الهوية الأزلية مسارقة الوجود لوجود كل موجود ؛ فإن العقل قاصر عن إدراك ذلك ، فلأَمَحَالَة يرى بعض الأشياء أقرب إلى الحي القيوم من البعض . ومهما أدركت شيئاً واستحال عندك أن تُعبّر عنه إلا بالعبارات التي يشتمل عليها هذا الفصل من مدركات العارف ، فاعلم يقيناً أن عين المعرفة قد انفتحت في باطنك ، وحينئذ تصير علومك المحصلة كلها بذوراً لِثمرات المعارف .

### الفصل الواحد و الستون

#### < الفرق بين العلم و المعرفة >

لعلّ نفسك تتشوق إلى ادراك الفرق بين العلم و المعرفة ، فاعلم أن كل معنى يُتصوّر أن يُعبّر عنه بعبارة تطابق ذلك المعنى ، حتى إذا شرحه المعلم للمتعلم بتلك العبارة مرة أو مرتين أو أكثر ساواه في العلم به ، فهو من العلوم . و كل معنى لا يُتصوّر عنه التعبير أصلاً اللهم إلا إذا كانت الألفاظ متشابهة فهو من المعارف . هذا هو اصطلاحى فى هذا الكتاب ، وهو الغالب على أرباب القلوب . وقد يُطلق لفظ العلم و يراد به معنى المعرفة ، و هو كثيرٌ فى القرآن . قال الله تعالى : « بل هو آياتٌ بيناتٌ فى صدور الذين ارتوا العلم » ؛ و قال أيضاً : « شهد الله أنه لا اله الا هو و الملائكة و اولوا العلم » ؛ و قال أيضاً : « و علّمناه من لدنا علماً » . و العلوم اللدنية لا يُتصوّر عنها التعبير بعبارات مطابقة لها أصلاً ؛ ولذلك لما أراد موسى أن يُحصّلها من الخضر بطريق

التعليم ابي الى ان قال : « فإن اتبعتنى فلانسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه ذكراً »  
 أى حتى تفتح عين المعرفة فى باطنك ، فحينئذ تستيقن حقيقة ما رأيت من قبل . وأما  
 قبل انفتاح تلك العين فلا سبيل لك الى ادراك تلك الحقائق الا بطريق التأويل كما قال  
 له حيث صمّم العزم على فراقه « سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً » ؛ ولو صبر الى  
 وقت انفتاح عين المعرفة لكان يحدث له ذكراً ، وهو كناية عن مشاهدة حقيقة التفسير  
 بحيث لا يبقى الى التأويل حاجة . ولهذا المعنى قال النبى صلى الله عليه وسلم : رجم الله  
 أخى موسى ، فلو صبر مع الخضر لرأى كثيراً من العجائب . و لعل الحديث من حيث  
 اللفظ يخالفه .

### الفصل الثاني والستون

< المعارف علوم لدنيّة لانفهم حقائقها من العبارات المتشابهة >

علوم الانبياء لدنيّة فمن كان علمه مستفاداً من الكتب والمعلمين ، فليس هو من  
 ورثة الأنبياء فى علمه ذاك الا من طريق التوسع فى العبارة عن لفظ الميراث . و علوم  
 الأنبياء لا تستفاد الا من الله عزوجل . كما قال : « وربك الأكرم الذى علم بالقلم  
 علم الانسان ما لم يعلم » . ولا تظن أن تعليم الحق يختص به النبى فقط ؛ قال الله تعالى :  
 « وانقوا الله و يعلمكم الله » . و كل من وصل فى سلوكه الى حقيقة التقوى فلا بد أن  
 يعلمه الله ما لم يعلم ، ويكون معه كما قال : « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .  
 وامثال هذه العلوم إذا عير عنها بعبارات متشابهة لم يكن فهم حقائقها من تلك العبارات

الإيمان حصل له ذلك بطريق الذوق عن تعليم الحق . ولذلك قال تعالى : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون » . وكل من لم يتعلم القرآن من الله تعالى بغير واسطة فهو ليس من العالمين المشار إليهم في قوله تعالى « وما يعقلها إلا العالمون » . وهذا في المثال العامي يُشبهه كلام العشاق في الوصال و الفراق وغيرهما من عوارض العشق و احوال ما يتعلق به ؛ فإن الاسماع اذا قرعت بكلام العشاق لم تفهم معناه حق الفهم اللهم إلا من لايس حالة العشق ذوقا . وهذا معنى قول الجنيد رضى الله عنه : « كلامنا إشارة » ؛ و لا يتصور أن يكون للعارف كلام إلا كذلك ، و من تصرف في معانيه ببضاعة عقله و علمه زلت قدمه . و رحم الله ابا العباس بن سريج حيث سأله بعض تلامذته عما يقول الجنيد فقال له : رموز القوم لانعرفها نحن ، إلا أن لكلام الجنيد نورا . و الغالب أن ابن سريج كان من اهل الذوق فإن كلامه هذا يُعرب عن ذلك ، إلا أنه غلب عليه علم الظاهر ؛ وامثاله كثيرة فيما بين العلماء .

### الفصل الثالث و المتون

#### < اقسام العلوم العقلية >

المسائل العقلية تنقسم بوجه من الوجوه الى مالها وجهان ، والى مالها ثلاثة اوجه . وقد يظن بالمسائل التي لها ثلاثة اوجه أنها من المعارف وليست من العلوم ، و هو ظن فاسد ؛ و إنما ذكرت هذا الفصل لتدفع امثال هذه الظنون عن نفسك . أما القسم الأول وهو الذي له وجهان : أحدهما الى نطق المعلم المرشد ، والثاني الى فهم المتعلم

المسترشِد ، فكعلم النحو والطب والحساب وغير ذلك . وأما القسم الثاني و هو الذى له ثلاثة اوجه : احدها الى نطق المفيد ، والثانى الى فهم المستفيد ، والثالث الى ذوقه واكثر ما يتعلق من المسائل بالصفات هذا حكمها وكذلك ما يتعلق باحكام النفس ، كالحكم بكونها موجودة قبل البدن و احوالها بعد الموت ، فهى كذلك . وامثال هذه المسائل يصعب ادراكها على العقل لاسيما حقيقة صفة العلم الأزلى و كيفية احاطته بالجزئيات ، و صفة القدرة الأزلية ، و حقيقة معنى الابداد و الأختراع فى حق الله ، و كيفية معنى المشيئة الأزلية والفرق بينهما وبين الأرادة . واكثر العلماء المتبحرين يظنون أنهم احاطوا علماً بمعانى هذه الصفات وإنما حفظهم منها على الحقيقة تشبيه فقط .

### الفصل الرابع والستون

< بيان أنجع الطرق لاكتساب المعارف >

اعلم الأليق بحال المستفيد فى امثال المسائل التى سبقت الإشارة اليها أن لا يستكثر فيها من حفظ الألفاظ المذكورة فى الكتب ، اذ الغالب أن الاستكثار منها لا يزيد الاتحيراً . وطلب الحقائق من الألفاظ المنقولة و المستعارة و المتشابهة و المشككة فى غاية العسر ؛ بل ينبغى أن يقتصر على قدر يسير من الفاظ يلتقطها من افواه العلماء و من كتب المتأخرين المحققين دون المتقدمين . فإذا حفظ ذلك فليصرف العناية بكليتها الى ترديد النظر فيه ، وليترك النظر فى الكتب القديمة رأساً الى وقت يشير عليه المعلم بذلك .

## الفصل الخامس و الستون

< تمة الفصل السابق >

ينبغي لطالب الحق إذا حفظ القدر الذي يتيسر له من تلك المسائل أن يعاود النظر اليه مرة بعد أخرى ، و يجالس اهل الكمال العلمى ، إن وجدهم وظفر بخدمتهم ما امكنه ؛ ويعرض عليهم كل ما يسنح له من خواطر فى تلك المسائل . وينبغي أن يستعين على ادراك تلك الحقائق بتصفية الباطن ، فعساه يدركها بنفسه . فليس فى قوة الواصل الكامل أن يرد به مشربه العذب ما لم يقر بنفسه على الورود ؛ وإنما الذى اليه من امره هو إرشاده الى كيفية السلوك فقط . ومهما امتثل امره فى الأرشاد لم يحرم الوصول غالباً ، إن كان من اهله .

## الفصل السادس و الستون

< إن مجالسة اهل الذوق خير معين على تصفية القلب >

نعم المعين للطالب على تصفية الباطن مصاحبة أهل الذوق و مجالستهم و خدمتهم من صميم القلب . و اعنى باهل الذوق اقواماً طهروا بواطنهم من رذائل الأخلاق حتى فاضت عليهم من الطاف الحق ما تستحيل عنه العبارة ؛ وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم ، وقلما تخلو بقعة من البقاع عنهم .

## الفصل السابع و الستون

< سعادة الطالب القصى >

السعادة كل السعادة للطالب أن يتفرغ بكلية روحه وقلبه لخدمة واصل منهم

فَنِي فِي اللَّهِ وَمَشَاهِدَتِهِ ، حَتَّى إِذَا أَفْنَى عَمْرَهُ فِي خِدْمَتِهِ ، أَحْيَاهُ اللَّهُ حَيَوَةً طَيِّبَةً لَيْسَ مِنْهَا مَعَ الْعُلَمَاءِ سِوَى رِسْمٍ وَاسْمٍ ؛ فَأَمَّا حَقِيقَةُ مَعْنَاهَا وَمَسْمَاهَا فَلَا يَوْجِدُ إِلَّا عِنْدَ قَوْمٍ أَرْضَعُوا بَلْبَانَ الْكُرْمِ فِي حِجْرِ الْعِنَايَةِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ .

### الفصل الثامن و الستون

< المنافع المتأنيبة من خدمة الشيخ >

لَوْلَا أَنَّ الْجُودَ الْأَزَلِيَّ أَخَذَ بَضِيعِي وَوَقَفَنِي لخدمَةِ شَيْخٍ كَبِيرٍ مِنْهُمْ ، وَإِلَّا لَمَا تُصَوِّرَ لِي خَلَاصَ عَنِ تِلْكَ الضَّلَالَاتِ الَّتِي تَرَسَخْتُ فِي الْبَاطِنِ مِنْ مِمَارَسَةِ الْعِلْمِ ؛ وَلَمَّا انْتَفَعْتُ أَيْضًا بِخدمَةِ الشَّيْخِ الْأَمَامِ أَحْمَدَ الْغَزَالِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، إِذْ لَوْلَا مَا لَزَمْتَنِي لاعتْبَةِ بِأَبِ ذَٰلِكَ الشَّيْخِ لَكَانَ يَتْرَاكُمْ فِي الْقَلْبِ عَلَى تَعَاقِبِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي ، صِفَاتٍ مَذْمُومَةٍ يَتَعَذَّرُ الْخَلَاصَ عَنْهَا وَيَسْتَحِيلُ ؛ كَمَا أَرَاهُ فِي حَقِّ الْأَكْثَرِينَ مِمَّنْ حَبَسَهُ التَّقْدِيرُ فِي مَضِيقِ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ ، وَلَا تَنْتَسِعُ حَوْصَلَتُهُ لِلتَّصْدِيقِ بِمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْجَلِيَّاتِ فَضْلًا عَنِ الْغَوَامِضِ مِنَ الْخَفِيَّاتِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمَشْكُورُ عَلَى إِفَاضَتِهِ عَلَيَّ نِعْمًا لَا أَحْصِيهَا وَلَا اسْتَحَقُّهَا ، وَبِهِ اعْتِمَادِي وَعَلَيْهِ تَوَكَّلِي فِي أَنْتِمَامِ تِلْكَ النِّعَمِ .

### الفصل التاسع و الستون

< التمييز بين الشيخ الكامل والشيخ المدعى للكمال >

لَعَلَّكَ تَقُولُ كَيْفَ يَظْفَرُ الطَّالِبُ بِمِثْلِ هَذَا الشَّيْخِ ؟ وَكَيْفَ يَتَيَسَّرُ لِلْمَبْتَدِئِ مِتَابَعَةُ الْمُنْتَهَى وَ مَعْرِفَتُهُ ، وَ لَيْسَ يَجُوزُ لِلسَّالِكِ أَنْ يَزِنَ الْوَاصِلِينَ بِمِيزَانِ نَظَرِهِ ، وَلَا



ايضاً يجوز له ان يقلد واحداً بمجرد دعواه؟ فيماذا يعلم أن الشخص الغلاني مثلاً مدّعٍ و ليس وراء دعواه طائلٌ أو هو كاملٌ مُنتهِ بلغ مبلغاً يجوز أن يُقتدى به؟ فاعلم أن هذا سؤالٌ عن أمرٍ لا يكون للخائض في جوابه عظيم فائدة، فإن كل واحدٍ من الطالبين تتسلط عليه اسبابٌ ما قُدِّر له تسليطاً لا يجد عنه مَحِيصاً. وبقدر ما قُسم لكل واحدٍ من الرزق تسلط عليه الطلبُ وتيسر له الظفر بمن يهديه الطريق. فكما أن المتعلم يكون طلبه و مرشده على قدر ما رُزق في الأزل من العلم فكذلك هاهنا من غير فرق.

### الفصل السبعون

< تمة الفصل السابق >

فان قلت فهل من علامة يتمييز بها المدعى عن الواصل فاقول: العلامات كثيرةٌ و التعبير عنها عسيرٌ و الأحاطة بجميعها متعذرةٌ غاية التعذر. فأما علامة تطردُ و تنعكس فيكاد يستحيل وجودها، و ليس عندي عن امكانها خبر؛ فعليك بالجد في الطلب فإنه يحل لك كل مشكل، و يجذب بضيقك في كل ملمة مدلهمة، و ينقذك من كل خطب هائل، و يخلصك من كل داهية معضلة. و من لم يذق لم يعرف، و من لم يجرب لم تنفعه تجربة غيره، و من لم يأكل لم يشبع بمحادثة من أكل، و من لم يشرب لم يرو عطشه كلام من شرب.

### الفصل الواحد والسبعون

< عجب العلماء و استنكافهم من الانقياد لاهل المعرفة >

إياك و أن تغترّ بعلمك فتشتغل بالسلوك من غير قائد يقودك في الطريق، فتضل

من حيث لا تدري ؛ و يكون مثالك مثال صانع مُتَبَجِّرٍ في صنعته فاشتغل بالعلوم النظرية و تحصيلها من نفسه ، فاستنكف من متابعة غيره من النظار ، و لم يكن لذلك مُستنداً إلا عجب أثمره تبجُّره في صنعته . فمن الضلالات الغالبة على اهل العلم أنهم إذا أضمروا على السلوك ظنوا أنهم يستغنون عن عارفٍ بمهالك الطريق يهديهم في كل خطوة ؛ و قلما ينجو احدٌ من النظار و العلماء من هذا العُجب الذي ثمرته الأستنكاف من المتابعة لأهل المعرفة ، اذ يبعد من العالم الذي يرى الكمال فيما حصله من العلم أن يرى الجاهل بذلك فوق نفسه ؛ و ذلك لِظنه الفاسد المغلوط بأن كل كمال فهو من المسائل التي تلقنها ، فلا يعلم وراء ذلك شيئاً . والله الذي لا إله إلا هو حلقةٌ صادقة و يميناً برةً أن العالم و إن اتدب لخدمة بعض المشايخ فمادام يُفَرِّق بين نفسه في الحاجة اليه و بين غيره من جهال أقرانه ، فهو بعد في تضييع زمانه غير مقبل على شأنه . و لا تفهم هذه المعاني أصلاً إلا اذا صرّت لها بعد التجربة اهلاً . و إن ظننت أنك تصل اليها قبل التجربة ، فأنت بعد ضحكة الشيطان و في مثلك قيل :

وإذا رأى الشيطانُ غرّةَ وجهه      حتى و قال فديتُ من لا يُفلح

### الفصل الثاني والسبعون

< ليس الله قبل الموجودات قبلية زمانية بل قبلية الشرف والذات >

اعلم أن هذه الفصول المعترضه في اثناء الكلام كثيرة النفع ولكن عند الاقلين . و المعجب بعقله و علمه لا يتأثر بها غالباً فلا ينتفع بها ؛ و إذا كان ذكرها عرضاً فالاولى

بى أن اقتصر على القدر المذكور وأقول : قد ظهر أن قول القائل ، العالم قديم بالزمان ، هوس محض ؛ فنظمه فى غاية الفساد . و بعد ذلك فربما يقول : هبني سلمت ذلك فى السموات و الأرض فما تقول فى الموجود الأول : هل كان مسابق الوجود لوجود البارئ تعالى ؟ فإن قلت نعم ، فقد اثبت معه قديماً ؛ وإن قلت لا ، فنفرض الكلام فيه ونقول : إن لم يكن موجوداً ثم وجد ، فلماذا لم يكن موجوداً قبله ، والسبب بكماله موجود ؟ وحين وجد فهل ظهر سبب أم لا ؟ فإن قلت لا ، فهو محال إذ يلزم منه حدوث حدث بلا سبب ؛ وإن قلت نعم ، ظهر سبب ، فظهور سبب معدوم استمر فى العدم على وتيرة واحدة ثم ظهر وجوده محال ، لأن ظهوره فى ذات الواجب محال ولا موجود ثم غير الواجب حتى يثبت وجوده شرطاً كما قلت ذلك فى حق موجود يوجد بعد العدم .

فاعلم أن القبل والبعد وُجداً بعد وجود الزمان ، ولم يكن إذ ذاك إلا قبليّة الذات والشرف ، وقولنا إذ ذاك متشابهة فإنه مشعر بوجود الزمان . وقبلية الشرف والذات بين الواجب الوجود بذاته وبين الموجودات الحادثة منه ، ليس لها حد ومنتهى . فإذا لأقول اصدق من قولنا : أن الله كان موجوداً قبل الموجود الأول قبليّة لا تنهاى ؛ ولعل الآن يتجلى لك حقيقة قوله - عليه الصلوة والسلام - : « خلق الله الأرواح قبل الأجساد بالفى الف عام » وأنه لم يقدّر تلك القبليّة بمقدار متناه من الزمان ، وهذا سرّ عظيم . فالطريق من كل ممكن الى كل ممكن متناه ، والطريق من كل ممكن الى الواجب غير متناه . ولولم يكن كذلك لزم أن يكون ما يتناهى أكثر مما لا يتناهى ، و

ذلك محال . و هذه القضايا من الأوليات التي تدر كها عين المعرفة و طريق ادراكها مُنسدٌ على عين العقل ، فلا نطمعُ بعلمك وبضاعتك المزجاة منه في ادراكها .

### الفصل الثالث والسبعون

< ليس مع الله شيء ولا بعده شيء >

فإذا تحقق من هذا أنه ليس في الوجود موجودٌ يسارق وجوده وجود الواجب، ولا يتصور أن يوجد ايضاً . فلا الموجود الأول ، يسارق وجوده وجود الواجب ، ولا غيره . نعم الواجب يسارق الوجود لوجود كل شيءٍ ومساوقته لما لم يوجد بعدُ عند وجوده ، كما ساوقته للموجود الأول من غير فرق . هذا هو الجواب الحق . واعلم أن العارف اذا نظر بعين المعرفة ادرك لقولنا ، كل موجود فهو مسارق الوجود لوجود الواجب ، بمعنى صحيحاً . ولكن العقل والعلم يمسهما الكلال دون ادراك ذلك .

وعند ذلك يقول العارف : أن الله مع كل شيءٍ و هو مع ذلك قبل كل شيءٍ قبليةً لانتهاهي ويقول : ليس في الوجود شيءٌ هو مع الله ولا بعده ، ولا يتصور ايضاً أن يكون بهذه الصفة شيءٌ في الوجود . و إياك وان تُشكر قولنا ، ليس مع الله شيءٌ ولا بعده ، فتكون اعنى لا تدرك الألوان ولا تؤمن ايضاً بوجودها . فإن ذلك حقٌ وصدقٌ وهو اجلي واظهر لعين المعرفة من الأوليات لعين العقل . فاعلم أن العقل قد يُدرك لقولنا ، أن الله مع كل شيءٍ و قبل كل شيءٍ معنى صحيحاً و لكن ليس ذلك المعنى في شيءٍ مما يُدرك بعين المعرفة . و أما قولنا ليس مع الله شيءٌ ولا بعده شيءٌ ، فذلك مما لا يتصور للعقل ان يُدرك شيئاً من معناه أصلاً . و الاطناب في شرح هذه

القضايا لا يزيد بها الا إباءً و استعصاء على الادراك العقلي ؛ فالأختصار و الأقتصار على القدر اليسير الذي سبق أولى . و لينظر الطالب في الفصل الذي بعد هذا الفصل فإنه كالبنذر لما قبله فر بما يجتنى ثمرته يوماً .

### الفصل الرابع والسبعون

< القرب والبعد على ثلاثة اقسام : حسي و عقلي و روحي >

القرب والبعد على ثلاثة اقسام : القسم الأول يوجد في الزمان والمكان كما يقال : القمر أقرب اليما من الشمس ، وعصر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أقرب الي زماننا هذا من عصر آدم -عليه الصلوة والسلام- . القسم الثاني القرب العقلي ، وعند وجود هذا القرب تبطل فائدة القرب الزماني والمكاني ؛ فيقال : الشافعي مثلاً أقرب الي الصديق الأكبر من ابي جهل وإن كان هو أقرب زماناً ومكاناً من الشافعي . و كل شيئين يوصف أحدهما بالقرب من الآخر أو البعد عنه من حيث الزمان والمكان ، فلا يجوز أن يكون لهما وصف من القرب والبعد العقلي أصلاً إلا من حيث تشابه في اللفظ و توسع في العبارة ؛ إذ لا يجوز أن يقال أن المعنى ، الذي كان الشافعي به أقرب إلى ابي بكر من غيره ، هو أقرب من السماء والأرض أو بُعد عنهما ؛ إذ ليس ذلك المعنى مما تسعه السماء والأرض ، وعند ذلك ينبغي أن تفهم أن لانسبة لشيء من الاشياء ، التي توصف بالقرب الزماني و المكاني ، إلى الله -عز وجل- في القرب و البعد . و لذلك قال -عليه الصلوة

والسلام- حاكياً عن ربه : لا تسعنى سمائى ولا أرضى ولكن وسعنى قلبُ عبدنى المؤمن اللين الوادع .

والقسم الثالث هو القرب الذى يدركه العارفون ولا يتصور العلماء ادراكه اصلاً . ومن الأحكام المستفادة من هذه المعرفة أن يقول العارف : قُرب الله تعالى متساوٍ من كل شىءٍ لا تفاوت فيه بوجهٍ من الوجوه ، فالأجسام و الأرواح متساوية النسبة اليه . وعند ذلك نقول : كل موجودٍ فهو مساوق الوجود لوجود الحق لا فرق فى مساوقة الموجودات للحق اصلاً . واعلم أن الذى وصفناه من القرب و البعد من القسم الأول صحيحٌ بالأضافة الى حاسة البصر ، والذى وصفناه فى القسم الثانى صحيحٌ بالأضافة الى بصيرة العقل ، والذى وصفناه فى القسم الثالث صحيحٌ بالأضافة الى بصيرة العارف ؛ والذى فى القسم الثانى من علم اليقين ، والذى فى القسم الثالث من عين اليقين ، وأما حق اليقين فلم أصل بعد اليه ولا تعثرتُ فى طريقى عليه ، وانا مؤمن به ايمان الأكمه بوجود الألوان . و كما يستحيل للجامد على المحسوسات أن يدرك معنى القرب و البعد المشار اليهما فى القسم الثانى ، فكذلك يستحيل للجامد على العقليات أن يدرك حقيقة القرب و البعد المشار اليهما فى القسم الثالث . فاجتهد أن تؤمن به ايمانك بالغيب « لعل الله يُحدث بعد ذلك امرآ » .

### الفصل الخامس والسبعون

< حقيقة اليوم الآخر >

لعلك تقول: أين أنت من قولك أن هذه الفصول تشتمل على العلم بالله وبصفاته وبرسوله

و باليوم الآخر؟ فقد أطمّنت القول في العلم بالله و بصفاته وفي الطور الذي وراء العقل، وهو الذي يتوقف عليه الأيمان بالنبوة، وأما العلم باليوم الآخر فإنك لم تتعرّض له أصلاً، ولم تذكر في معناه فصلاً. وما بالك لم تجمّ جول شيء من احوال النفس وحقيقة اطوارها في عالمي الملك والملكوت.

فاعلم قبل كل شيء أن اليوم الآخر ليس من جنس ايامنا هذه التي تعرف بطلوع الشمس، لان الشمس تكون مكوّرة يوم القيامة؛ وإنما عبّر عنه باليوم الآخر لضيق العبارة كما عبّر عنه رسول الله - صلى الله عليه و سلم - حيث قال: ألا إن الزمان قد استدار كهيأة يوم خلق الله السموات و الأرض. و كما عبّر عنه في القرآن فقيل: «إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة ايام». وما لم يُبدل الأرض غير الأرض والسموات، فيستحيل للسالك أن يصل الى يوم الدين. فإذا فهمت ذلك فاعلم أن النفس الانسانية لها اطوار كثيرة و تكاد تخرج عن الحصر و التناهي. فما دامت النفس في اطوار مخصوصة، قيل: هي في الدنيا؛ وما دامت النفس في اطوار آخر مخصوصة، قيل: هي في عرصات القبر، والقبر أول منزلة في منازل الآخرة؛ وما دامت في اطوار آخر مخصوصة، قيل هي في عرصات القيامة؛ وما دامت في اطوار آخر مخصوصة، قيل هي في الآخرة.

### الفصل السادس والسبعون

< وجود النفس قبل البدن و خلودها بعد مفارقة البدن >

اعلم أن العقل الانساني لم يدرك من حقيقة النفس إلا ما لزم وجوده من النظر

فى البدن و عوارضه ، و ذلك مثل كونها هدير كة و محر كة ، و هاتان صفتان يشترك  
فيهما جميع الحيوانات . و أما ما أدرك من بقائها بعد انقطاع تصرّفها عن البدن فإنما  
عُرف ذلك من طريق النظر فى الأدرّك العلمى من حيث أن النفس محل العلوم ، وأن  
العلوم لا تنقسم ، فلا يُتصوّر انقسام محلها ، وأن كل ما كان كذلك فلا سبيل اليه للفناء .  
و أما حكمهم بوجودها قبل البدن ، فلم يُتم عليه احدٌ برهاناً واضحاً بحيث لا يتطرق  
اليه شبهةٌ وشك . و كان تقصير العلماء فى ذلك يرجع الى ضيق اللفظ عن اداء حق ذلك  
المعنى . و أما حكمهم بأنها وُجدت مع البدن وأن البدن كان شرطاً فى وجودها من  
علتها الموجبة للوجود فهو خطأ . نعم تغيّر حالها عند خُلو البدن معلوم .

والحق أن النفس كانت موجودة قبل البدن و هذا عندى واضح و لكننى  
لا يمكننى التعبير عنه بحيث لا يبقى فيه امكان شكٍ و مجال اعتراض . و غالب ظنى أن  
كل من ادرك ذلك كان بهذه المنزلة فى العجز عن التعبير عما ادركه . و اعتقادى هذا  
فى النفس لم يحصل لى بكماله من النظر فى البراهين العقلية و المقدمات العلمية ؛ إلا  
أن السلوك العقلى اعانى فيه غاية الأمانة بالمقدمات المذكورة فى كتب النظار ، و  
القدر الذى يمكن ان توسّع به هذه اللمعة أن سبب وجود النفس كان بكمال السببية  
موجوداً قبل وجود البدن ، و كان السبب و كان المسبب معه . نعم تصرّفها فى البدن  
كان موقراً على وجود شروط مخصوصة فلم يوجد إلا بعد وجود تلك الشروط .

## الفصل السابع والسبعون

< تمّة الفصل السابق >

معلوم أن النفس حادثةٌ و باقيةٌ ابداً بعد الموت ؛ وليس ذلك إلا أن سببها يبقى



إبدالاً بآباد . فإنا حصل لك علم يقينى بوجود سببها قبل البدن ، حصل بالضرورة علمك  
بكونها موجودة قبل البدن ؛ ووجود سببها قبل البدن ظاهر فى العلوم النظرية  
إلا أن كمال السببية موهوم غير مقطوع به . وهذا هو القدر الذى حصل لى من طريق  
الذوق و لم يحصل من طريق العلم . فاعلم أن النفس إن كان لا يتصور وجودها من  
السبب الموجب لوجودها إلا شرط التصرف فى البدن ، لنزم أن تنعدم بعد التصرف  
فى البدن .

### الفصل الثامن و السبعون

#### < قبلية وجود الأرواح على وجود الأجسام >

إعلم أن الله - سبحانه - يتعالى و يتقدس عن أن تسع عظمته حضيض الزمان و المكان  
و هذا بعينه حكم الأرواح فإنها ليست اجساماً حتى يتسع الزمان و المكان للاحاطة  
بها . و لما كان الأمر كذلك حكم سيد الأولين و الآخرين - عليه الصلوة و السلام -  
بأن الله - عز وجل - قبل العالم الزمانى و المكانى قبليةً إن قُدِّرَتْ بمقدار من الزمان  
لم يكن متناهياً ؛ و اما الأرواح فقُدِّرَ قبليتها على الأجسام بمقدار أننى ألف عام ؛  
و قد أدركت هذه القبليّة بحمد الله و منته ادراكاً أقوى و أوضح من ادراك العقول  
للاوليات . و أما تقدير تلك القبليّة بهذا المقدار المذكور دون سائر المقادير ، فلم  
تُدرك بعد حقيقته . والله - عز وجل - يُرْشِحُ الباطن لأدراكه بفضله و كرمه و يجعلنا  
ممن يستحق ذلك من جوده الأزلى .

## الفصل التاسع والسبعون

< سبب اختلاف النفوس في تكوينها >

لعلك الآن تشتهي أن تعرف السبب الموجب لوجود النفس . فاعلم أن الحق ، الذي لا ريب فيه أصلاً عند ارباب الفلوب المختصين ببصائر تدرك المعارف التي يقصر العقل عن ادراكها بالضرورة ، هو أن النفوس مختلفة اختلافاً لا يدخل تحت الحصر درجاته ، وأن ذلك الاختلاف ليس كاختلاف الأنواع ولا كاختلاف الأجناس بل اختلاف النفوس وراء ذلك كله .

فمن النفوس .الم يمكن بينها وبين الحق الأول واسطة ؛ وهذه قضية يقصر العلم والعقل عن ادراكها ، فترى المتجدلق عند سماعها يبادر ويقول : كيف يُتصور ذلك والنفس تتغير بانواع مشهورة من التغيرات والله - تعالى - يتنزه عن طرآن التغير عليه ؟ فكيف يجوز أن يكون هو تعالى بذاته من غير واسطة شيء ، سبباً لبعض النفوس ؟ وعن هذا المعنى يُكنى القرآن بقوله : « ما مَنَعَكَ ان تسجد إنا خلقنا بيدى » . واليه اشار قوله - عليه الصلوة والسلام - إن الله خلق آدم على صورة الرحمن ؛ وقوله - عليه الصلوة والسلام - ما خلق الله شيئاً اشبه به من آدم - عليه السلام . و لعلك إذا ادركت وجود الحق حق الأدرارك ، بحيث يحيط بالأزمنة كلها ماضيها ومستقبلها على التساوي ، شممت شيئاً من روائج ذلك .

والكلام في امثال هذه النفوس ليس بجائز ولا ايضاً يتأني ذلك لأحد . وكيف

لا وأقل أحكامها ما ذكرناه، واسماع العقول تمججها و تنبوعن ادراكها؛ فالإعراض عن ذلك الى ذكر ما هو مقبول عند العقلاء قاطبة أولى . فاعلم أن النفوس ، إلا قليلا منها ، توسطت بين وجودها و وجود الأول وسائط كثيرة ، وعدد الوسائط في كل نفس لا يحيط به إلا علم الله أو علم من رشحه لذلك . وهذه النفوس كلها تشترك في كونها مسببة لأسباب غيبة ملكوتية .

### الفصل الثمانون

<علة انجذاب النفس الى البدن >

إنما اختص كل بدن بنفس مخصوصة لكون كل نفس مخصوصة بصفة اقتضت ذلك مع وجود شروط أخر متعلقة بالحركات السماوية . و العبارة ضيقة عن حقيقة تلك الصفة التي اختصت بها كل نفس ، وعن تلك الشروط جميعا؛ ولعله يقل في الخلق من يتصور احاطة علمه بذلك ، لست أعنى العلم الذي يُستفاد من طريق التعليم ، فإن حصول ذلك من تلك الطريق يكاد يكون كالمجال . ولعل انجذاب كل نفس الى بدنها المخصوص بها يشبه انجذاب الحديد الى المغناطيس ، و انجذاب الذهب الى الزئبق ، و انجذاب كل جسم الى حيز مخصوص ؛ وليس في شيء من ذلك عند العارفين شبهة . و إذا كانت العقول عاجزة عن ادراك حقيقة المعنى الذي به ينجذب الحديد الى المغناطيس مع أنه مشاهد محسوس للعقلاء قاطبة ، فأى عجب لو عجزت عن ادراك تلك المناسبات التي بين الأرواح و الأجسام وهي خارجة عن الحصر والحد و العد ؛ و اعلم يقينا أن العارف لا يستبعد أصلا انجذاب كل نفس الى بدنها كما أن العقلاء لا يستبعدون أصلا انجذاب كل جسم الى حيز مخصوص .

الفصل الواحد والثمانون

< اختلاف معرفة الله باختلاف معادن النفوس >

كما أنّ لكل جسم مكاناً مخصوصاً وفيه معنى يُحرّكهُ إلى حيزه ولا يقف به دونه  
فكذلك كل نفس خرجت من معدن مخصوص، واختلاف النفوس من اختلاف معادنها؛  
و الناس معادن كمعادن الذهب و الفضة كما اخبر عنه سيد الأنبياء - صلى الله عليه و  
سلم - وقد خلق الله في كل نفس معنى مخصوصاً يُحرّكها إلى معدنها الأصلية ولا يقف  
بها دونه. هذا هو الحق المشاهد الذي لا ريب فيه أصلاً للمعارف . وعن مثل هذا المعنى  
يُترجم القرآن حيث يقول : « قد علم كل أناس مشربهم ». وحر كات الجوارح آثار تلك  
المعاني التي < عبأتها > القدرة الأزلية في النفوس انماماً للحكمة و اظهاراً لكمال  
اللطيف و الخبرة فالنفوس التي لا يكون بينها و بين الأول واسطة ، تنجذب إلى جنبابه  
طبعاً كاتجذاب الحديد إلى المغناطيس ؛ وهذه النفوس هي العارفة بالله حقاً . وقوله - تعالى -  
« يُحبهم و يحبونهم » كناية عن اهل هذه المعرفة .

و إنما عرفه هؤلاء معرفة حقيقية لانه تعرّف لهم في تجليبه من غير واسطة ،  
فاستغرقوا بكليتهم في معرفته . وقوله - تعالى - : « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ » عبارة عن تعرّفه و تجليبه  
لهم . و قولهم : « بلى » عبارة عن استغراقهم في مشاهدة ذلك الجمال . و رحم الله شيخ  
الاسلام عبدالله الأنصاري فلقد أفصح عن هذا المعنى غاية الأفصاح حيث قال في بعض  
كلامه : الحق أراد في امتناع نعوته و علاؤ عزته أن يُعرّف فتعرّف فعرف ، لا يعلم فيُعبر

عنه ، ولا بسبب فيشار اليه ، ولا بِنِعَةِ فُيُثِبَتْ بها ، بل معرفة وقعت قهراً فأوجبت جمعاً فلم تدع رسماً، فصارت في الرسم ججداً وقامت في الحقيقة حقاً. إلهي تَلَطَّفْتَ لأوليائك فعر فوك ولو تَلَطَّفْتَ لأعدائك لما جحدوك .

فهذا حكم النفوس التي لم يكن بينها وبين الأول الحق واسطة، فعرفته حق المعرفة لأنه تعرّف لها بلا حجاب . و أما النفوس التي كانت بينها وبين الأول الحق واسطة فإنما تعرّف لها من وراء حجاب ، فكانت هذه المعرفة قاصرة عن معرفة المصطفين في الصفة الأولى .

### الفصل الثاني والثمانون

< استغراق هوية الكاتب المجازية في هويته الحقيقية >

لما بلغت هذا الفصل أشرقت سلطنة الجلالة الأزلية ، فتلاشى العلم والعقل وبقى الكاتب بلا هو ، لا بل غشيته الهوية الحقيقية فاستغرقت هويته المجازية . فلما ردّ جمال الأزل عقله وعلمه ونفسه عليه ، كان لسانه يتلجلج بقول الشاعر :

فكان ما كان مما أنت أذكره      فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر

### الفصل الثالث والثمانون

< جنين العاشق الى وطنه الاصلى >

كانت الدموع ملأت المحاجر والقلوب بلغت الحناجر، وبرحت بالعاشق صبوته و عظمت حسرته و قال : الى متى الهذيان الفارغ و أنى ينفع ذكر المعشوق والعاشق

فى سجن الفراق ؟ ! فلما اشتدت بالمسكين حرّة روعه وانفق الى وطنه الاصلى رجوعه فبقى القلم وقد اعوزه الكاتب .

### الفصل الرابع والثمانون

< المثل بين يدى سلطان الازل >

ورد عليه من حضرة السلطان أمرٌ جازم بالدخول عليه ؛ فطار الطائر الى عرشه الاصلى ومعدنه الفطرى و ترك القفص وجرى بينه وبين السلطان و هو على يده مالا يتصوّر ذكره . فلما أذن له فى الأصراف استأذن فى حكاية حاله للسالكين فى حضيض المكان و الزمان ، فأذن له فى ذلك . فلما عاد الى مستقرّه من السجن ، راجع ما كان بصدده و كتب هذه الفصول المشتملة على حكاية حاله وما جرى عليه .

### الفصل الخامس و الثمانون

< انوار المعرفة >

إن خطر بيالك أنه ما الذى جرى ؟ نوديت من وراء حجب الغيب : تأدب ! ما للعميان و السؤال عن حقيقة الألوان ؟ فوالذى بيده الملك الملكوت ، وتحت سلطانه العظمت و الجبروت ، لو ظهرت مما جرى بيننا ذرّة فى عالمكم هذا لتلاشى العرش و الكرسي فضلاً عن السموات و الأرضين .

## الفصل السادس والثمانون

< الاعراض عن الدنيا ضرورية لتذوق المعارف >

إياك ثم إياك أن تستشرف للطمع في ادراك تلك المعاني من هذه الألفاظ ،  
فتتصرف فيها بعقلك المزخرف و فطنتك البتراء ! و اقبل منى هذه النصيحة مجّانا ؛  
ولا اراك تقبل و عذرك عتدى واضح في ذلك . فلقد شاهدتُ من ممارسة العلم عجائب  
لا استنكر معها ذلك لامتك ولا من غيرك من اهل النظر . نعم ان شئت ان تصل الى  
حقيقة ذلك بطريق الذوق ، فدع الدنيا النجسة بما فيها من القاذورات للمُقبلين  
عليها و المتوجهين بهمهم الدنيّة اليها ؛ و أما الآخرة فلا تُعجُ فيها غيباً . فالعاشق  
يكفيه الوقوف دون الوصول الى معشوقه عاراً وشيناً . لعمرى : « منكم من يريد الدنيا  
ومنكم من يريد الآخرة » ولكن أين أنت من قوم نبذوهما وراء ظهورهم فأنسى عليهم  
القرآن الكريم و قال : « يريدون وجهه » . فإنك إذا فعلت ذلك ألحقتك الجود الأزلي  
و الكرم السرمدي بقلب لا يتعلق بشئ من السموات والأرض ، ولا يشفى غليل صدرك  
إلا جمال الأزل وهوماء الحياة .

## الفصل السابع والثمانون

< اشرف النفوس هي التواقة طبعاً الى الله >

ما أصدق المثل السائر : الكلام يجرُّ الكلام ! فقد انتهى بنا الكلام في النفوس

و احوالها ، الى عوالم لانهاية لعجائبها ، و بحارٍ لاقيمة لجواهرها ، فنرجع الآن الى المطلوب المقصود ونستوعب في بيانه غاية المجهود ونقول : كما أن الجسم إذا تحرك بطبعه الى حيزٍ مخصوص فلا يُبدَّ وأن تكون حر كته اليه من اقرب الطرق ، وهو الخط المستقيم الذي لا يتصوّر فيه انحراف اصلاً و هذا معلوم قطعاً بالبرهان اليقيني و مشهورٌ عند من يتصفح امثال ذلك ، فكذلك كل نفس من هذه النفوس ؛ فإنها تتحرك الى حيزها الأصلي ، و هو المعدن الذي خرجت منه ، من اقرب الطرق ، ولا تلتفتن الى عوائق تعوقها في الطريق عن الحركة و تمنعها عن الأنجذاب ؛ فإن ذلك غير قادح في غرضنا . هذا فأشرفُ النفوس إذا ما يتحرك الى الله ، طبعاً لا تكلف فيه ، على الصراط المستقيم الذي هو اقرب الطرق . فإن وقف القدرُ ببعض النفوس في الطريق على شيءٍ فذلك خارج عن طبيعتها الأصلية ، ولا اكثرث بامثاله .

و هؤلاء ماداموا في الطريق فتجدهم أخفاء الألسنة بقوله : « إهدنا الصراط المستقيم » كما اخبر عنه في حق الخليل خاصة في القرآن حكايةً عنه أنه قال : « إني ذاهب الى ربي سيهدين » . ولاشك عندك أن المغناطيس إذا كان يجذب الحديد الى نفسه من اقرب الطرق ، فقد هداه الصراط المستقيم . و لما كانت هذه النفوس أشرفَ النفوس كلها قال الله تعالى : « و من أحسن ديناً ممن أسلم وجهه الى الله و هو مُحْسِنٌ » و اتبع ملة ابراهيم حنيفاً و اتخذ الله ابراهيم خليلاً .

### الفصل الثامن و الثمانون

> بيان الالفاظ المستمدة من عالم الشهادة لعاجزة عن الدلالة على حقائق عالم الغيب <

هذه المعاني التي اوردت في هذه الالفاظ بعيدة جداً عن ظواهر مفهوماتها ،



فإنها وُضعت للدلالة على معانٍ غير هذه المعاني المقصودة بها؛ فمن سمعها فلا بُدَّ وأن تسبق إلى فهمه عند سماعها، مفهوماتها الخاصة بها بالضرورة. وإنما يشتم مبادئ روائجها قليلاً من فحول العلماء الناظرين في العلوم الحقيقية. وعذري في ذلك واضح، فمن أراد أن يفهم الأُكْمه كيفية ادراك الألوان أو العنين حقيقة لذة الوقاع، لم يكن له بُدٌّ من أن يقول للإنسان معنى يُدرك به الأشياء كما يُدرك بسائر الحواس، ومع ذلك فتلك المدركات لا تُناسب المذوقات و المشمومات و المسموعات و المعقولات. وهذا يعسر على الأُكْمه التصديق به؛ وإن اعترف بلسانه و قال: قد اعتقدت ذلك اعتقاداً يقيناً، علمنا أن اعترافه إيمانٌ بالغيب، وأن اعتقاده لا بُدَّ وأن يكون مُرَكَّباً من خيالات فاسدة قد عثثت في دماغه. وكذلك إذا قيل لنا أن في الآخرة أموراً لا تُناسب المحسوسات ولا المعقولات، عسر علينا التصديق بذلك إلا أن نُؤمن بها بالغيب إيمان الأُكْمه بالألوان، إلى أن نصل إليها ذوقاً. ولهذا المعنى رأيتُ الأختصار في ذكر أحوال النفوس و أطوارها أولى؛ ولعلَّ القدر اليسير الذي ذكرته كان الأولى أيضاً تركه؛ فإن الأكثرين يستبعدون ذلك فينكرونه، و يتضررون بإنكاره.

### الفصل التاسع والثمانون

< إن العقل لعاجزٌ عن ادراك أمور الآخرة >

كأنك بعقلك الضعيف تبادر إلى التكذيب بقولنا: أمور الآخرة لا تُناسب المحسوس ولا المعقول، و تقول: كفى ببطلان هذا القول شاهداً حكم العقل بطريق

بقينى حاصر : أن الموجود ينقسم الى المعقول و المحسوس ؛ فإن كانت امورا الآخرة موجودة فكيف يجوز لقائل أن يقول بأنها لاتناسب المعقول ولا المحسوس ؛ وعليك الآن أن تصبر صبراً جميلاً حتى أُبين لك موضع الخلل فى ذلك . ثم عليك بعد ذلك أن تُراجع نفسك و تطالبها بالانصاف حتى لا يستولى عليك فى اعتراضها جهل بما تسمع .

فاعلم أن الأُكمه ايضاً تنحصر الموجودات عنده كلها فى المحسوس والمعقول ؛ وكذلك تنحصر عنده من وجوه كثيرة ، كإحصارها فى القديم و الحادث ، و السبب و المسبب ، و الناقص و الكامل ؛ ومع ذلك فإذا قيل له أن الألوان لاتناسب المعقول ولا المحسوس ، كانت هذه القضية صادقة إذا اردنا بالمحسوس ما يُدركه بالحواس الأربعة . و الأُكمه قد يكذب بها و يقول : إذا كان الوجود بكليته منحصراً فى المعقول و المحسوس ، فكيف يجوز أن لاتكون الألوان محسوسة ولا معقولة مع أنها موجودة ؛ وليس لتكذيبه هذا مستندٌ إلا أنه حضر المحسوسات فى مدرجات الحواس الأربعة .

فكذلك إذا قلنا : امورا الآخرة لاتناسب المحسوس ولا المعقول ، فكذب به الجاهدون ، لم يكن لتكذيبهم مستندٌ أصلاً إلا أنهم حصروا المحسوسات فى مدرجات الحواس الخمس ؛ وليس ذلك بلازم البتة . وحصُر الموجودات كلها فيما يدرك بالحواس والعقل ايضاً ، ليس بلازم ، فكلم من شىء يعجز العقل عن ادراكه ، ويكون كالوهم إذا عجز عن ادراك كثير من العقليات الصرفة الغامضة ؛ و ذلك لا يدل على أن كل ما

يدركه الوهم غير صادق . وكذلك البصر يدرك المحسوسات ، و يكون حكمه فيها منقسماً إلى الصادق و الكاذب ، فحكمه بأن هذا الجزء مثلاً مقداره كذا ، حكم صادق ؛ و حكمه بأن الشمس مقدارها مقدار مجن ، و أن الكواكب مقدارها مقدار دنائير ، حكم كاذب . وليس لذلك مستند إلا أنه لا يدرك البعيد كما يدرك القريب . فكذا فاعلم يقيناً أن حكم العقل بأن الله تعالى موجود و واحد و قديم وخالق ، حكم صادق قطعاً ؛ و حكمه بأن كل موجود فلا بُدَّ و أن يدركه كأمر الآخرة ، حكم كاذب قطعاً . و اعلم بعد ذلك أن الله عز سلطانه - أبعد عن بصيرة العقل من الشمس عن بصر الحس بدرجات لا تتناهى . فلغاية بعده و كمال اشراقه ، يستحيل للعقل ادراكه . فبصيرة العقل بالأضافة إلى ادراكه ، كالخفافيش بالأضافة إلى ادراك نور الشمس ؛ و بصيرة العارف بالأضافة إلى ادراكه ، كالأُنسان بالأضافة إلى ادراك قرص الشمس . و حيث الشمس فلا يتصور وجود الخفاش ، ولا وجود الأُنسان من حيث الحقيقة .

### الفصل التسعون

< ينبغي للأُنسان أن يؤمن بأسرار الآخرة إيمان الأكمه بالألوان >

الحق الذي لا شك فيه أن علم الساعة مردود إلى الله - سبحانه - كما قال : « إليه يُرَدُّ علم الساعة » ؛ و ليس لك أن تؤمن بشيء من أسرارها أصلاً إلا إيمان الأكمه بالألوان . فتأمل أولاً أنه كيف ينبغي للأكمه إذ آمن بالألوان من طريق الغيب ، أن يقطع نظره عن الحواس الأربع و مدركاتها ، حتى يتصور له أن يؤمن

بالغيب من غير تشبيه و تمثيل ؛ و طالب بعد ذلك نفسك بمثل هذا الأيمان حتى تكون مؤمناً بالغيب و موقناً بالآخرة كمال قال - تعالى - : «الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلوة و مما رزقناهم ينفقون و الذين يؤمنون بما أنزل اليك و ما أنزل من قبلك و بالآخرة هم يوقنون» . و إن لم تجد نفسك متحلياً بمثل هذا الايمان ، فتحقق أن الشيطان قد حوَّلك و دَلَّك بحيل غروره .

### الفصل الواحد والتسعون

< الشروط اللازمة لانفتاح عين البصيرة >

ينبغي لك أن تتأمل تأملاً شافياً ، إن كنت من اهل الطلب ، فيما وظفته عليك من شروط الأيمان بالغيب ؛ و تكرر فيه نظرك مرة بعد أخرى ، حتى يصير التصديق لك طبعاً بحيث لا تحتاج معه الى النظر في المقدمات ؛ و حينئذ يصير باطنك شديد الاستعداد لأن يفيض عليه من الله - عزوجل - نورٌ يُشمرُ انشراح الصدر و سعة الحوصله كما قال الله - سبحانه و تعالى - : «أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ» . و مهما انشرح صدرك للإيمان بالغيب و فاض على باطنك نورٌ لم تكن تشاهد مثله قبل ذلك ، فاعلم أن ذلك أثرٌ من آثار الطور الذي يظهر بعد طور العقل . و أستوعب جهدك في الطلب ، فإنه يكفيك في الوجدان ؛ فَمَنْ طَلَبَ وَجَدَ ، وَجَدَ . و اوحى الله سبحانه و تعالى الى داود - عليه السلام - : يا داود من طلبني وجدني ؛ و من طلب غيري لم يجدني . و هذا يلزم منه بطريق البرهان أن من طلبه لا يتصور منه طلبٌ غيره . و اللى مثل ذلك يشير قوله - صلى الله عليه و سلم - : من أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له .

## الفصل الثاني والتسعون

< مدركات الطور الذي وراء العقل >

مدركات هذا الطور تنقسم بوجه من الوجوه : الى ما نسبته اليه نسبة الأوليات الى العقل ، والى ما نسبته اليه نسبة الغوامض النظرية التي لا تُدرك إلا بتوسطها اليه اعنى الى العقل . وهذه القضية عسير إدراكها ، صعب منالها ، فلا تطمع فى الوصول إليها ؛ واجتهد ان تُصدق بها تصديقك بالغيب ، لعل الله يرزقك الوصول اليها فتستغنى بالذوق عن السماع .

## الفصل الثالث والتسعون

< مدركات هذا الطور اسرار على العقل >

مدركات هذا الطور اسرار على العلم التمييزى و على العقل الأنانى ؛ كما أن مدركات البصر اسرار على حاسة الشم ، و مدركات الوهم اسرار على قوة الخيال والحفظ ، و مدركات اللمس اسرار على قوة السمع و الذوق ، و الأوليات اسرار على الحواس كلها . و التحقيق فى ذلك أن السر والعلانية إسمان اضافيان ؛ فرب شىء هو سر على مدرك ، وهو علانية بالأضافة الى مدرك آخر ؛ و الأوليات علانية عند العقل ، و اسرار عند الحواس . و اكثر ما يُطلق عليه اسم السر فى لسان الشرع و على السنة الصوفية ، فهو سر عند العقل الأنانى و سر على الحروف و الأصوات . و كل ما لا يتصور عنه العبارة ، فهو سر على العبارة ؛ ولهذا المعنى قال - عليه الصلوة والسلام - : إذا ذكر القدر فأمسكوا ؛ يعنى أن القدر سر على الكلام البشرى و النطق الأنانى ،

فلا يُتصرَّر عنه عبارةً أصلاً . ولذلك قال سهل الشُّتري -رضي الله عنه- : الكلام في القدر عند المخالف بدعة . وتحقِّق هذا الفصل فإنك تحتاج إليه فيما بعد .

### الفصل الرابع والتسعون

< امور الآخرة اسرارٌ على العلم البشري >

امور القيامة كلها اسرارٌ على العلم الأنساني ؛ فلا يتصوَّر ان يحيط بها احدٌ ، مادام في الدنيا ولم يتخلَّص عن أسر الوهم و تغليط الخيال . و قول الكفار «متى هذا الوعد إن كنتم صادقين» سؤالٌ عن شيءٍ يستحيل الجواب عنه على موجبهِ ؛ فإنَّ أمر الساعة إذا كان ككلمح البصر أو هو أقرب ، و كان متى سؤالاً عن الزمان ، استحال جواب السائل عنه . و هو كقول الأُكْمه إذا وصفنا له المبصرات المتلوّنه فقال : كيف تُذاق هذه المبصرات ؟ أو كيف تُشم هذه المبصرات ؟ فالجواب الحق في ذلك أن نقول : العلم بالمبصرات عند البصير ، فإن تخيّل شيئاً في معنى ما وصفناه وحكيّناه له ، على سبيل المقايسة ، أخطأ فيه بالضرورة .

فاذا الجواب الحق مع الكفار إذا قالوا « متى هذا الوعد » أن يقال لهم : العلم في ذلك عند الله . فَمَنْ رجع الى الله و حُشر اليه ، كان عنده ؛ فلا بُدَّ وأن يعرف حينئذ حقيقة الساعة بالضرورة لأنه عنده ، «وعنده علم الساعة» . فاذا بالضرورة لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول : لا إله إلا الله ، كما اخبر عنه سيد الأولين و الآخرين . فان من كان بعدُ على وجه الأرض ، لم يُحشر بعد الى الله -سبحانه وتعالى- . فاذا من كان « في مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر » فقد قامت له القيامة . وكذلك المجرمون

وإن كانوا « ناكسي رؤسهم » فإن القيامة في حقهم قائمة<sup>١</sup> لأنهم عند ربهم . ولعل من يقول: أبيت عند ربي « يُطعمني ويسقين » ، يصدق منه أن يقول: بُعثت الساعة كهاتين إن كادت لتسبقني فسبقتها أنا .

واعلم أن الساعة من داخل حجب السموات و الأرض؛ و منزلتها من تلك الحجب منزلة الجنين من رحم أمه؛ ولذلك لا تقوم إلا « إذا زلزلت الأرض زلزالها » ، وانشقت السماء واندثرت الكواكب، و كورت الشمس و سُيرت الجبال و عُطيت العِشار، « و بُعثر ما في القبور و حُصِل ما في الصدور » . و على الجملة « فُتبدل الأرض غير الأرض و السموات » . فما دام السالك خارج حجب الأرض و السموات ، فلا تقوم له القيامة ؛ فإنما كانت القيامة داخل الحجب ، لأن الله داخل الحجب و عنده علم الساعة ؛ فقوله - عليه الصلوة والسلام- لا تقوم الساعة و على وجه الأرض من يقول لا إله إلا الله معناه : أن الرجل مادام خارج الحجب ، فالقيامة سر على عامه ، فإذا قطع في سلوكه تلك الحجب و تبجح في حضرة العندية ؛ صار سر القيامة عنده علانية . و لهذا السبب لم يجز أن يرى الله أحد أصلاً في الدنيا ، لا نبي ولا ولي . و أمّا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فإنما رآه ، بعد أن قطع الحجب ليلة المعراج . و أمّا قيل لموسى - عليه السلام- « إن الساعة آتية لا ريب فيها » . لا جرم لما طلب الرؤية قيل له : « لن تراني » . و اعلم أن محمداً - صلى الله عليه وسلم- إنما كانت القيامة عنده علانية حين قطع حجب

السموات والأرض و نفذ من اقطارها ؛ فلما رجع الى مُستقرّه في خارج الحجب ، كان ذلك العلم عنده سرّاً كما كان قبل ذلك ؛ وإنما كان علانية له من وراء الحجب .  
و على الجملة فالسر سرٌّ أبداً حيث هو سرٌّ ، و العلانية علانيةٌ أبداً حيث هي علانيةٌ لا يتغيّران إلا بتغيّر احوال السالكين . و الى مثل ذلك أشير بقوله - تعالى - :  
« يسألك عن الساعة أيان مرساها ، فيم انت من ذكراها » أى إن كان سرُّ القيامة علانيةً لك ليلة المعراج ، فما الذى بقى على ذكرك و فى علمك ؛ و من تصرف ببضاعة العقل فى هذه الألفاظ ، فقد ظلم نفسه . و إياك يا مسكين أن تدع خاطرك يحوم حول التكذيب بذلك أو التشكك فيه ، فتكفر بما انزل الله على انبيائه . فلولا أنت و امثالك من العميان لما خوطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بقوله - تعالى - :  
« و كذبَ به قومك و هو الحق » .

### الفصل الخامس والتسعون

< هل ينبغي لكل عاقل ان يصل فى الدنيا الى الطور الذى وراء العقل >

فإن قلت فهل تقول : أن كل عاقل فلا بُدَّ وأن يصل الى الطور الذى وراء العقل ، كما أن كل طفل رضيع فلا بُدَّ وأن يصل الى طور التمييز إذا حان وقته ؟ فاعلم أن الأطوار كثيرةٌ و لا بُدَّ وأن يصل كل واحدٍ من الخلق الى طور ما وراء العقل ، و إن كان بعد الموت ؛ فأما أن يصل الكل الى اطوارٍ ممكنة فى حق البعض ، فلا يجوز ؛ لا بل الواجب الحق أن يصل واحد من الخلق الى اطوار كثيرة وراء العقل وهو بعد فى دنياه



غير متجرد عن جلباب قلبه ، ولا يتصور لغيره الوصول الى اكثرها ، لافى الدنيا ولا في الآخرة . وهذا حقٌ وصدقٌ يشاهده العارفون ببصائرهم ، كما يشاهد العقلاء أن العشرة اكثر من الواحد . والغالب على من لم يُقدّر له الوصول الى الطور المشار اليه أن يُصرَّ على التكذيب بوجوده ويمرت عليه الى أن ينكشف عنه الغطاء كما اشار اليه القرآن في حق الكفار حيث قال : « فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ . أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا » . و من كان حاله التصديق بأمثال ما حكيناه طبعاً من غير تكلف ، فلا بُدَّ وأن يكون قد رزق شيئاً من ذلك .

### الفصل السادس والتسعون

< علاقة العقل بالأطوار التي وراء العقل >

لا شك أن العاقل يستدل بمشاهدة كل بدنٍ على نفسه ؛ كما يستدل بمشاهدة بدن الفرس و الحمار والقرد والبعير و الإنسان ، على تفاوت الأنفس المتصرفة في تلك الأبدان . و يسهل عليه ادراك الفرق بين الأبدان التي هي بعد في تصرف نفوسها ، وبين الأبدان التي فارقتها نفوسها بالموت . فكذلك قاعلم يقيناً أن العقل الأنساني للطور الذي وراءه ، بمنزلة البدن للنفس ؛ و العارفون الكاملون في المعرفة ، يستدلون بمشاهدة قوالب العقول على تفاوت ارواح الأطوار الكامنة فيها كمنون النار في الحجر ؛ و يسهل عليهم ادراك الفرق بين عقلٍ عنيّ فيه أطوارٌ كثيرةٌ و بين عقلٍ لاشيء فيه من تلك الأطوار ، بل هو كقالب انقطع عنه تصرف النفس .

## الفصل السابع والتسعون

< العقل ضمن امكانيته ميزان صحيح >

إذا أخذ في وداعك الطمع البارد الذي يستولى على النظار من العلماء في الوقوف على حقائق جميع الأشياء ، وتجلّى لك حقيقة قوله - عليه الصلوة والسلام - : عيلكم بدين المعجّز ، فاعلم أن أصبح هذا الطور قد تنفس ؛ كما أن ابن المهدي إذا صار بحيث يدرك الأوليات العقلية ، فقد طلع له صبح عقله . واعلم أن مثل العلماء في طمعهم ذلك مثل رجل شهد الميزان الذي يوزن به الذهب ، فطمع في أن يزن به جبلاً مثلاً ، و ذلك محال ؛ وهذا لا يبدل على أن الميزان ليس بصادق في احواله واحكامه .

واعلم أن العقل ميزان صحيح و احكامه بقينية صادقة لا كذب فيها ، وهو عادل لا يتصور عنه جور أبداً ؛ ومع ذلك فإذا طمع العاقل أن يزن به كل شيء ، حتى امور الآخرة و حقيقة النبوة و حقائق الصفات الأزلية ، كان ذلك طمعاً منه في محال . واعلم أن هذا الطمع ينمحق قليلاً قليلاً عند اشراق نور الطور الذي وراء العقل ، كما أن نور الكواكب ينمحق قليلاً قليلاً عند طلوع الصبح . و فرق بين أن يودّعك الطمع اضطراراً ، و بين أن تودّعه أنت اختياراً ؛ و هذا مزلة القدم فخذ منها حذرک . فوداع هذا الطمع ليس الى اختيارك حتى تودّعه متى شئت ، بل هو موقوف على طلوع الصبح المشار اليه ؛ و انت مضطر فيه شئت او ابيت . فانمحق هذا الطمع بالكلية موقوف على اشراق نور الشمس .

## الفصل الثامن والتسعون

< المعرفة انعتاقٌ من اسر الزمان و المكان >

إذا صرت بحيث يَقلُّ أنسك بأدراك الغوامض العقلية من طرق البراهين الصادقة القطعية ، حتى يكون أنسك به مثلاً انس النظار المتبحرين في حقائق العلوم بأدراك المسائل المظنونة ، فلعل وقتك هذا وقت الإسفار . فلازم سلوك الطريق ، فلعل الشمس تطلع لك فتشاهد جمال الفطرة المذكورة في قوله - تعالى - : « فطرة الله التي فطر الناس عليها » . و حينئذ تنفك رقتك من اسر الزمان و المكان ، و يصير تحت قدمك كل ما كان عليه و ضُرُ الحدنان . وعند ذلك تُبدلُ لك خِلمة الأجتباء ، ويكون ذهابك الى الله - تعالى - طبعاً لانك لست فيه كما قال - عليه الصلوة والسلام - : أنا واتقياء امتي براءٌ من التكلف .

## الفصل التاسع والتسعون

< الطيران الى عالم الازلية >

إذا أوتيت رشداً و برزت لك الأمانة من خدرها ، و هي الخزانة النبوية ، فنفذت من أقطار السموات و الأرض ، و استدارك الزمان كهياة يوم لا يوم بعده ؛ فحينئذ تطلع شمسك و يحسدُ غدك أمسك ؛ و توجه وجهك لفاطر السموات و الأرض ، و تُقبل في مناهل الحي القيوم على شرب ماء الحياة ؛ و تخرق الآن من قلبك خرقاً

الى ربك ، وهو طريق طيرانك الى الأزل ، فلا تزال شموس الأزلية تشرق عليك متى شئت . وأقلّ علامات الأشراف ان تتلاشى فيه إذ يستحيل للعاشق أن يصل الى معشوقه إلا بعد تلاشيه؛ فلانظنن أن الوصول يحتمل زحمة الوجود . وهذا لا يتصور بيانه فإنه يجاوز حدود العلم و العقل .

### الفصل المائة وخاتمة الكتاب

< الشروط اللازمة لمن يريد الاستفادة من مطالعة هذا الكتاب >

فهذه تسعة و تسعون فصلاً ، وقد اكملتها بهذا الفصل المائة . ونعمت عدة للطالب اذا سلك طريق العلم و حصل منه مقصوده ، فلم تقف به همته العلية بل طالبتة بالطلب لما وراء ذلك نفسه الزكية . فهذا هو القدر الذي امكننى العبارة عنه مما انكشف لى بعد الفراغ من تحصيل العلم .

هذا جنائى و خياره فيه      اذ كل جان يده الى فيه

**خاتمة لهذه الفصول :** اعلم أن هذا الكتاب قليل الجدوى الا لمن اطال نظره

فى الحقائق و كثر تعبته فى طلبها حتى تبجر فيها . ثم لا يكفيه ذلك إن لم يجد نفسه متشوقة الى شىء آخر وراء العقل والعلم ؛ فمن لم يكن فى باطنه هذا التشوق ، فليعاود مطالعة هذا الكتاب مرة بعد اخرى ، فالغالب أنه يظهر ذلك فيه . فإن شغلته صفة مذمومة عن التكرار فى مطالعته ، لم يظفر به . و الصفات المانعة عن ذلك كثيرة ، و الوقت لا يتسع لشرحها فقد غشيتنى الملل . وهذا هو عذرى فى كل فصل لم أوفه حقه ، فى

استيفاء المقدمات التي يتعلق النظر في ذلك الفصل بها ؛ فقد صدّني عن ذلك انجذاب القلب الى ما هو أهمُّ منه بكثير . نعم وقد املتُ ذلك لجماعة لم أربهم حاجة الى ما وراء ذلك من المقدمات ، فأرجزت القول لهذين المعنيين .

ومن طمع أن يحيط حق الأحاظة بحقائق المعاني المذكورة في هذه الفصول بمجرد مطالعته مرة أو مرتين أو أكثر ، فقد طمع في مجال ؛ إنما حق لمن يتصفحها ان يُكبَّ طول الليل والنهار على ترديد النظر و تكرير التأمل فيها ، حتى تعلق كل كلمة على خيالها بحفظه . ثم يصير ما يتفهّمه منها بذراً لفهمه الحقيقي . ولا يتأتى ذلك إلا بكثرة الممارسة والصبر عليها ، على تعاقب الليل والنهار . ومهما لم تكن ارض القلب سبخةً فلا بُدَّ وأن تقع فيها هذه المعاني وقوع البذر في الأرض الطيبة النقية ؛ ويثمر له ذلك عن قريب إن أحسن القيام على تعهده بسقى الماء في وقته ، وحفظه عن الآفات العارضة لأمثاله وغير ذلك . فمن وجد في نفسه نفرةً عن الصبر على ذلك ، أولم يكن بالصفة المذكورة في العلم النظري ، فليهجّر مطالعة هذا الكتاب ، فلعل عمل رجالٍ و كلِّ ميسرٍ لما خلق له . وما أنصف القائل حيث قال :

إذا لم تستطع امراً فدعه      و جاوزه الى ما تستطيع

فقوة كل طائر على قدر حوصلته «وقد علم كلُّ أناس مشربهم» . وهل رأيت

الكناس قطُّ يُزاحم الملوك في سلطانهم ؟ هيهات هيهات !!!

فكلُّ طريق أتاه الفتى      على قدر الرجل فيه الخطى

والحمد لله الذي تَمَّ الصالحات بنعمه ، وتدلّ ذرات الوجود على علمه وقدرته  
وحكمته ؛ والصلوة على رسوله الذي طلعت شمسُه على الآفاق فاشرقت بنورها غاية  
الأشراق ، محمد خير الخلائق المستمر على احمد الطرائق ، وعلى آله مصابيح الهدى  
و ينابيع الجود والذرى ، وعلى اصحابه الذين هم كالنجوم الزاهرات وازواجه  
الطيبات الطاهرات .

## \* «نبذة عن حياتي»\*

الأب عفيف عسيران

وُلدتُ في صيدا سنة ١٩١٩ وسُجِّلَ إسمي على ورقة مضمومة إلى القرآن أحمد عفيف. بدأتُ المدرسة في المقاصد في صيدا، ثم في المدرسة الحكومية الابتدائية «الرشدية»، وقضيتُ أربع سنوات التكميلية في مدرسة الفرير المريميين. كنت مولعاً بالرياضة على أنواعها وبالكشفية وبالانحرافات والاستهتار والهوس السياسي. أخفقتُ في الشهادة التكميلية سنة ١٩٣٨ فاستيقظتُ من غفلتي وإهمالي وكسلي في تحصيل العلم. والتحقت بكلية المقاصد في بيروت. سمح لي الأستاذ عبدالله المشنوق، مدير الكلية وأستاذ الأدب، الالتحاق بصف البكلوريا القسم الأول، ثم حصلتُ على البكلوريا القسم الثاني سنة ١٩٤٠ فحظيتُ بمنحة لمتابعة دروسي في الجامعة الأمريكية. فقضيتُ ثلاثة أشهر تعلمتُ أثناءها مبادئ اللغة الانكليزية إذ كنت أجهلها تماماً. تَبِعْتُهَا ستان حصلتُ بنهايتها على درجة في

\* نصّ مكتوب بخط يد الأب عفيف عُثْر عليه في دُرج مكتبه بعد وفاته.

الفلسفة سنة ١٩٤٣ .

ثم عُيِّنْتُ موظفاً في وزارة الاقتصاد وألحقتُ في مكتب الشؤون الاجتماعية، وبقيت على اتصال بمحيط الجامعة الأمريكية أحضر *M.A.* في الفلسفة .

عشتُ ملحداً في المقال والحال طيلة دراستي الثانوية والجامعية، وقد اتَّخذتُ من دراستي الفلسفة الكنتية *Kantienne* سنداً لتبرير إلحادي بالله وشكوكي في مقدرة العقل على معرفة الماورائيات . تحررتُ في أواخر ١٩٤٣ من شكوكي وانكشف لي أن العقل قادر على معرفة الله . فإذا ما تأمَّلَ بإخلاص في الموجودات جزم بأن الموجودات الجائزة ونظامها القائم تشهد بالضرورة على موجدها الواجب الوجود العاقل القدير الخ . . .

توجَّهتُ لله بالمناجاة والصلوات طالباً المزيد من معرفة الخالق : من أنت ربي وإلهي ! لماذا خلقتني وكيف تريدني أن أعيش في هذه الحياة الدنيا ؟ اتَّضح لي ضرورة الاستعانة بتعاليم الأنبياء ، فهم المرسلون الأمناء على ما أوصى الله لهم ليلبغوه للناس . فاخترتُ الإسلام ديناً لأنه جامع لتعاليم الأديان السماوية وأن محمداً خاتم النبيين . باشرتُ بممارسة فرائض الإسلام بصدق وإخلاص وتأمَّلت كثيراً في القرآن وتفاسيره والسنة والسيرة وكتب المتصوِّفين والفلاسفة والمتكلمين والمتعبدين . صممتُ شهر رمضان في صيف سنة ١٩٤٤ وقضيت أسبوعاً في رياضة روحية مغلقة في دير اليسوعية في بكفيا ، وكان أخ يؤمّن لي السحور وهو الأب سامي خوري .



كنت أصلي في جامع قريب من الجامعة الأمريكية أو في بيت  
بالجامعة وضعه تحت تصرفي صديق حميم. هناك كنت أعتكف  
بعد العودة من عملي في وزارة الاقتصاد أو الجامعة.

وفي ليلة بينما كنت أصلي وفي السجدة الأخيرة كنت أردد  
بنشوة «ربّي، زدني علماً بك وإيماناً»، وإذا برجل قدماه قرب  
رأسي وقامته ملأت الأرض والسموات. لم أر قدميه وقامته  
بعيني إنما أحسستُ به بكل كياني عين واحدة شاخصة به.  
أحسستُ بقدرة لا متناهية تمسكني وتمسكن الكون.

كان يربطني بفتاة حبّ صادق عفيف منذ ١٩٤٠، وذقتُ من  
الهناء والسعادة أكثر ما يمكن أن تعطيه هذه الدنيا الفانية. وكنا  
متفقين على الزواج القريب، ومنذ تلك الليلة فُطم قلبي ووعدتُ  
ربّي بأن أكرّس له جسدي وروحي.

وفي أواخر ١٩٤٤ انكشف لي أن تعاليم القرآن تناقض  
تعاليم الانجيل، وأن محمداً يرفض الاقرار بالوهية المسيح  
وصلبيه وموته وقيامته، كما يرفض الايمان بالإله الواحد المثلث  
الأقانيم، كما يرفض الاعتراف بوجوب الاقتداء بالمسيح شرطاً  
للحصول على الخلاص.

وثبت عندي أن ما بشر به رسل المسيح وما كتبوه وما نُقل  
عنهم في الأناجيل من أقوال المسيح وأعماله هو حقّ.

وثبت عندي ثبوتاً قاطعاً بأن الله لا يمكن أن يناقض نفسه  
فيوحي بعد مرور ستمائة سنة على تجسده تعاليم تناقض ما قاله

المسيح عن ألوهيته والوهية الثالوث الأقدس .

ثم اتضح لي بعد الاطلاع على الكنائس المسيحية أن الكنيسة الرسولية الواحدة المقدسة الجامعة هي كنيسة المسيح الحافظة للتعاليم المؤتمنة على توزيع أسرارهِ وإقامة شعائره القدسيّة فهي ركن الحق ودعامته .

عندها طلبتُ الدخول في الكنيسة الكاثوليكية حسب الطقس اللاتيني . فاستُجيبَ طلبِي وتلقّنت أركان الدين المسيحي على يد المرحوم الأب أيبلا اليسوعي واقتبلت سرّ المعمودية والتثبيت في العاشر من شباط ١٩٤٥ .

تركتُ لبنان في أواخر سنة ١٩٤٥ إلى بلجيكا بموجب منحة من وزارة الاقتصاد لتحضير اجازة في العلوم الاجتماعية والسياسية في جامعة لوفان، فأنهيت الاجازة كما أكملت دراسة الفلسفة هناك فحصلت على الدكتوراه في الفلسفة سنة ١٩٤٩ والفكر الإسلامي .

تركت بلجيكا ومكثت في فرنسا في مركز Eau-Vive (Oise-sur-Seine) مع بعض الأخوان الذي اعتنقوا الإيمان المسيحي الكاثوليكي : أندره ملوك، سعيد أبو علوان، رمزي مالك الذي كان قد دخل عند الأباء الدومينكان، وانضمّ إلينا الدكتور فؤاد مسلم . وكنا نصلي ونفكر بما يريدُه المسيح منا لنشر رسالته بين إخواننا المسلمين .

راودتني فكرة الدخول في رهبنة «الشرترو»، وبعد رياضة

قضيتها في دير البندكتان في باريس مع الأب سمايكر، قرّرتُ العودة إلى لبنان لأشهد بالحياة المسيحية بين إخواني المسلمين وأُعلن تعاليم المسيح بحياتي وأقوالي.

أقمتُ في صيدا في أواخر ١٩٥١ في مرحاض من بيت قديم لأهلي، فرفض الأهل كلهم التعرّف عليّ وكذلك جميع سكان صيدا. كنت أقضي وقتي بالصلاة وخدمة الناس. أدرّس الفلسفة في البكلوريا وأعلّم الأميين من الشباب. وانضم إليّ الدكتور فؤاد مسلم، فاهتمنا بالمستوصف لمعالجة الفقراء، وقبِل الكشاف المسلم أن يكون بيت الاسعاف مستوصفاً لمؤاساة الفقراء، فكنا نعمل مع الشباب المسلم والفتيات المسلمات بتفاهم كامل وانفتاح متبادل وتفانٍ مخلص.

وانضمت إلينا الأنسة ألكسندرة أنطاكي (سوريّة) والأنسة نيكول (فرنسية) ففتحنا حديقة للأطفال في خان الفرنج عند راهبات القديس يوسف.

خدمتُ أجيّراً في الفرن مدّة شهرين، كما خدمت زبّالاً في شوارع المدينة مدّة شهرين آخرين.

جاء إلى صيدا ثلاثة إخوان «فوكو»؛ بعد أن انكشف لي ضرورة الإنخراط في الحياة الرهبانية لأكرّس إرادتي وذاتي بكاملها، قرّرتُ الدخول في «جمعية الاخوان الصغار» والتحقّت بدير الابتداء في بلدة البيضاء في الجزائر سنة ١٩٥٤ وقمتُ بنهايتها بالندور المؤقّته لثلاث سنوات.

ثم أرسلت إلى فرنسا لدراسة اللاهوت عند الدومينكان مع بعثة إخوان فوكو (Aix-en-Provence)، ثم السنة الأخيرة في تولوز، وفي أواخر ١٩٥٨ أنهيت دروس اللاهوت وقمت بنذوري المؤقتة لمدة ثلاث سنوات، وأرسلت إلى إيران تابعاً لأخوية فوكو في تبريز. التحقت بجامعة طهران حيث درست الفكر الصوفي وولت شهادة الدكتوراه في الآداب.

ذهبتُ إلى فرنسا بدعوة من الأب قيوم رئيس إخوة يسوع الصغار للقيام بنذوري المؤقتة. عارض مجلس الاخوة الأعلى ذلك مفضلاً أن أحافظ على دعوتي الخاصة خارج إطار الاخوة.

عدتُ إلى لبنان وقررتُ أن أعيش الحياة الإنجيلية بين إخواني المسلمين بالزري العلماني. نصحني الأب قيوم بالانضمام إلى أبرشية بيروت، فقبلني المطران زيادة كاهناً علمانياً يهتم بالبشارة بين المسلمين. وحظيتُ بالكهنوت في كنيسة السيدة عين سعادته في ٢٣ شباط ١٩٦٢. منذ ١٩٦٢ وحتى أواخر ٩٨٣ كنت أستاذاً متعاقداً في الجامعة اللبنانية كلية الآداب فرع الفلسفة، ومنذ ١٩٦٦ حتى ١٩٦٨ علّمت الفلسفة والفكر الإسلامي في كلية التربية وفي معهد العلوم الاجتماعية، كما علّمت الفكر الإسلامي في الجامعة اليسوعية كلية اللاهوت.

أسستُ «بيت العناية الإلهية بالأولاد المشردين» سنة ١٩٦٤ في الأشرفية مع ناصيف ناصيف، فؤاد مسرة، أيمن خوري، إيلي بدارو، زكية العمّاري، ثم انتقلت المؤسسة إلى الفنار بعد

أن قدم لنا المطران زيادة الأرض وما ينقصنا من المال للبيت،  
وصار بيت العناية مركزاً للتربية الإنسانية والتدريب المهني  
والنجارة والحدادة والميكانيك العام وميكانيك السيارات  
والألومنيوم وصنع المصاعد والكهرباء.

وأسست فرعاً لبيت العناية في تبين سنة ١٩٧٧، بدأ كميتم  
للأطفال ثم أصبح مركزاً مهنيّاً كالفنار بالإضافة إلى فرع التمريض.  
اشترى الأرض وبني الطابق الأول والثاني الفرقة الهولندية العاملة  
في الجنوب في قوات الطوارئ الدولة، وبني الطابق الثالث  
والرابع بمساعدة المحسنين اللبنانيين والأجانب. كما اشترت  
الجمعية ثلاث دونمات أرض وبدأت في بناء طابق أول للمعامل.  
صباح الخميس في آذار (١٩٨٦) زارني شاب وطلب مني تأمين أمه  
في المدرسة لعجزها، فأعطيته توصية ليأخذها إلى المأوى  
الماروني، فذهب وعاد يوم الجمعة، الساعة الثالثة بعد الظهر،  
وأكد على أن أبقى والدته في المؤسسة إذ لا تريد الابتعاد عن  
الجنوب. فطلبتُ منه أن يُحضرها مع ولديها الصغار ٥ و ٩ سنوات  
لأنظر في أمرها. ولاحظتُ يده اليسرى جامدة وأبطه منتفخ وسألته  
عن سبب تورمه ومددت يدي لأدسّ، فإذا به يخفي مسدساً كاتم  
الصوت طوله أربعون سنتراً. فخرطشه وسدده نحوي، فأمسكت  
المسدس ونزعته من يده بعد أن أطلق عياراً لمس بطة رجلي،  
فارتدى على الأرض ثم فرّ هارباً وكان بانتظاره في الخارج دراجة  
نارية وسيارة في الشارع المقابل مع رجلين وقرّوا، دون أن تُعرف  
هويتهم. ذهبتُ صباح السبت إلى صيدا فيروت ثم الفنار.

## مُقابِلةٌ مع

### الأب عفيف عسيران\*

\* أب عفيف، أرجو أن تعطيني نبذة سريعة عن طفولتك وحياتك.

ولدتُ في صيدا، سنة ١٩١٩. دخلتُ مدرسة المقاصد الاسلاميّة، ثمّ انتقلتُ بعدها الى مدرسة حكوميّة لعدّة سنوات، وبعدها الى مدرسة الفرير حيثُ بقيتُ حتى الصف الرابع المتوسّط.

عائلتنا تتكوّن من ستة أولاد، أنا الكبير بين الصبيان. كنتُ أهتمّ كثيراً بالنشاطات الرياضيّة والكشفيّة.

بعد المرحلة التكميليّة، انتقلتُ الى بيروت، الى مدرسة المقاصد الاسلاميّة وحصلتُ على شهادة البكالوريا. درستُ الفلسفة في الجامعة الأميركيّة من سنة ١٩٣٩ الى سنة ١٩٤٢، وتابعتُ اهتماماتي السياسيّة والاجتماعيّة في صيدا. فقد كنتُ

---

\* أجرتها بدر الذوقي عام ١٩٨٦.

أذهب اليها نهاية كل اسبوع.

حصلتُ على وظيفة في وزارة الشؤون الاجتماعية. بعثتُ بي الدولة الى أوروبا للتخصّص في الشؤون الاجتماعية، وتابعتُ تخصّصي بالفلسفة. سنة ١٩٤٩ رجعتُ الى صيدا حتى أعيش حياتي المسيحية بين أهلي وأصحابي.

«حياتك المسيحية»؟ يعني أنك كنت قد تعرّفت الى المسيح؟

أجل، لقد اعتنقتُ الدين المسيحي بعد تخرّجي من الجامعة، أي سنة ١٩٤٥. وبعد أن اعتمدت لم أبق كثيراً في لبنان، لأنني، كما قلت، بعثتُ بي الدولة الى بلجيكا للتخصّص في الشؤون الاجتماعية والفلسفة. رجعتُ سنة ١٩٤٩ الى صيدا، حيثُ علّمتُ الفلسفة لصف البكالوريا، واهتممتُ بالنشاطات الاجتماعية: كالمستوصفات، وتعليم الأطفال الصغار والعناية بهم، وغيرها، أي كنتُ أمضي وقتي بين الدرس والتعليم والنشاط الاجتماعي. وقد استأجرتُ مع صديق لي، هو طبيب، غرفة صغيرة كشهادة لحياتنا المسيحية.

وهنا أقول، إنه رغم الاشاعات بأن المحيط الاسلامي متعصب، كنتُ ألاحظ إنفتاحاً غريباً من الناس. طبعاً كان هناك بعض المتزمتين الذين خلقوا بعض المشاكل، ولكنني لم أواجه صعوبات فوق العادة، وبقيتُ أحتكّ بالناس حوالي ثلاث سنوات ليلاً نهاراً، أذهب الى المقاهي وأستمع الى مشاكل

الجميع . مثلاً ، بعد أن تأكد للكشافة المسلمين أن غايتي الوحيدة هي الخدمة ، أعطوني مركزهم وأخذ الشباب يشتغلون معي بروح الخدمة المتجردة . ورغم الصعوبات التي واجهتها هؤلاء الشبان ، فقد تابروا على نشاطهم معي . لم يعتمد أحد منهم ولم يصبحوا مسيحيين بالشكل الخارجي ، ولكنهم بقوا من أعز أصحابي حتى بعد أن تركتهم الى الجزائر وعدتُ لأجد أن علاقتي بهم ما زالت مستمرة .

### \* ماذا فعلت في الجزائر؟

سنة ١٩٥٣ ، انضمتُ الى «إخوة يسوع الصغار» وبقيتُ سنة واحدة في الإبتداء . رجعتُ بعدها الى اوروبا لدرس اللاهوت ، ثم ذهبتُ الى إيران وبقيتُ حتى سنة ١٩٦٢ ، وعدتُ الى فرنسا لأقدم ندوري المؤبّدة .

في إيران ، درستُ الأدب الفارسي واهتميتُ بالتصوّف الاسلامي ، وعاشتُ المتصوّفين في جميع المناطق الايرانية وأفغانستان وباكستان .

أمّا بالنسبة لحياتي الرهبانية ، ففضلتُ أن أعيشَ بشكل علماني لأشهد في المحيط الاسلامي . وعندما عرفَ المطران زياده بذلك ، قبلَ بي كاهناً . درستُ في الجامعة اللبنانية ، في كلية التربية ، وأنشأتُ مركزاً للأولاد المشرّدين في الأشرفية ، ثم انتقلتُ الى الفنار . هذا المركز اليوم لم يُعد للأولاد المشرّدين ،



بل هو مركز تدريب مهني واصلاحية. بعد الحوادث اختفى  
التشرد الناتج عن الحكم بالسجن مثلاً أو غيره، وظهر التشرد  
على صعيد العنف. تحوّل المركز لتقبل الحالات الاجتماعية  
حيث يتعلّم الولد أية مهنة تُنقذه من مُشكلته.

\* أب عفيف، أخبرني كيف التقيت بالمسيح الذي أحدث هذا  
التحوّل في حياتك؟.

قبل أن أصبح مسيحياً، التقيتُ بالله، كنتُ مُسلماً مُمارساً  
واجباتي الدينية من صوم وصلاة وغيره. وأثناء مُمارستي للدين  
الاسلامي، احتكيتُ ببعض المسيحيين وخصوصاً بشخصين كانا  
أرثوذكسين وأصبحا كاثوليكين هما: أندريه ملوك ورمزي  
مالك. هذان الشخصان لفتا نظري الى حياتهما.

ولكن الأهمّ هو اطلاعي على الإنجيل وبعض حياة  
القديسين كحياة فرنسوا الأسيزي. فلفت نظري المثل الأعلى في  
الإنجيل عندما يقول المسيح: «سمعتم أنه قيل للأولين: لا  
تقتل، فإن من يقتل يستوجب القضاء. أمّا أنا فأقول لكم: من  
غضب على أخيه استوجب القضاء، ومن قال لأخيه «يا أحمق»  
استوجب حكم المجلس... سمعتم أنه قيل: «لا تزن». أمّا أنا  
فأقول لكم: من نظر الى امرأة فاشتهاها زنى بها في قلبه...  
سمعتم أنه قيل: «أحب قريبك وأبغض عدوك». أمّا أنا فأقول  
لكم: أحبوا أعداءكم وادعوا لمضطهديكم... كونوا كاملين،

كما أن أباكم السماوي كامل . . . » (متى ٥/٢١ - ٤٨).

هذا المِثال الأعلى عند المسيح لفتَ نظري، وكنتُ أتساءل حقيقةً وأقول: ان هذا المِثال الأعلى يقرب من الله ولكني عاجز عن تحقيقه. ولكن المسيح يقول في إنجيل يوحنا: «مَنْ آمَنَ بي يَعْمَلُ هو أيضاً الأعمال التي أعملها، بل يَعْمَلُ أعظم منها» (يوحنا ١٤/١٢). كلام المسيح هذا أسمى بكثير ممَّا أعرفه عن الاسلام حتى عند المتصوِّفين.

لِذا قررتُ أن أتبع المسيح، وبعد اطلاعي على الدين المسيحي، كان عليّ أن أختار الكنيسة التي سأنتهي اليها. كنتُ أعيش في جو بروتستانتي، ولكنني وجدتُ أن تعاليم المسيح ورسالته الكاملة غير متجلبين في الحياة البروتستانتية. فبدأتُ تفسير الإنجيل كما يراه لوثر، أي عدم تعلق تفسير الإنجيل بالكنيسة، يُناقض الحقيقة التاريخية، لأن المسيح أوكل الى الرُّسل نشر الرسالة، وقد ظهر لي أن الكنيسة المسيحية هي كنيسة رسولية، والكنيسة الكاثوليكية هي التي تجمع النقاط الأساسية بالنسبة للتعليم المسيحي. لِذا اخترتُ الكنيسة الكاثوليكية، وعرفتُ أن الله يُريدني بصورة كاملة. إعتمدتُ، ورجعتُ الى صيدا لأعيش حياتي المسيحية ولأعيش الإنجيل في حياتي. لهذا، استأجرتُ غرفة صغيرة متواضعة تحت الدرج. كنتُ أعيش فيها مع صديق لي وكنا نمضي وقتنا بالخدمة والتعليم.

اشتغلتُ أيضاً، إقتداءً بالمسيح، كفران خلال شهرين.

• حضرتك من عائلة غنيّة، فما كان ردّ أهلك على ذلك؟

بالحقيقة، بادىء الأمر لم يقبلوا أن يتعرّفوا عليّ، ولكنهم عندما لاحظوا بأنّ الأناس الأغرّاب ارتاحوا لي، ما عادوا متخوّفين، وعرفوا بأن لا هدف لي سوى أن أخدم المسيح. تقبلوا الأمر. أبي، الله يرحمه، رغم أنه كان مُمارِساً لحياته الدينيّة الإسلاميّة (كان يعتمر طربوشاً مع لفّة إشارة إلى أنه حاج)، كان لا يخجل بي أمام الناس وكان يردّ على الذين ينعتونني بالكفر: «أتمنى لو كان لأحدٍ ما الإيمان الذي هو لإبني». وكنا في أكثر الأحيان نصليّ معاً، فأقرأ له الآيات القرآنيّة وكنا حقّاً أصدقاء.

كان أبي يُريدني أن أتزوج، وكان يقول لي إفعل ما يحلو لك ولكن تزوّج. وكنت أقول له إنني أريد الإقتداء بالمسيح، فهو يقول: «لا يفهم الناس كلهم هذا الكلام، بل الذين أنعم عليهم بذلك. لأن في الخصيان مَنْ وُلدوا من بطون أمهاتهم على هذه الحال، وفي الخصيان مَنْ خصاهم الناس، وفي الخصيان مَنْ خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السماوات». (متى ١٩/١١-١٢). وأني على هذه الأرض لا أريد النساء، فكيف أطلب ذلك في الآخرة؟ ..

فعلاً كنا مُتفاهمين وكان أبي يتقبّل ذلك بروح مَرِحَة. كنتُ أرى الإنفتاح في الطبقة العاملة، في حياة الفقر، التي هي حياة المحبّة الحقيقيّة. اشتغلتُ فرّاناً وعندما كان الناس يتعجّبون،

كنتُ أقول: «الفران زلمي، هو خبي». اشتغلتُ أيضاً بتنظيف الطرقات، وكان العدّال يتعجّبون حتى أن رئيسهم أخذ يبكي ويقول لي: «كيف، كيف، أنا لا أفهم»، فكنتُ أقول الشيء نفسه: «أنت أخي والشغل ليس عيباً».

إذاً، كان هناك انفتاح واحترام للقيم المسيحية، ولم يكن هناك أيّ تعصب خصوصاً عند الطبقة الفقيرة. طبعاً كان هناك بعض الأشخاص المتنفذين الذين حاولوا التعرّض لي، ولكن بالنهاية كنتُ أمارس شعائري الدينية بدون مشاكل، وما زال لديّ حتى الآن أصدقاء كثر في المحيط الإسلامي.

• لكنك تعرّضت لمحاولات إغتيال، كما أظن ..؟

آخر مرّة، أجل. طبعاً في صيدا كنتُ معرّضاً في أية لحظة للإغتيال، ولكن لم يحدث أيّ شيء. ولكن منذ عدّة أشهر تعرّضتُ لمحاولة إغتيال. كنتُ في تبين حيث لديّ مؤسسة للتعليم المهني أيضاً، فدخل عليّ شاب بحجّة أن أمّه مريضة وطلب مساعدة، ثمّ عاد في اليوم التالي. كان يخفي سلاحه المزوّد بكاتم للصوت تحت أبطه، ولكنني استطعتُ أن أمسك بيده وأجعله يفلت سلاحه. هذا الشخص لم يكن وحده، وفي اليوم التالي، ذهبتُ مجموعة من الشبان عند أخي في صيدا ليسألوا عني. فرأيتُ أنه من الأنسب حالياً أن لا أعود إلى صيدا. ولكن من الطبيعي أن أعود في يوم من الأيام لأنني أعرف أن الناس هناك مُفتحون.

\* أن «تعيشَ الإنجيل» فهذا جنون. ما رأي الأب عفيف بعيش الإنجيل؟

مظهر الجنون هو الطابع الأساسي للإنجيل. لذا، إذا تأملنا في الإنجيل وفي المقطع الذي أثر بي وكلمتك عنه، المثل الأعلى حيث يقول المسيح: «أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، مَنْ سَخَّرَكَ ميلاً فسير معه ميلين، وَمَنْ طلبَ رداءك فاعطه ثوبك، مَنْ ضربك على خدك الأيمن فدُر له الأيسر»، طبعاً هذه الأشياء بالنسبة لمنطق العالم هي جنون، وهذا يوصل الى الصليب.

المسيح لم يقل هذا الشيء كمثّل، ولم يقل هذه الأشياء لتفسّر حرفياً. وعندما يقول «أحبوا أعداءكم»، يقصد أن نحب كما هو أحبنا، «فما من حب أعظم من أن يبذل الانسان نفسه عن أحبائه». أحبوا مثلما أحببتكم. المحبة هي عطاء الذات، وعطاء الذات هو الأساس في المحبة، فاذا كنت حقيقةً أعطي نفسي لشخصٍ ما، فبطبيعة الحال كل ما أملك يُصبح مُلكاً لهذا الشخص. منطق المحبة، اذا كانت مُخلصة، يعني أنه اذا كان معي مال، مثلاً، فيجب ألا أستغرب اذا أخذه مني الشخص الآخر، ولكن يجب أن أعطيه ذلك من تلقاء نفسي، حتى إن هو لم يطلب ذلك، أي يجب أن أكون على استعداد للعطاء الدائم، للعطاء أكثر ممّا يطلب هذا الشخص. هذا المنطق يفرض أن أعطي ليس فقط ما يطلبه الشخص الآخر، بل كلّ شيء لأن هذا ملكه، فعندما ملكته نفسي، ملكته كل شيء. فبحسب منطق هذه الدنيا، عطاء الذات والتملك هو موت، لأنني مُتُّ عن نفسي

وأصبحت للآخر. فما قَصَدَهُ المسيح من الأمثلة التي أعطاها هو أن يدلنا على الوجهة التي يجب علينا أن نتخذها بشكل لا مُتَنَاهٍ.

الشيء نفسه عندما قال المسيح: «قيل لكم لا تزنوا...». أكيد، إذا أخذتُ هذا من منطق الانسان فنقول هذا مستحيل، خصوصاً أن الزنى أصبح ليس زنى جسد، بل زنى روح وفكر وقلب، وهذا مستحيل للانسان. ولكن بما أن المسيح يطلب مني ذلك، فهذا يعني أنه هو موجود فيّ ويؤلّهنّي، والتأليه يعني أن يسكن الله فينا ليدعونا الى حياة الروح.

« نظرة الرجل الى المرأة هي خطيئة بقدر ما تكون إساءة الى المرأة وكيانها...»

الاستسلام للأناية هو الخطأ.

\* أجل، ولكن المسيح يحترم فينا طبيعتنا البشرية، شرط أن لا نُؤذي غيرنا أو أنفسنا، أليس كذلك؟

على الانسان أن يتخطى الأناية، لأن الشيء الطبيعي عند الحيوان لم يعد طبيعياً عند الانسان. طبعاً، الطبيعة ما زالت فيه ولكن الذي يعيش بالروح عليه أن يعرف ما هي متطلبات هذه الروح. هذا لا يعني أنه لم يعد هنالك محبة بشرية، لكنها ليست محض بشرية. حتى الزواج المسيحي، أساسه قائم على المحبة وعلى الانسانية، لذلك فإن منع تعدد الزوجات هو أمانة للمحبة

الحقيقية، فلا خلاص بدون محبة. كذلك قول المسيح: «لا تدينوا لثلاثاً تُدانوا». إن عدم الدينونة هو الإحترام اللامتناهي للشخص الآخر. حتى لو كان يقوم بعمل غير لائق، عليّ أن أحبه وأحترمه لنفسه، كتصرف المسيح مع المرأة الزانية. فالمسيح لم يقل بأن الزنى هو عمل صالح، ولكن إحترام المرأة يُساعدها على تغيير نفسها. عدم الدينونة، هو أن ترى الشخص لنفسه، أي أن يكون لك الرجاء الحقيقي بأن حياة هذا الشخص ليست بأعماله الخارجية فقط، ومهما تكن أعماله سيئة، فيمكن أن يغيرها وأن يتحرر منها. إذاً، يجب أن لا أحكم عليه.

الحياة المسيحية، لا تستطيع الطبيعة البشرية وحدها أن تعيشها، بل تتطلب مساعدة من روح الله الذي يرفع الانسان الى هذا المستوى.

### \* أبونا، ما هي نشاطاتك الحالية؟

أهتمّ بهذا البيت، الذي يستقبل الطلاب في القسم الداخلي والخارجي. إنه مدرسة فنية عالية ومُعترف بها من وزارة التربية والفنون الجميلة، تُعطي شهادة الكفاءة المهنية الرسمية والشهادة التكميلية المهنية الرسمية، وذلك في عدّة اختصاصات. يمتاز «بيت العناية» المهنية بالجو العائلي والجو العلمي.

أيضاً أساعد الذين يودّون إعتناق الدين المسيحي وأصحاب المشاكل.

\* لماذا انتقيت صيدا بالذات في أول فترة لتعيش حياتك المسيحية؟ هل هو شهادة لمحيطك.

أجل، لأنني أعرف محيط صيدا وأعرف أنه بحاجة كبيرة.

\* لماذا؟

أحببتُ أن أصرخ الإنجيل في حياتي. كنتُ أعرف كم أن المحيط الإسلامي لا يملك أية فكرة عن الدين المسيحي، عن حياة الإنجيل، مثلاً أن الله أصبح انساناً، وأنه موجود بشكل آخر في الكنيسة. كنتُ أحب أن أعيش حياتي المسيحية مع إخواني. ورغم وجود المسيحيين هناك، كان المسلمون أشدّ تأثراً من المسيحيين بهذا النمط من الحياة المسيحية.

\* هل لديك كلمة أخيرة للشباب؟

أتمنى أن يعمّ الانفتاح أكثر المسيحيين، أن يحسن الشباب برغبة في التعرف على الآخرين وروح الرسالة، ورغبة في التعرف على القيم المسيحية. النقص الأساسي اليوم هو في عدم الاهتمام بالرسالة، والخدمة، وعطاء الذات. فالمحيط المسيحي يعطي ذاته لذاته، حتى الرهبانيات في لبنان تشتغل ضمن المحيط المسيحي، والمحيطات الأخرى متروكة. المسيحي الحقيقي يرى أخاه في كل انسان ويجب أن يُترجم ذلك بشكل عملي.



\* المسيحي مدعو للعيش في كل المحيطات؟

طبعاً، المسيحي المُتقفل على ذاته ليس مسيحياً، يجب أن نقبل بكل البشر، لأن الجميع هم أولاد الله. وإنما هُـد لي أخ مُحتاج، يجب أن أهتمّ به وأن أشاركه بصلاتي وأن أخدمه.

\* كيف يُمكنك أن تتصوّر الخلاص للبنان؟

عندما يقتنع المسيحي بأن كل الناس إخوة، فطبيعي أن يفكر بأن كل الناس لديهم الحقوق نفسها، فتُحلّ قضية التنازلات، فلا فرق بين رئيس ماروني أو غير ماروني، لأن طبيعة الناس هي نفسها. اوروبا جرّبت العلمنة ونجحت، فلمَ الخوف من العلمنة؟